

# أئمة أهل البيت عليهم السلام

## ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

محاضرات
العلامة الدكتور عبدالهادي الفضلي

# أئمة أهل البيت عليهم السلام

# ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

هوية الكتاب

- اسم الكتاب: أئمة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي
- المؤلف: العلامة الدكتور الشيخ عبدالهادي الفضلي
- الناشر: مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام
- المطبعة: ثامن الحجج عليه السلام
- تاريخ الطبع: ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م
- الكمية: ١٠٠٠ نسخة
- المشرف على الطباعة: عبد الرضا محمد صالح الشالچي
- رقم الإيلاع الدولي: ٩٧٨ . ٩٦٤ . ٩٨٤ . ٢٤١ . ٧

# أئمة أهل البيت عليهم السلام

## ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي

محاضرات

العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

بسم الله الرحمن الرحيم

# المحتويات

## الفصل الأول: مدخل تمهيدي

### كيف نقرأ التاريخ؟



### الجدوى من إعادة كتابة التأريخ

## بعثة الأنبياء ووظائفهم



## الفصل الثاني: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

### الآثار المدوّنة للإمام علي عليه السلام، الحلقة الأولى

الآثار المدوّنة للإمام علي عليه السلام، الحلقة الثانية

## الولاية وامتداداتها المعاصرة



## الإمام علي عليه السلام وعدالة الحكم

## الجوانب الحضاريّة والفكريّة والثقافيّة في شخصيّة الإمام علي عليه السلام



## انطباعات حول تفضيل النبي محمَّد والإمام علي على سائر الأنبياء

# الفصل الثالث: الإمام الحسن بن علي عليهما السلام

## صلح الإمام الحسن عليه السلام وانعكاساته على الأمّة

## محور الخلاف بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية



## الفصل الرابع: الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

## كيف أحيا الإمام الحسين الإسلام من جديد

### ثورة الإمام الحسين عليه السلام، مشروعيّة العَبرة، وتأريخ العِبرة



### ثورة الحسين عليه السلام، ظواهر روحانيّة وشعريّة من الواقعة



## الفصل الخامس: الإمامان علي بن الحسين، وجعفر بن محمد عليهما السلام

### الآثار المدوَّنة للإمام زين العابدين عليه السلام

## مدرسة الإمام الصادق والحضارة الإسلامية، إسهامات في البناء



## الفصل السادس: الإمام محمد بن الحسن عليهما السلام

## قضيّة الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها، استعراض للأدلة وملابساتها

## فلسفة الانتظار العملي



## من ينتظر من؟

# تقديم

حطّت رحال شيخنا العلامة الفضلي (رحمه الله) في المنطقة الشّرقية بالدّمام على ساحل الخليج في سنة (١٤٠٩هـ)، بعد تنقّلاته في طلب العلم وتدريسه؛ من البصرة إلى النَّجف الأشرف وبغداد، فجدَّة على ساحل البحر الأحمر، فالقاهرة ثم جدّة مرّة أخرى؛ وقد شكّل استقراره الأخير نقلة ثقافية قلّما توافرت عليها هذه المنطقة في تأريخها المعاصر، فكان تأسيس البرامج الثَّقافية الحديثة على النَّمط الموجود في النَّجف في عصرها الذَّهبي النَّواةَ الأولى لنقلة الفضلي الثقافية، ثم كان التفاف الشباب حوله ليتشكّل منه البدايات الأولى لظاهرة النّشطاء الاجتماعيين والمثقّفين الإسلاميين.

وقد برزت بسبب هذه النّقلة مفاهيم إسلاميّة وثقافية، لم تكن قد طُرحت في المنطقة في المحافل الاجتماعية العامّة؛ كمفاهيم: الدّولة الإسلامية، الحضارة الإسلامية، ولاية الفقية، النُّظام الإسلامي، الدّعوة إلى الله، الاشتراكية، الرَّأسمالية، التّجديد، الوحدة الإسلامية، النّقد، الإصلاح الاجتماعي وغيرها.

بالإضافة إلى هذه المفاهيم، فقد أسهمت هذه النّقلة في إبراز مجموعة من الشَّخصيات الحوزوية والمرجعيّة؛ ولكن في جانبها الإصلاحي والحركي، بعد

أن كان الغالب هو بروز جانبها الدِّيني التَّقليدي، أمثال: السَّيد الشهيد محمَّد باقر الصدر، السَّيد الإمام الخميني، الشَّيخ الطوسي، الدكتور الشَّيخ أحمد الوائلي، الشَّيخ المفيد، السَّيد أبو القاسم الخوئي، السَّيد محمَّد تقي الحكيم، السَّيد الشهيد محمَّد باقر الحكيم وغيرهم.

كما كان لهذه النّقلة التي قادها الفضلي الدَّور المهم في تعريف الناس بتراثهم وتأريخهم الإسلامي والمذهبي؛ وجاء تأريخ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الموضوع الأهمّ في هذا السِّياق، لما له من تأثير على فكر وسلوكيات الأفراد والمجتمع.

## بين دفّتي الكتاب

الكتاب الماثل أمامك أيّها القارئ العزيز، عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها العلامة الفضلي (رحمه الله) في مناسبات متعدِّدة، تمحورت حول أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؛ فتناول فيها تأريخ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في (٥) محاضرات وملحق حوله تمّت إضافته، وتأريخ الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) في محاضرتين، وتأريخ الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) في (٣) محاضرات، ومحاضرة واحدة مرتبطة بالإمام علي بن الحسين (عليهما السلام)، وأخرى في الإمام جعفر بن محمَّد (عليهما السلام)، وحول الإمام محمَّد بن الحسن المهدي في (٣) محاضرات، إضافة إلى (٣) محاضرات تمهيديّة: الجدوى من كتابة التأريخ، وكيف ننقد التأريخ؟ والبعثة النَّبوية، فيكون المجموع (١٨) محاضرة.

سيلاحظة القارئ للكتاب مجموعة من الخصوصيّات، التي كشفت عن

الشخصيّة العلمية التي يمتلكها العلامة الفضلي، نجمل بعضها في التالي:

١. أبرزت هذه المجموعة من المحاضرات انتماء الدكتور الفضلي إلى الاتّجاه الحركي في دراسة التأريخ؛ هذا الاتّجاه الذي لا يبحث ولا يدرس التأريخ للتأريخ، وإنّما بما يمثّله من مرآة يستطيع المجتمع الإسلامي من خلاله أن يستلهم الدّروس لحاضره ومستقبله.

٢. كما ظهرت في هذه المحاضرات شخصيّة الفضلي النَّاقد، مع كلّ التَّعقيدات التي تحفّ بأحداث التأريخ الإسلامي، فكان نقده ضمن معايير وأصول موضوعية؛ وهذا ما سيكون مبرِّرًا لخروج الفضلي بنتائج تأريخية ليست مألوفة أو معروفة في الأوساط العلميّة.

٣. سيجد القارئ مواقف العلامة الفضلي تجاه بعض القضايا الفقهية أو العقائدية أو السياسية أو الاجتماعي أو الثقافية، كان قد بثّها في ثنايا حديثه، أو استطرادًا عن موضوعات المحاضرات، وبعضها يُعطي مقدار الجرأة العلميّة التي يمتلكها.

٤. ستكشف محاضرات هذا الكتاب عن الموسوعيّة الثقافية لشيخنا العلامة، واستيعبه الأفقي للتّراث الإسلامي شيعيًّا وسنّيا؛ وهذه إحدى نقاط التَّفاضل بين نقّاد التأريخ ودارسيه.

٥. إحدى امتيازات الشَّيخ في كتبه؛ قدرته على تنظيم بحوثه تنظيمًا منهجيًا يوصل القارئ بوضوح إلى النتيجة التي يسوقه البحث، وهنا سيقتنع القارئ أنّ هذا التّميز حاضر وبوضوح في المحاضرات؛ فسيجد كيف يربط محاور بحثه ربطًا منهجيًا مُنهيًا إلى النتيجة.

وغير هذا من الخصوصيات التي سيلاحظها القارئ.

## عملنا في الكتاب

مرّ إصدار الكتاب بصورته الحالية بمجموعة من المراحل، وهي المراحل التي عادة ما نعتمدها في تحرير المحاضرات، وهي:

١. فرز المحاضرات التأريخية عن سواها من المحاضرات ذات الموضوعات الأخرى، وتحديد المَحاور المشتركة بين هذه المحاضرات.

٢. تحويل المحاضرات من التَّسجيل الصوتي إلى التَّحرير المكتوب كما هو مسجّل تقريبًا، والتَّأكد من ضبط كل ما قيل فيها؛ إلاّ المحاضرة المعنونة بـ (محور الخلاف بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية)، فلم نحصل على تسجيلها الصّوتي، فاعتمدنا على نصّها المكتوب في كتاب (مختارات من مهرجان مولد الإمام الحسن (عليه السلام) في بلدة المنصورة بالأحساء) وهو من إعداد فاطمة وزينب العبد الله، (طباعة ونشر مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤٢٥هـ)، وقد تمّ مراجعة نصّ المحاضرة من قبل المحاضر، على ما ذُكر في تقديم الكتاب.

٣. تقطيع وترقيم النّص المحرَّر، ووضع العناوين الرئيسة والجانبيّة المستوحاة من نفس المقطع، وتحرير الكلمات العامّية التي قد يسبق إليها لسان المحاضر، وتبديلها بكلمات فصحى، مع محاولة أن تكون مما يستعمله المحاضر عادة في محاضراته أو كتاباته.

٤. قد يستطرح المحاضر أثناء محاضرته لمناسبة ما، أو لذكر فائدة معيّنة، حافظنا على هذه الاستطرادات، وعادة ما نُنزلها في هامش الكتاب بإضافة كلمة (منه).

٥. تمّ توثيق بقدر الإمكان المعلومات والمنقولات التي تُذكر في المحاضرات،

وذلك بإرجاعها إلى مصادرها الأصلية، مع تصحيح ما قد يقع من الخطأ.

٦. قمنا بتأريخ وفيّات الأعلام المذكورين في المحاضرات، حتى لو كانت وفاتهم بعد وفاة المحاضرة؛ ليعيش القارئ الجو التأريخي لحديث المحاضرة.

٧. حافظنا على العناوين الأصلية للمحاضرات، سوى بعض المحاضرات التي تمّ تغيير عناوينها، إما كما أوردها المحاضر في محاضرته، أو استيحاءًا من روح المحاضرة.

٨. لم نُدرج في الكتاب الأسئلة التي وجّهها الجمهور في المحاضرات؛ لأنّ في بعضها إجابات مطوّلة ومفصّلة، أو إعادة لبعض ما ورد في المحاضرة، ولأنّ بعض تلك الأسئلة خارج عن موضوع المحاضرة؛ فناسب أن تُجمع كلّها في كتاب آخر مستقّل.

٩. حاولنا أن يكون عنوان الكتاب ـ (أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ودورهم في بناء المجتمع الإسلامي) ـ الجامعَ المشترك للخطوط التي تناولها المحاضر في محاضراته، وهو مستوحى من روح هذه المحاضرات، والنتيجة التي يمكن أن تكون كخلاصة عامّة للمجموع.

أخيرًا..

من الواجب عليّ، وقبل أن أختم تقديمي أن أتقدّم بالشكر الجزيل لكل من بذل جهدًا في هذا الإنجاز الصَّغير، وأخصّ بالذِّكر:

**جامعة آل البيت العالمية في مدينة قم المشرَّفة**؛ لتبنّيها الكتاب في إحيائها للذّكرى السَّنويّة الثالثة لرحيل العلامة الفضلي.

الأخوة الأعزاء (أبجديًا): **أحمد الدَّندن، أحمد الصَّفار، أحمد العرب، رضا الرّشيد، زكريا الصَّاغة، عُدي السلطان، عقيل المهيني، علي الحجاب، مؤيد**

**الحليمي، محمَّد العرب، مرتضى الغيث، نزار النَّاصر، ياسر العرب؛** لتحريرهم المحاضرات كلّها من التَّسجيل الصوتي.

**صاحبي السَّماحة الأخوين السَّيد إبراهيم الشَّخص والسَّيد عبد الأمير العلي؛** على المراجعة اللّغوية والتَّدقيق الإملائي.

ثمّ أسأل من الله سبحانه وتعالى أن يجبر ما قد طرأ على عملي من توجّه لغيره، وأن يكتب ما بذلته من جهد بسيط خدمة للإسلام، ومساهمة لنشر فكر محمَّد وأهل بيته الطاهرين.

وإن كان جُهدي هذا يستحقّ أن يُهدى؛ فإنّي أقدّمه إلى كلّ المدافعين عن الإسلام والمسلمين في كلّ ساحات الصّراع.

أحمد السميّن

www.alfadhli.org

٢٨ـ جمادى الثانية ـ ١٤٣٧هـ

# الفصل الأوّل: مدخل تمهيدي

كيف تقرأ التأريخ؟

الجدوى من إعادة كتابة التأريخ

بعثة الأنبياء ووظائفهم

## مدخل تمهيدي (١)

# كيف نقرأ التاريخ؟(*)

(*) أُلقيت سنة ١٤١٤ هـ، في البرنامج الرمضاني الرابع في حسينية النَّاصر بمدينة سيهات.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

إنَّ الحديث سيدور حول وفي التأريخ الإسلامي المدوَّن والمكتوب، والمؤلَّفة فيه الكتب.

**التأريخ**: هو عرض لكلّ ما حدث في الماضي، وكلّ ما حدث في الماضي يُكتب ويدوَّن ويُنقل للأجيال.

كما أنَّه مَعلم من معالم الحضارة؛ وأيّ أمة لا تمتلك تأريخًا مكتوبًا لا تُعدّ أمَّة ذات حضارة.

من هنا انطلق المسلمون من القرن الأوَّل تقريبًا لتدوين التأريخ الإسلامي.

وقراءة التأريخ يُستفاد منها في معرفة واقع الأمَّة، أفرادًا ومجتمعات، حكّامًا ومحكومين.

كذلك يُستفاد من قراءة التأريخ في معرفة التَّطور الذي مرَّت به الأمّة؛ والتَّطور عادة ليس كما يُفهم أو في الأذهان أنَّه ـ دائمًا ـ التَّقدم، التَّطور هو التَّغيير من حال إلى حال؛ أي الخروج من طور إلى طور آخر، سواء بالتَّقدم أو التَّخلف، فالتَّخلف أيضًا نوع من التَّطور ولكن تطوّراً إلى الوراء وليس تطوّر إلى الأمام.

فإذا أردنا أن نعرف الأحوال والظروف التي مرَّت بالأمة نرجع إلى التأريخ، في أيّ حقبة من الزَّمن تطوَّرت هذا الأمَّة وازدهرت أوضاعها وأحوالها، وفي أيّ حقبة تخلَّفت وتأخَّرت، لنستفيد من هذا في التَّعرف على الأسباب التي دعت إلى التَّقدم، والأسباب التي دعت إلى التَّأخر ونستفيد منها في الحاضر، فربط الحاضر بالماضي للاستفادة بما هو موجود في التاريخ.

الكتب التي وصلت إلينا لتأريخ لحياة المسلمين كثيرة، كـ(الأمم والملوك) للطبري (ت: ٣١٠هـ)، و(الكامل في التاريخ) لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، و(تاريخ إبن خلدون)، و(تاريخ اليعقوبي)، و(مروج الذهب) للمسعودي (ت: ٣٤٦هـ)، وكتب أخرى كثيرة.

هذه الكتب التي أرَّخت للمسلمين هي تأريخ من الصَّدر الأوَّل يعني عصر الرِّسالة الإسلامية حتى وفاة المؤرِّخ الذي يتناول التأريخ.

كتب التأريخ فيها مفارقات كثيرة، وفيها أخطاء كثيرة، ففيها عرض للواقع وفيها تشويه للواقع، فيها اختلاق، وفيها تزوير، يعني فيها حسنات وفيها سيئات.

## كتب التأريخ، استعراض للمواقف منها

ما هو موقفنا الآن مما كُتب في هذا الكتب أعني كتب التأريخ؟ هناك آراء:

الرأي الاول: يرفض التأريخ جملة وتفصيلاً؛ يعني المفروض أن لا نرجع إلى كتب التأريخ ولا نقرأ التأريخ.

وهذه النظرية من النظريات الموجودة الآن، وكثير من الحداثيين يدعون إلى هذا، يعني أن نفصل الأمَّة عن تراثها، وكيف نفصل الأمَّة الإسلامية عن تراثها؟ بأن لا نُعنى بقراءة التأريخ، ويُترك التأريخ بخيره وشرِّه.

ونبدأ حياتنا من جديد من خلال الحاضر المعاش. هذا رأي من الآراء.

الرأي الثاني: يأخذ بكلّ ما جاء في التأريخ من خير ومن شرّ، من خطأ ومن صواب.

وهذا الرَّأي يقول أن لا نُناقش ما هو موجود في التأريخ؛ أعطي مثالاً: الموقف من (عدالة الصحابة)، فأكثر علماء إخواننا أهل السنة بخاصة في الوقت الحاضر يذهبون إلى عدم جواز مناقشة الموضوع لا من قريب ولا من بعيد، حتى لو عثرنا في بطون التأريخ على طعون من علماء الجرح والتَّعديل من أهل السُّنة في صحابي؛ لا يؤخذ بهذا القول، وإنّما يُقبل التأريخ بهذه الكيفيّة؛ وهم يعلِّلون بأنَّ إثارة مثل هذه القضايا قد توجد فتنة بين المسلمين وقد توقع فتنة بين المسلمين، ونحن لا نريد أن تقع فتنة بين المسلمين.

الرأي الثالث: وهو الرَّأي المعتدل والرَّأي الوسط؛ لا نرفض التأريخ جملة وتفصيلاً، ولا نقبل التأريخ بما فيه من أخطاء، وإنَّما نقف منه الموقف المعتدل.

يُقرأ التأريخ ويُنقد، وما ننتهي إليه بعد عملية النَّقد نأخذ به؛ فإذا كان النَّقد لأيّ حادثة تأريخية أوصلنا إلى أنَّ الحادثة كانت صحيحة نأخذ بها، وإذا كان هذا النَّقد أوصلنا إلى أنَّ هذه الحادثة غير صحيحة تُرفض هذه الحادثة.

# نقد التاريخ ومنهج دراسته

## النَّقد التاريخي، الحقيقة والفائدة

كلمة (نقد) مأخوذة من النُّقود، فالعملة قديمًا لم تكن أوراقًا نقدية، بل كانت دنانير من الذهب ودراهم من الفضة، الدينار كان مسكوكًا من الذهب والدِّرهم كان مسكوكًا من الفضة، وطبيعة بعض الناس أن يغش، ويلتذّ بأكل الحرام حتى لو كان أمامه حلال؛ لأنَّه يعتبر هاللون من الوصول للحرام نوعًا من الغَلَبَة على الآخر ونوعًا من الشَّطارة، والبشر هم البشر فكما هو موجود الآن كان موجودًا سابقًا، فكان الدينار الذهب يُغش والدَّرهم الفضة تُغش وكان الصَّيرفي ـ نسميه الآن الصَّراف ـ هو من يكتشف هذا الغشّ، فكان ينظر إلى دينار الذهب ودرهم الفضة ويقول هذا الدينار أو هذا الدِّرهم مغشوش ولا يُقبل به. الآن عند البنوك والصَّرافين الآلات التي تكشف التَّزوير في الأوراق، قد تأتي أنت بـ(٥٠٠) ريال أو (١٠٠) ريال أو (١٠) دولارات فتُوضع هذه داخل الجهاز والجهاز يكتشف إذا كانت مغشوشة أو غير مغشوشة.

فالنَّقد هو اكتشاف الغشّ الموجود في العُملة، هذا المعنى سُرِّي إلى التأريخ وإلى اللّغة وإلى الأدب وإلى مختلف العلوم.

فعملية النَّقد بالنسبة للتأريخ تكتشف لنا إذا كان التأريخ فيه غشّ أو ليس فيه غشّ. التاريخ ـ مثلاً ـ يذكر حادثة، فيقول وقعت قبل ٥٠٠ عام، ونحن لا نعلم أَوَقَعَتْ هذه الحادثة أو لم تقع، نُخضع ما ذكره المؤرِّخ في هذه الحادثة للنَّقد، والنقد يكشف لنا هل أنَّ هذه الحادثة وقعت، ووقعت بالشَّكل الذي يذكره المؤرِّخ أو أنَّها لم تقع أصلاً؟ أو أنَّها وقعت، ولكن بشكل آخر غير ما يذكره المؤلِّف.

هذا الرَّأي هو الرَّأي السَّائد الآن والمعمول به في مختلف المؤسَّسات العلميّة والثقافيّة في العالَم سواء في الجامعات وغير الجامعات.

لابدّ من أن نُخضع التأريخ لعمليّة النَّقد لنكتشف الخطأ من الصواب، وهذا رأينا نحن الشِّيعة ورأي كثير من إخواننا أهل السنة.

## التاريخ، منهج وطريق دراسته

التأريخ له مصادر؛ فالمؤرِّخ لا يحضر دائمًا الحادثة، فإذا حضر الحادثة يمكن أن يرى الحادثة ويسجِّل ما يرى، ولكن هو ليس دائمًا يحضر الحادثة، فإذًا كيف يسجِّل الحوادث؟

يأخذ المؤرِّخ الحوادث عادة: إمّا عن طريق الوثائق المكتوبة، أو عن طريق الآثار، أو عن طريق الرِّواية.

التأريخ القديم ما كان يعتمد على الآثار؛ لأنَّه لم يكن هناك كثير اهتمام بالآثار، وإنَّما كان يعتمد الوثائق إلى حدٍّ ما، وأكثر ما يُعتمد عليه هو الرِّواية؛ ونعني بالرِّواية هو أن يأتي المؤرِّخ في القرن الثالث الهجري، وبينه وبين سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) ٣٠٠ عام، فكيف يعرف الحوادث التي وقعت أيَّام الرسول (صلى الله عليه وآله)؟ يسأل الناس الذين لديهم رواية عمَّن قبلهم ومَن قبلهم لديهم رواية عن الجيل الذين قبلهم إلى عهد الرسول، فتفتح كتاب الطبري مثلاً تجد يقول: حدَّثنا فلان عن فلان عن فلان إلى أن يصل إلى صحابي، ويذكر الحادثة التي وقعت في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله).

فمصدر التأريخ قديمًا عندنا كان الرِّواية، والآن له نظائر موجودة وهو ما يدوَّن في الصحف، ما يُكتب الآن في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية

وكذلك الفصلية والشهرية، الصّحفي أو مراسل وكالات الأنباء ليس دائمًا يحضر الحوادث، فمثلاً الآن في منطقة الدَّمام تقع عشرون حادثة، والمراسل هو شخص واحد لوكالة الأنباء أو صحيفة من الصحف ولا يستطيع أن يحضر في اللَّحظة الواحدة كلّ هذه الحوادث التي وقعت، إذًا كيف يعرف عن كل هذه الحوادث؟ يأتي ويسأل هذا ويسأل ذاك، ويسجِّل وينشر ما يسجِّل.

هذه العملية ـ عملية الرِّواية ـ تُعطي مجالاً كبيرًا للتَّزوير والإختلاق، ونحن إذا أردنا أن نتأكَّد من وقوع حادثة أو عدم وقوعها نبدأ بسلسلة الرّواة، هؤلاء الأشخاص الذين رُويت عنهم الرِّوية؛ فلان عن فلان عن فلان ونقيِّم كلّ واحد بذاته؛ وهل هو إنسان ثقة أو ليس بثقة، فإذا كان واحد في السلسلة ليس بثقة تسقط الرّواية من الاعتبار ولا يُعتمد عليها، فإذا استطعنا أن نُثبت أنَّ جميع رواة الحادثة هم ثقات ـ يعني لا يكذبون ـ ندرس الحادثة التي قد تكشف لنا عن خطأ موجود فيها إذ قد يذكر فيها شيء غير معقول الوقوع، وهذا معناه أنَّ الحادثة غير واقعة.

فلا نكتفي بدراسة حال الرّواة، لأنه لا يكفينا، بعد ذلك لابدّ وأن ندرس نفس الحادثة أي ما يكتبه المؤرِّخ عن الحادثة، فربما نكتشف فيما يكتبه المؤرِّخ عن الحادثة شيئًا غير معقول ولا واقع له.

أضرب مثالاً واحدًا فقط، في تفسير آية التطهير وتعرفون آية التطهير وهي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1].

هناك رواة قالوا بأنَّ آية التَّطهير نزلت في بني العباس، وهؤلاء الرّواة كانوا في

(١) الأحزاب: ٣٣.

العصر العباسي وأرادوا أن يتزلَّفوا للحكَّام العباسيين، فقالوا إنَّها نزلت في بني العباس، عمّ النبي (صلى الله عليه وآله).

لو أغمضنا عن حال الرّواة ـ طبعًا الرّواة غير موثّقين حتى من علماء الجرح والتّعديل عند أهل السّنة ـ وجئنا إلى هذه الواقعة، كيف تُصوَّر هذه الواقعة؟

الواقعه تقول كما ذُكرت في التأريخ، وذكروا الرّواية التالية: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) للعباس بن عبد المطلب: **(يا أبا الفضل لا تَرِم منزلك أنت وبنوك غدًا حتى آتيكم)**، فانتظروه حتى جاء بعدما أضحى فدخل عليهم فقال: **(السلام عليكم)**، قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، قال: **(كيف أصبحتم)**، قال: بخير أحمد الله، فقال: **(تقاربوا، تقاربوا، تقاربوا، يزحف بعضكم إلى بعض)**، حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءته، ثم قال: **(يا ربِّ هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه)**، قال فأمَّنَت أُسْكُفة[١] الباب وحوائط البيت، فقالت: آمين آمين آمين[٢]

والمعروف أن للعباس من الأبناء عشرة ذكور[٣].

نفس هذه القصة تدّل على أنّها مختلقة؛ لأنَّه لا يوجد إزار في ذلك الوقت يحتوي هذه المجموعة من الناس، ولم نسمع في يوم من الأيام أنَّ العتبة والباب والسقوف تكلَّمت، وقالت: آمين آمين.

فالقصة حتى لو كان سندها صحيحًا، فإنَّ نفس القصة تدلّ على أنَّها مختلقة.

---

(١) يعني عتبة الباب. (منه)

(٢) الطبراني، المعجم الكبير ١٩: ٢٦٣.

(٣) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب: ١٨.

## الاختلاقات التاريخية، العوامل والأسباب

والآن أحاول أن أذكر من أين يأتي الاختلاق في التأريخ والتزوير، ثم أُعطي أمثلة حتى ننتهي إلى موضعنا كيف نقرأ هذا التأريخ.

**١ - قد يأتي التَّزوير من قِبل الرَّاوي نفسه:**

- **قد يكون الرَّاوي إنسانًا مرتزقًا**؛ الإنسان المرتزق يريد أن يعيش فيختلق القصص، ونُشاهد الآن ما يُنشر في بعض الصّحف من أجل أن تُباع كمّية كبيرة من الصحيفة، فيختلق في الصحيفة أشياء ويقول كذا وكذا، فتتهافت الناس على شراء الصّحف، فتُباع كمّية كبيرة منها؛ فالرّاوي المرتزق قد يختلق ليستفيد.

- **وقد يكون الرّواي صاحب عقيدة معيَّنة**، ويريد أن ينشر هذه العقيدة، فقد ذُكر أنَّ رجلاً من الزّهاد انتدب في وضع أحاديث في فضل القرآن وسوره، فقيل له: لمَ فعلت هذا؟

فقال: رأيت الناس زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغّبهم فيه.

فقيل: فإنَّ النبي قال: (من كذب عليّ متعمدًا فليتبوّا مقعده من النار)[1].

فقال: أنا ما كذبت عليه، إنّما كذبت له)[2].

يعني أنَّ هذه الأحاديث غير واردة عن الرسول، وإنَّما هو اختلقها ونسبها للرسول.

فهذا يعتبر لون من ألوان الكذب.

**٢ـ قد تتدخّل الأنظمة السياسية وتخلق الأحداث التي لا واقع لها** ـ وكثيراً ما

---

(١) وبإجماع المسلمين هذا الحديث صحيح ويرونه جميعًا. (منه)

(٢) القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار: ٢٢٦، نقلاً عن الحاكم.

تتدخَّل الأنظمة السياسية ـ وبعد قليل أستعرض هذا الشيء لكم من العصر الأموي فالعصر العباسي، وكيف أنَّ الأنظمة السياسية تتدخل في اختلاق الأحداث التي لا واقع لها.

الآن في دراسات علم الإجتماع مادّة تسمَّى (الرَّأي العامّ)، والرَّأي العامّ يعني رأي الناس؛ في هذه المادّة دراسات كثيرة، وعادة الأنظمة السياسية في كلّ الحكومات في العالَم تهتم بالرّأي العام وتتابع الرّأي العام، وماذا يقول الناس عن واقع الحكَّام، أو عن قضية تريد أن تقوم بها الحكومة ـ وهذه الدِّراسات لا تختصّ بحكومه معينة ـ كيف تُشغل الرّأي العامّ، قد تريد الحكومة من الحكومات أن تُبرم معاهدة مع دولة أخرى، لكن الشَّعب لا يرتضي هذه المعاهدة ويرفضها، فلو أبرمت هذه المعاهدة تحت أنظار الشَّعب قد تُحدث مظاهرات وإضرابات، وكم يحدث هذا في العالَم.

ماذا تعمل الحكومة هنا؟ تختلق أحداثًا تُشغل بها الرّأي العام، تشغل النّاس كلّها بهذه القضية، والحكومة هناك تُبرم ما تُريد. وقد وقعت أحداث في العراق في عصرنا ها ـ ولا أريد أن أذكرها ـ طرحتها الحكومة العراقية في وقتها وأشغلت الرّأي العام وأبرمت ما تريد أن تُبرم.

إذًا قد تُختلق الحادثة لإشغال الرّأي العام، ثم تذهب هذه الحادثة كأيّ حادثة أخرى، وتدَّون في التأريخ وهي لا واقعة لها.

## النَّقد التاريخي كيف يكون؟

إذًا نحن نريد أن ننقد، كيف ننقد؟

**أوَّلاً: ندرس الأجواء السياسية والثقافية**، نأتي للمؤرِّخ ـ سواء كان الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، اليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ)، المسعودي (ت: ٣٦٤ هـ)، أيّ واحد من المؤرِّخين ـ فندرس العصر الذي عاش فيه، والعصر الذي عاش فيه المؤرِّخ عادة تكون فيه أجواء ثقافية وأجواء سياسية، والإنسان لا يستطيع أن يتخلَّص من الجوّ السياسي أو الجو الثقافي، فالبيئة ذات تأثير على الإنسان، فندرس عصره ونتعرَّف على الجو الثقافي الذي كان موجودًا والجو السياسي، ومدى تأثّر المؤرِّخ بهذا الجو الثقافي والسياسي، لماذا؟ لأنَّ هذا له انعكاس على ما يكتبه في كتابه.

**ثانيًا: ندرس عقيدة المؤرِّخ**، فالمؤرِّخ عنده عقيدة معيَّنة؛ إذا كان المؤرِّخ شيعيًّا فسيحاول (أن يجرّ النَّار إلى قرصه)، وإذا كان سنيًّا أيضًا سيحاول (أن يجرّ النّار إلى قرصه)، يعني المؤرِّخ الشِّيعي في كلّ شيء لا يلتقي مع معتقده سيحاول أن يقف منه موقفًا معيَّنًا، وكذلك المؤرِّخ السّني، طبعًا حديثنا عن التأريخ الإسلامي.

فعقيدة المؤرِّخ لها تأثير على ما يَكتب؛ فلابدّ من دراسة هذا الجانب.

**ثالثًا: ندرس الميول السياسية للمؤرخ**؛ فقد يكون معارضًا للحكومة، وقد يكون مناصراً للحكومة أيضًا لهذا تأثيره، وأنتم ترون الآن ما يُكتب في الصّحف، فالمعارضة تكتب شيئًا والأنصار والمؤيِّدون يكتبون شيئًا آخر، والحقيقة تضيع بين هؤلاء وبين هؤلاء.

إذًا لابدّ لنا أن ندرس الميول السياسية؛ لأنّ الميول السياسية ذات تأثير على ما يفرزه المؤرخ في كتابه.

**رابعًا: ثقافة المؤرِّخ**، فقد يكون له دراسات اقتصادية مؤثرة، ورأينا هؤلاء الذين يملكون ثقافة اقتصادية موسَّعة كيف أنَّ هذه الثقافة انعكست على كتاباتهم. في الإقتصاد هناك المذهب الرأسمالي وهناك المذهب الاشتراكي؛ وكما كان قبل فترة، قرأنا مجلة كانت تصدر في مصر باسم (الطّليعة) تقول إنَّ علي بن طالب اشتراكي شيوعي، وإنَّ عمر بن الخطاب اشتراكي شيوعي، لم تترك أحدًا فقد حوَّلت الجميع إلى شيوعيين واشتراكيين، وهم أبعد ما يكونوا عن الشيوعية والاشتراكية.

وسأعطي فيما بعد مثالاً أوضِّح كيف أنَّ الثقافة التي يحملها المؤرِّخ تنعكس على ما يكتب وتؤثِّر عليه.

**خامسًا: مستواه الفكري**، فقد يكون المؤرِّخ ذكيًّا ومتوقِّد الذَّكاء، ويدرك ما يدور في فَلك الحادثة، وقد يكون غبيًّا أو متوسِّط الذَّكاء فتمرّ عليه أشياء دون أن ينتبه لها، ويدرجها في كتابه.

وسأُعطي أمثلة حتى لا أُطيل، لأنَّ الموضوع متشعِّب كثيرًا وأنا أحاول أن أختصره:

## تزوير الرّواة، عكرمة إنموذجًا

هناك راوي اسمه عكرمة هو مولى[1] عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عباس

---

(١) مولاه يعني خادمه. (منه)

(ت: ٦٨هـ) من أعاظم المسلمين، اكتسب عكرمة شيئًا من الثقافة نتيجة لخدمته مولاه عبد الله بن العباس (رحمه الله)، وهذا الرجل له موقف عجيب من أهل البيت في آية التطهير.

الشِّيعة من إمامية وزيديّة وإسماعيليّة كلّهم يتّفقون أنَّ آية التطهير نزلت في أصحاب الكساء الخمسة (النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين)، وأهل السُّنه يذهبون إلى أنَّها نزلت في زوجات النبي، وبعضهم يَجمع يعني أنَّها نزلت في أصحاب الكساء وزوجات النبي.

لو رجعنا إلى الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية لا نجد حديثًا واحدًا يقول إنَّ هذه الآية نزلت في زوجات النبي، لا في كتب الشِّيعة ولا في كتب السُّنة، والأحاديث الموجودة التي بلغت حدَّ التَّواتر أو ما فوق التَّواتر تقول إنَّها نزلت في الخمسة أصحاب الكساء. هناك أحاديث آحاد ـ كما ذكرتُ ـ تقول بأنَّها نزلت في بني العباس، وأحاديث أخرى تقول بأنَّها نزلت في بني هاشم، ويعنون ببني هاشم بني علي وبني جعفر وبني عقيل وبني العباس هذا فقط، أمَّا أن توجد رواية تقول إنَّها نزلت في بني العباس فهذا لا يوجد.

إذًا من أين جاء هذا الرَّأي عند الملايين من المسلمين؟ جاء به عكرمة وقال أنَّ ابن عباس يقول إنَّ هذه الآية نزلت في زوجات النبي، وكان عكرمة يخرج في الأسواق ويقول من يريد أن يباهلني على أنَّ هذه الآية نزلت في أزواج النبي أباهله[1]، طبعًا لا يستطيع هو أن يقول أنا؛ لأنَّه لا أحد يسمع قوله هو، فقال عن

(١) لاحظ: الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٤: ٢٧٩؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٩١.

ابن عباس لأنَّه من أعاظم المفسرين عند المسلمين.

الآن نقوم بدراسة هذا الرَّاوي:

نرجع إلى كتب السُّنة، ومن أهم كتب أهل السُّنة في الجرح والتَّعديل (ميزان الاعتدال) للذَّهبي (ت: ٧٤٨هـ) و(تهذيب التَّهذيب) لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، وكلّ من هذين الشخصين من أكابر علماء الجرح والتَّعديل عند أهل السُّنة، فإذا رجعنا لنرى ما يقول هؤلاء في هذا الشخص فهم يذكرون ١٤ أو ١٥ قولاً لأكابر علماء أهل السُّنة لابن مَعين وأحمد بن حنبل وابن راهويه وغيرهم وكلّ هؤلاء يفسِّقون عكرمة، ويقولون هذا ليس بموثق[١]، وبعضهم يقول عنه تعابير أخرى، ومن هذه التعابير الواردة أنَّ عبد الله بن الحارث، قال: دخلت على علي بن عبد الله، فإذا عكرمة في وثاق عند باب الحِشّ[٢]، فقلت له: ألا تتقي الله! فقال: إنَّ هذا الخبيث يكذب على أبي[٣].

أيضًا هذا الرجل من حيث العقيدة خارجي، وموقف الخوارج من أمير المؤمنين معلوم؛ يعني لا أريد أن أقول إنَّهم يلعنون أوكذا، ويذكرون عنه شيئًا كثيرًا[٤].

فإذا كان الرَّاوي بهذه المثابة، وهو يروي هذه الأحاديث ليس عن رسول الله وإنّما يرويه كقول عن ابن عباس، فكيف يُقبل قوله؟ طبعًا لا يُقبل قوله.

---

(١) الذهبي، ميزان الاعتدال ٣: ٩٣، رقم (٥٧١٦)؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ٧: ٢٣٤، رقم (٤٧٦).

(٢) مكان قضاء الحاجة. (منه)

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال ٣: ٩٤.

(٤) المصدران السابقان.

بالإضافة إلى هذا، إنَّ ابن عباس تروى عنه روايات يرويها عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، وبعضها ويرويها بالأصالة عن نفسه: أنَّ آية التطهير نزلت في أهل البيت، في أصحاب الكساء.

ولكن المفروغ عنه عند أهل السنة أنّ الآية إن لم تكن نازلة في الزوجات بشكل خاصّ فالزوجات جزء ممن نزلت فيهم هذه الآية؟

التراكم الزمني له تأثيره، فالقضية تبدأ بسيطة ولكن تُحاط بلون من الدِّعاية لسبب أو آخر، فتتراكم مع الزمن حتى تُصبح عقيدة وكأنها ضرورة من ضروريات الدِّين التي لا تقبل النِّقاش.

الآن لو تقول لأيّ واحد من إخواننا من أهل السُّنه هذه الروايات الموجودة في صحاحكم وفي كتبكم ليس فيها هذا القول، سيرفض متأثّرًا بهذا.

أنا رأيت في مصر ـ لمّا كنت أحضِّر الدكتوراه هناك ـ أساتذة في الجامعات مع الأسف تقول له: مَن هم الشِّيعة يقول لك هؤلاء الذين يقولون (خان الأمين)، قلت له: أنا شيعي، وعشت هناك ولأوَّل مرَّة أسمع بهذا الشيء؟ قال: إنّكم أنتم تعتقدون أنَّ الرّسالة كانت لعلي بن أبي طالب وأخطأ جبريل وأعطاها محمَّدا، فقلت له: هذا غير موجود عندنا ولا نعتقد به، ولأوَّل مرَّة أسمع به ولم أقرأه في كتاب، ولم أجده إلاّ عندك سعادة الدكتور المحترم، فيقول لي: لا، هذا موجود.

إذًا كيف حدث ذلك؟ هذا نتيجة التَّراكم الزمني، فخُطب الجمعة تردِّد هذا عندما يأتي ذكر الشِّيعة، ويتراكم هذا الشيء ويصبح عقيدة عندهم الآن. وهذا يحتاج إلى زمن حتى يزول، فمن عهد الأيّوبيين الذين أسقطوا الحكم الفاطمي في مصر حتى الآن هذه تكرر كتعريف للشيعة.

وعكرمة من رواة البخاري[١]، ويروي عنه من كثير من القضايا التاريخية، رجل بهذه المثابة لا يمكن أن يؤخذ بما يرويه أبدًا بأيّ شكل! يُجرَّح بهذا التَّجريح ويُؤخذ بروايته! إذن، نسقط موازين النَّقد ومعايير النَّقد ومقاييس النَّقد.

## التزوير في الأحداث، البحث في شخصية عبد الله ابن سبأ

من الأحداث، وأنا أريد أن أدور في فَلكنا الآن - فَلك الشِّيعة - **عبد الله بن سبأ**، ولمَّا تقرأ التأريخ تجده أنَّه شخصية من الشخصيات التي كانت تعيش بالمجتمع الإسلامي، والتي نَشرت أفكار الغلو بين الشِّيعة أو عند الشِّيعة، وأصبح له أتباع.

تذكر كتب التأريخ هذا الشيء، في الفترة المتأخرة إلى ما قبل أربعين أو خمسين سنة كتب المستشرق **مارجليوث** (ت: ١٩٤٠م) وهو أستاذ في الساربون في جامعة باريس، وأشار بأنَّ **عبدالله ابن سبأ** شخصية خيالية لا واقع لها، وجاء **الدكتور طه حسين** (ت: ١٩٧٣م) في كتابه (الفتنة الكبرى: علي وبنوه)[٢] وتبنّى رأي أستاذه **مارجليوث** وأكَّد على أنَّ **عبد الله بن سبأ** شخصية خياليّة ولا واقع لها في التأريخ.

إذًا من أين جاءت هذه الشخصية؟ وكتب التأريخ مملوءة بذكر ابن سبأ، وكتب العقائد كذلك وتُذكر أيضًا حادثة أنَّ **علي بن أبي طالب** حرق أتباع ابن سبأ بالنار، فأجابوه بأنَّه لا يحرق بالنَّار إلاّ ربّ النَّار؛ لأنَّهم كانوا يعتقدون

---

(١) الذهبي، ميزان الاعتدال ٣: ٩٣.

(٢) في الفصل (٢٤): السبيئة في صفين.

بألوهية أمير المؤمنين (عليه السلام).

تتبَّع السَّيد مرتضى العسكري (ت: ١٤٢٨هـ) كلّ الرِّوايات التي تُروى عن عبد الله ابن سبأ، ووجدها كلّها تنتهي في رواتها إلى سيف بن عمر التميمي[(١)] وهو ليس كذابًا فقط، بل كلّه كذب فكلّ المؤرِّخين وكلّ المحدثين يلعنونه ويكذِّبونه سنَّة وشيعة، ولن تجد هناك من يوثِّق سيف بن عمر.

سيف بن عمر لعب هذه اللُّعبة واختلق هذه الشخصية وأضاف إليها أفكارًا موجودة سابقًا، هذه الشخصية سواء كانت خيالية أو واقعية تركت خلفها ذيولاً، ولا نزال نحن نعاني من ذيول هذه الشخصية، إذا قيل من أين جاء التَّشيع؟ رأسًا يُقال أنَّه جاء من عبد الله بن سبأ اليهودي.

مثال آخر، خطبتا العيد قبل الصلاة، كان المسلمون في بعض الأماكن يحضرون الصلاة ولمَّا يقوم الإمام للخطبتين كانوا يخرجون مباشرة، فماذا فعل الأمويين؟ قاموا بتقديم الخطبتين قبل الصلاة[(٢)] لكي لا يخرج الناس ويسمعون سبَّ علي (عليه السلام)[(٣)]، ما معنى سبّ علي؟ حتى ينفر المسلمون من هذا الشخص الذي يقال عنه إنَّ له ولآله حقّ في الخلافة.

صدّر معاوية مراسيم أخرى أيضًا يطلِب فيها أن توضع فضائل في حقّ عثمان بمقدار ما لعلي فضائل مروية عن النبي وتنسب له، وحرَّك هؤلاء المرتزقة ووضع الرُّواة المهمِّين عند إخواننا أهل السّنة، حتى كَثُرَ الحديث في فضل عثمان،

---

(١) لاحظ: عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى.

(٢) ابن حزم، المحلى ٥٨.

(٣) الشيخ الأميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب ١٠: ٢١٣.

ولم يكتف بذلك بل قام بوضع الأحاديث في فضل الصحابة، وهذا موجود في شرح ابن أبي الحديد[1] وأيضًا في كتب أخرى.

فالنِّظام السياسي له تأثيره، وهذه الأحاديث تُذكر فيها أحداث وأحداث ومن جملة ما يُذكر ـ حتى نكون على بينة ـ رواية وُضعت على لسان إحدى زوجات النبي تقول: (**كنتُ عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي [أو قال ديني]**)[2]؛ هل يعقل أن هذا يصدر من النبي!

يأتي راوي معروف ويدخل مسجد الكوفة، والكوفة كانت مركزًا من مراكز الشِّيعة أيام الأمويين وأيام معاوية، فيدخل المسجد والناس متجمهرة في المسجد، جاء إلى مسجد (فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مرارًا، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار! والله لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (**إن لكل نبي حرمًا، وإنَّ حرمي بالمدينة، ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)، وأشهد بالله أن عليًا أحدث فيها)[3].

كلّ هذا اختلقته السياسة، وعندنا شواهد كثيرة ولازالت حتى الآن وهي لا واقع لها، هذه الحوادث موجودة في كتب التأريخ، ومن هنا لابدّ من النَّقد.

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٦٤.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٦٧.

## التزوير في المصادر شيعيًا وسنّيًا

تكلَّمنا عن الأحداث الآن نتكلم عن المصادر التي يرجع لها المؤرِّخون، أذكر كتابين فقط: كتاب لمؤلِّف شيعي وكتاب لمؤلِّف سُني.

**١ـ الكتاب للمؤلِّف الشيعي هو كتاب (سُليم بن قيس الهلالي) (ت: ٧٥هـ):** وكان تابعيًّا من أصحاب أمير المؤمنين، وهو ثقة في حدِّ ذاته، وأدرك الحسن والحسين (عليهما السلام) والإمام زين العابدين، وتوفِّي في أيام الإمام زين العابدين[1].

أَلَّف كتاب جمع فيه بعض الرّوايات التي يرويها أمير المؤمنين عن النبي، وأكثر الرّوايات في الحلال والحرام، وروى روايات عن سلمان الفارسي وعن أبي ذر وعن المقداد، وربما أشار فيها إلى بعض الأحداث التأريخية أيضًا.

هذا الكتاب كان موجودًا في عهد الأئمة، وكان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يقدِّرون هذا الكتاب ويُرجعون شيعتهم إلى هذا الكتاب؛ لأنَّه كتاب فيه أحكام الحلال والحرام وأحاديث مروية، ويعتبر أصل من الأصول الأربعمائة.

يبدو أنَّه إلى فترة الغيبة الصغرى فُقد الكتاب، كما فُقدت الكثير من الكتب لأسباب ما جرى على الشِّيعة وعلى علماء ومحدِّثي الشِّيعة، وهناك أناس استغلّوا فقدان الكتاب واستغلّوا أهميّة الكتاب فأخذوا يضعون أو يختلقون أحداثًا تأريخية بأن يضعون بعض الأحداث وينسبونها إلى سُليم بن قيس الهلالي، إلى أن جاء الشَّيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ) ـ والشَّيخ المفيد شيخ الشِّيعة عمومًا ـ وقال بأنَّ

---

(١) السيد أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث ٩: ٢٢٦، رقم (٥٤٠١).

الكتاب الموجود بين أيدينا والمنسوب لسُليم بن قيس ليس هو كتاب سُليم[١].

فكيف اكتشف الشَّيخ المفيد ذلك؟ وَجَدَ الشَّيخ المفيد بأنَّ المؤلِّف يؤمن بأنَّ الأئمة ثلاثة عشر إمامًا ـ نحن لا نعتقد بذلك ـ وأنَّ الإمام الثالث عشر هو زيد بن علي بن الإمام الحسين[٢]؛ فتتبَّع الشَّيخ المفيد الكتاب الموجود ـ وهذا الكتاب موجود حاليًا ومطبوع ـ فاكتشف أنَّ مَن وضعه شخص له علاقة بشخص آخر زيدي.

وموقف علمائنا من هذا الكتب ـ الموجود حاليًا ـ هو الرَّفض وعدم قبوله، وأقصد هذا الكتاب الموضوع والمنسوب لسُليم، وليس ذلك الكتاب الذي كان على عهد الأئمة (عليهم السلام)، فذلك مصدره موثوق ولكنّه فُقد فحلَّ مكانه هذا الكتاب وأخذ نفس العنوان.

فانظر كيف أنَّ النَّقد يكشف لنا أنَّ هناك تلاعب حتى بالمصادر.

**٢ـ كتاب (الإمامة والسياسة) المعروف أنَّه من تأليف ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ):** وهو عالم كبير من أهل السُّنة وهو موضع ثقة واحترام، يأتي بعض الباحثين من إخواننا السُّنة ويرفضون نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة؛ وذلك لأنَّ فيه أحداث تلتقي مع عقيدة الشِّيعة ولا تلتقي مع عقيدة السُّنة[٣].

ويبقى الكتاب معركة بين الباحثين؛ فهناك من يقول أنَّه لابن قتيبة، وهناك

---

(١) الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقادات: ١٤٩.

(٢) لاحظ: الشيخ النجاشي، رجال النجاشي: ٤٤٠، رقم (١١٨٥)؛ السيد أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث ٩: ٢٢٦.

(٣) لاحظ: الدكتور علي بن نفيع العلياني، عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٨

من يقول أنّه ليس له.

مثلاً من الأحداث التي ذكرها ابن قتيبة ولا أريد أن أذكر الأحداث الخطيرة، أذكر حدثًا واحدًا فقط: يذكر ابن قتيبة في كتابه عن الوليد عقبة بن أبي معيط ـ وهو أخو عثمان بن عفان لأمّه ـ أيّام عثمان بن عفان عُيِّن واليًا على الكوفة (إذ صلّى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات، ثم قال لهم: إن شئتم أزيدكم صلاة زدتكم)[1]، فاستاء أهل الكوفة من ذلك وكوَّنوا وفدًا وذهبوا إلى عثمان وأخبروه، فاستدعى عثمان أخوه وأقاله من ولاية الكوفة وأقام الحدَّ عليه.

يأتي بعض الباحثين الآن ليقول إنَّ هذا الكتاب ليس لابن قتيبة، بل وضع الكتابَ شخص شيعي، وذلك لأنَّ عُقبة صحابي، والصحابي عادل لا يصدر منه مثل هذا الفعل!

وأنا لَّما أذكر هذه الأمثلة أريد أعطي فكرة عن النَّقد.

## (الروافض) و(النواصب)، محاولة للتزوير

مثال آخر في العقيدة، في العقيدة عندنا (الرَّوافض) و(النَّواصب) مرّوا في التأريخ، ولازال لهم وجود إلى الآن، طبعًا لا أعني بالرَّوافض أنتم.

فلنكن صريحين، كلمة روافض أصبحت الآن كلمة نبز يُطلقها إخواننا السُّنة على جميع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) كنوع من التَّحقير، وبالمثل تمامًا كلمة النَّواصب التي يُطلقها الشِّيعة على السُّنة تُعطي نفس المعنى تقريبًا.

من أين جاءت كلمة رافضة وأين تُستعمل؟ أقدم من استخدم كلمة رافضة

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١: ٥٠.

هو الإمام الباقر (عليه السلام)، وقصة هذه الكلمة: إنَّه كان هناك شخص من أصحاب الإمام الباقر اسمه المغيرة بن سعيد، كان يروي عن الإمام الباقر وكان شخصًا مستقيمًا.

المغيرة كان من أهالي الكوفة، والكوفة محاذية لبلدة الحيرة التي تعتبر معقل ديني من معاقل النَّصارى ـ أي عاصمة دينيّة من عواصم النَّصارى ـ الذين كانوا يتردَّدون على الكوفة.

ولما نقرأ تأريخ هذا الشَّخص، نرى أنَّه كان يلتقي بامرأة نصرانية(١)، وهؤلاء النَّصارى لديهم غلو بالسَّيد المسيح (عليه السلام).

والغلو على نوعين:

١ـ غلو ارتفاع: بأن يُرفع الولي ويُعطى صفة خاصة من صفات الذَّات المقدَّسة (الله)، نقول مثلاً هذا الولي يُحي ويُميت، وهذه صفة خاصة بالله، نقول هذا الولي يُغني ويُفقر، وهذه خاصة بالله، وهذا محرَّم عندنا وعند جميع المسلمين إلاّ الغلاة أنفسهم.

٢ـ وغلو انخفاض: بأن يُنزَّل من مستوى الأولياء إلى مستوى عامّة الناس، يعني نجرِّده من الصِّفات التي يستحقّها، وهذا مايفعله النَّواصب بالنِّسبة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) فهم يجرِّدون أهل البيت من الإمامة ومن العصمة ويعتبرونهم أناس عاديين تمامًا، فهذا نوع من الغلو ولكنه غلو انخفاض.

كان عند النَّصارى غلو ارتفاع، فكانوا يغالون بالسَّيد المسيح بأن يقولوا أنَّه ابن الله وكذا، تعالى الله عن ذلك.

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ٢٢٤، رقم (٤٠٣).

فأخذ المغيرة بن سعيد يتأثَّر بأفكار النَّصارى، ورأى أنَّ الذي يُناسب الولي هو أن يكون هكذا وليس ما يعتقده الشِّيعة أصحاب الإمام الباقر.

هذا الغلو كما تفعله النَّصارى ـ وليس كما يفعل الشِّيعة أصحاب الإمام الباقر ـ ربما كان له تأثير من قبل الحُكم الأموي بشكل أو بآخر لكثرة ما كان النَّصارى في البلاط الأموي؛ حيث كانوا موجودين بكثرة في بلاط الأمويين فربما يكون هذا له تأثير.

وبالتَّالي أخذ المغيرة يغالي في شخصية الإمام الباقر، فادَّعى أنَّ الإمام الباقر نبي، ومن ثم ادَّعى أنهَّ إله.

كان المغيرة في الكوفة والإمام الباقر في المدينة، ولمَّا عَلِمَ الإمام الباقر بذلك تبرَّأ من المغيرة ولعنه وأمر الشِّيعة بالتَّبرأ منه ورفضه، وسمّاهم (المغيرية الرافضة)، لأنهَّم رفضوا قوله[1].

فأوَّل من أطلق هذه العبارة وهذا العنوان الجميل هو الإمام الباقر، تعليقًا على هؤلاء الغلاة. وأنا قرأت في بعض كتبهم الموجودة الآن، يفتخرون بأنهَّم غلاة، وطبعًا كتبهم لا تُنتشر.

الإمام الباقر كان في العهد الأموي وتوفي في سنة ١١٤هـ قبل سقوط الدَّولة الأموية حيث أنهَّا سقطت في سنة ١٣٢هـ الآخرون رأووا أنَّ الإمام الباقر (عليه السلام) استخدم كلمة روافض لتنفير الناس من الغلاة، فأرادوا استخدامها على عموم الشِّيعة لتنفير المسلمين من الشِّيعة، فاختلقوا حادثة تأريخية ـ وهذا ما يرتبط بموضوعنا ـ وللأسف أنَّ هذه الحادثة مذكورة في بعض كُتب الشِّيعة؛

(١) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام ١: ٤٩.

وكانت الحادثة حول زيد بن علي بن الحسين (ت: ١٢٢هـ) فهو ابن زين العابدين وأخو الإمام الباقر، وهو معروف من علماء أهل البيت ومن أعاظم شخصيات العلويين، وكان يُجلّ من قِبل الأئمة (عليهم السلام).

عندما أراد أن يثور ضد الأمويين وذلك بعد أن بايعه الكوفيّون، كما كاتبوا جدَّه الحسين وطلبوا منه أن يأتي ليثور ضد الأموين، وكان زيد معروفًا بالشجاعة وله كلمة مشهورة عندما أراد أن يتحرَّك (لم يكره قوم حرَّ السيوف إلاّ ذلّوا)[١]، وقبل أن يتّجه زيد إلى الكوفة ذهب إلى الإمام الصادق وهو يقول بإمامة الإمام الصادق ـ يعني لم تكن عنده عقيدة تختلف عن عقيدة أئمة أهل البيت ـ والذي يروي هذا هو راويه الخاصّ الواسطي[٢]، وموقف الأئمة كذلك منه يدلّ على ذلك، جاء إلى الإمام الصادق وأخبره بعزمه على الثورة، والإمام الصادق لم يمنعه ـ وليس كما يقول الخطباء ـ بل كان موقفه كما ورد عنه: (رحم الله عمي زيدًا إنَّه دعا إلى الرضا من آل محمَّد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكُناسة فشأنك. فلما ولّى قال جعفر بن محمَّد: ويلٌ لمن سمع واعيته فلم يجبه)[٣].

الآن ما هو موقف الإمام زيد من كلام الإمام الصادق؟ خرج على أساس أنَّ الإمام الصادق ينقل هذا من (كتاب علي) وهو بإملاء الرسول (صلى الله عليه وآله)، يعني أنّه كان من علم الغيب الذي أعطاه الله تعالى للنبي محمَّد (صلى الله

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ٢: ١٧٣.

(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي: ٦٣٧.

(٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ١: ٢٢٥.

عليه وآله) وأعطاه لأمير المؤمنين وبقي في كتابه، إذا كان هكذا فزيد أمام أمر واقع، وأنّ هذا لابدّ وأن يحدث. لم يمنع الإمام الصادق الشّيعة من الخروج معه، بل أعطاهم الضوء الأخضر كي يخرجوا معه.

أبو حنيفة (ت: ١٥٠هـ) رئيس المذهب السُّني المعروف كان يُجلّ زيدًا، أيضًا أمر أتباعه بالخروج مع زيد وموّل حركة زيد[١]؛ لذلك يقول بعض مؤرِّخي أهل السُّنة بأنَّ أبا حنيفة شيعي، لأنَّه يُجلّ زيدًا وتلميذ من تلامذته[٢].

والقصة التي جاءت بكلمة الرَّافضة: قالوا بأنَّ شيعة الإمام الصادق رفضوا الخروج مع زيد، لماذا؟ لأنَّ زيد قال لهم إذا أردتم أن تخرجوا معي لابدّ من أن تعترفوا بخلافة الخلفاء السَّابقين على علي، فرفضوا الاعتراف؛ فسُمّوا بالرافضة[٣].

هذا الشيء لا واقع له، وزيد لا يقول هذا، وهم أيضًا كما ينقل التأريخ خرجوا معه، ولكن الجماعة تمسَّكوا بهذا القضية المختلقة وأطلقوا كلمة رافضة على الجميع، وأصبحت كلمة نبز.

انظر كيف يتحرَّك التأريخ؛ أخذ كلمة من الإمام الباقر وتحرَّك هذا التحرّك واختلق هذا الكلام على لسان زيد وعلى لسان شيعة الإمام الصادق (عليه السلام)، ونقل هذه الكلمة حتى أصبحت عامَّة تُطلق على كلّ الشِّيعة، مع أنَّها

---

(١) ابن البزازي، مناقب أبي حنيفة ١: ٥٥، نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة، الإمام زيد: حياته وعصره، آرؤه وفقهه: ٧٤.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة، أبو حنيفة: حياته وعصره، آراؤه وفقهه: ٧٩.

(٣) لاحظ مثلاً: أحمد بن محمد المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١: ٢٣٢.

مختصة بالغلاة من الشّيعة. أيضًا هذه من الأحداث التأريخية.

فنحن هنا أمام تأريخ مليء بالاختلاق، من هنا لا ينبغي لنا أن نتسرّع في قبول ما يُذكر في كتب التأريخ.

ومن هنا أقول: يجب على خطباء المنبر الحسيني أن يدرسوا علم التأريخ، وأن يدرسوا أصول محاكمة الأحداث التأريخية، ليست القضية أن يوجد هذا القول في الكتاب الفلاني للعالِم الفلاني، لا.

فأيّ كتاب تأريخ حتى لو كان المؤلّف من أوثق العلماء، هو لا يخلو من مغالطات ومن مفارقات ومن أخطاء، فلا ينبغي أن كلما نقرأ في كتب التأريخ نعتبر هذا الذي نقرؤه كان واقعًا وننقله، وذكرت أمثله من هذا وهناك أمثلة كثيرة.

فإذا أردنا أن نقرأ كتاب تأريخ لابدّ لنا أن نعرف شخصية المؤلّف، ونعرف الرّواة الذين يروون الحادثة، ثم ندرس نفس الحادثة بتأني وتأمّل، ونرى هل يمكن أن تقع؟ وهل فعلاً وقعت، أولم تقع؟

وإذا أردنا أن نقرأ، نقرأ بيقظة وحذر ووعي كامل، ونحاكم الحادثة التأريخية وبعد هذا نستطيع أن نقول أنّ هذه واقعة أو ليست بواقعة.

شيء أخير أقوله كمثال وأُنهي الموضوع: هناك حديث يروى على لسان الإمام علي يشير فيه للإمام الحسن (عليه السلام) يقول: (**لا تزوّجوا الحسن فإنّه رجل مطلاق...**)[1] لو عددنا زوجات الإمام الحسن (عليه السلام) لوجدنا أنّهم أقلّ

(١) الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، وسائل الشيعة ٢٢: ١٢، وهناك عدد من الروايات بهذا المضمون.

بكثير من عدد زوجات بعض الصحابة، فكيف يكون مزواجًا؟

لماذا وضع هذا الحديث؟ يريد الأمويون أن يقولوا للناس الذين يختارون الإمام الحسن خليفة: إنَّ هذا الخليفة لا يفيدكم، وهذا مشغول بالنساء، فاختلقوا هذه القضية، ولورجعنا إلى عدد الزوجات التي تزوجهن الإمام الحسن نجده عدد قليل[1]، أقل بقليل حتى من إخوانه أيضًا.

فالتأريخ مليء بالكثير من الحوادث المختلقة؛ من هنا يجب أن لا نتَّسرَّع في ما يُذكر في التأريخ، كذلك لا نتسرَّع بقبول ما يقوله الخطباء ـ مع احترامي هم ـ الخطباء يقرأون (أسود بأبيض) باستثناء الشَّيخ الوائلي (ت: ٢٠٠٣م) ومدرسته، أمَّا ما عداه فيقرأ (أبيض بأسود). ويأتي ويقرأ ويذكر لك أشياء لا أعلم من أين أتى بها.

وسأذكر لك مثالاً: معروف عندنا أنَّ الذي احتزَّ رأس الإمام الحسين هو شمر، ولكن كتب التأريخ تذكر سنان[2]، ولكن ورد شمر في أحد المقاتل.

فهل الخطيب كلَّف نفسه أن يدرس هذه القضية ويخرج بنتيجة!! لا داعي إلى أن يُتعب نفسه، فالناس تقبل منه، وهو يريد أن يبكّيهم وبالصوت العالي يبكّيهم.

فنحن يجب علينا إعادة النظر في واقع هذا التأريخ، وعدم التَّسرع في قبول ما هو مذكور في كتب التأريخ، إلاّ بعد النَّقد والتَّمحيص والتَّفتيش.

وأستميحكم العذر بهذا الكلام الطويل.

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) لاحظ مثلاً: الشيخ المفيد، الإرشاد إلى معرفة حجج الله على العباد ٢: ٢٠.

(٢) ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢: ٨٢٧.

## مدخل تمهيدي (٢)

# الجدوى من إعادة كتابة التأريخ[١]

(١) أُلقيت سنة ١٤١٧هـ، في البرنامج الثَّقافي الرَّمضاني السَّابع، في حسينية النَّاصر بمدينة سيهات.

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

الموضوع كما سمعتم عنوانه: (**جدوى إعادة كتابة التأريخ**)، فما هي الفائدة من إعادة كتابة التأريخ؟

الموضوع طُرح أكثر من مرّة وفي أكثر من مكان، وعُقدت له مؤتمرات وندوات وأُلقيت فيه محاضرات، وكُتبت فيه أبحاث نُشرت في مجلات آكاديمية ومقالات في الصُّحف اليوميّة.

لا معنى لأن يُقال (إعادة كتابة التأريخ)؛ لأنَّ التأريخ من حين ما بدأ أوّل مؤرِّخ بكتابة سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وحتى الآن وهو يُكتب.

ففي الجامعات هناك أقسام تأريخ وفيها أقسام لدراسات عليا، ويُلزم فيها الطلاب بكتابة أطروحات أو رسائل في موضوع من موضوعات التأريخ، وأقسام التأريخ موجودة في معظم جامعات العالَم؛ فمعنى هذا أنَّ هناك كمًّا وفيرًا من الأطروحات الجامعية كُتبت في التأريخ.

إضافة إلى هذا، أساتذة التأريخ في الجامعات كتبوا موسوعات في التأريخ الإسلامي، وإلى جانب هذا المؤلفون خارج الجامعات سواء حوزويين أو غير حوزويين أيضًا كتبو في التأريخ؛ فكتابة التأريخ مستمرة، فماذا يُعنى إذًا بكتابة التأريخ؟

## معنى إعادة كتابة التأريخ

المشكلة يمكن أن نلخصّها في أنَّ التأريخ عندما كُتب من قِبل المؤرِّخين العرب المسلمين: كاليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ) والطبري (ت: ٣١٠هـ) والمسعودي (ت: ٣٦٤هـ) وابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) وابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) وغير هؤلاء، عُرضت في هذه الكتب الأحداث التي وقعت في التأريخ وكانت الأحداث تُعرض عن طريق (الرِّواية)، وهو المنهج القديم الذي يتَّبعه المؤرخون العرب والمسلمون؛ فالمؤلِّف يقول أروي عن فلان عن فلان ويذكر الحادثة التي حدثت، وإن كان هناك تعليق فهو تعليق خفيف ليس فيه أيَّ تحليل علمي، وليس فيه تعليل مهم إن وُجد.

## الحوادث التاريخية وأثرها في معاناة المسلمين

عندما كُتبت هذه الحوادث أفرزت لنا مفاهيم عانى القدامى منها ونحن نعاني منها والأجيال التي ستأتي ستعاني منه؛ هذه المفاهيم أو المبادئ هي التي تحتاج إلى دراسة وتصحيح.

من هذه المفاهيم، المبدأ الذي يتردَّد دائمًا على ألسنة المؤرِّخين، وألسنة علماء الحديث وألسنة الكثير من المثقَّفين بالثقافات الإسلامية والعربية، وهو: **هل الحقُّ يعرف بالرجال، أو الرجال يُعرفون بالحقّ؟**

أذكر هناك بعض الأمثلة، ثم آتي على توضيحها:

## توزيع بيت مال المسلمين، تجاذب النَّص والاجتهاد

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفَّان (ت: ٣٥هـ) بُويع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) (ت: ٤٠ هـ) بالخلافة، وكان رافضًا لها ولكن الثُّوَّار والناس الموجودين بالمدينة هجموا على الإمام ودِيس الحسنان (عليهما السلام)[١]، وفُرضت الخلافة على الإمام فرضًا، لماذا لم يتقبَّل الإمام الخلافة؟ لأنَّ التَّركة كانت ثقيلة وتصفيتها أثقل، فلم يُرِد أن يورِّط نفسه وهو يعلم أنَّه لن يستطيع تصفية التَّركة التي خلَّفها مَن قبله، مع هذا فُرضت عليه الخلافة.

عادة الخليفة ورئيس أيّ دولة أو الملك أو رئيس الجمهورية أوّل ما يتسلَّم السُّلطة يُلقي خطاباً، وإذا كان ملكًا يسمّى خطاب العرش، وإذا كان خليفة ويسمى الخطبة الأولى، وهذه الخطبة تشتمل على البرنامج لأعماله الإدارية التي

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة (٣).

سيقوم بها.

الإمام عندما تسلّم سلطة الخلافة ألقى الخطبة، وذكر في الخطبة إنَّه سوف يوزِّع الأموال التي تأتي إلى بيت مال المسلمين من مختلف أنحاء البلاد الإسلامية على المسلمين بالسَّواء، لا فرق بين عربي ولا أعجمي ولا فرق بين سيد وعبد[1].

كان الخليفة عثمان قبله يوزِّع بالتَّفاوات[2] وقبله كان الخليفة عمر (ت: ٢٣هـ) يوزِّع بالتَّفاوت في أُخريات خلافته[3]؛ وذلك بتقسيم المسلمين إلى طبقات: الطبقة الأولى: أهل السَّابقة إلى الإسلام وتُعطى أكثر من باقي الطبقات، الطبقة الثانية: زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) ويُعطون أقلّ من الطبقة الأولى وأكثر من الطبقة الثالثة.

ولمَّا جاء عثمان وتسلّم السلطة، قدَّم بني أبي أميّة، فجعل الطبقة الأولى: بني أميّة وهي أسرته، ثم الطبقة الثانية: أهل السَّابقة بالإسلام، ثم زوجات النبي (صلى الله عليه وآله)، وهكذا.

طلحة (ت: ٣٦هـ) والزبير (ت: ٣٦هـ) من المسلمين الأوائل، في أيام عمر كانا من الطبقة الأولى فأكثر العطاء يكون لهم، وأيام عثمان أصبحوا في الطبقة الثانية، ويأخذون أكثر من الطبقات الأخرى الثَّالثة والرَّابعة والخامسة، فلمّا جاء أمير المؤمنين وقال أنَّه سيوزِّع بالسواء؛ لأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يوزِّع هذه الأموال بالسَّوية وحتى في أيام الخليفة أبي بكر (ت: ١٣هـ) كانت

---

(١) لاحظ: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ٧: ٣٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣: ٦٤.

(٣) أحمد بن يحيى البلاذري، فتواح البلدان ٣: ٥٥٠.

توزَّع بالسَّوية.

والذي كان يهم الإمام (عليه السلام) أن يوزّعها وفق الحكم الشَّرعي الصادر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصًّا وفعلاً، فكان النبي يقول أنَّها توزَّع بالسَّواء وكان يوزّعها بالسَّواء.

جاءه طلحة والزبير وطلبا منه أن يأخذ بتوزيع الخليفة عمر أو الخليفة عثمان، فرفض[1]؛ لأنَّ التَّوزيع كان اجتهادًا من عمر ومن عثمان، والاجتهاد في مقابل النَّص الشَّرعي مرفوض، وهذا باتّفاق المسلمين ولا يختص به أهل البيت حتى الصحابة على هذا، فلم يحد عن سيرة رسول الله.

ولمّا خرج طلحة والزبير من المدينة واتَّجها إلى البصرة، فخطبوا عددًا من الخطب، وفي إحداها بعد أن خطب طلحة قام له مجموعة من أهل البصرة وأنكروا عليه خروجه على أمير المؤمنين، وتسائلوا عن سبب نقضهما للبيعة، ومما قاله أحدهم: (فوالله ما ندري بماذا نقمتم عليه: هل استأثر بمال؟ أو حكم بغير ما أنزل الله؟ أو أحدث حدثًا منكرًا؟ فحدِّثونا به نكن معكم، فوالله ما نراكم إلاّ قد ضللتم بخلافكم له)[2].

فعندنا تصرّف الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا يوجد مسلم يقول إنَّ تصرفات النبي (صلى الله عليه وآله) غير شرعية فالنبي لا يفعل إلا الحق، وعندنا اجتهاد عمر واجتهاد عثمان، والاجتهاد بطبيعته معرَّض للخطأ فقد يصيب الواقع وقد يخطأه.

والاجتهاد في مقابل النَّص ـ بإجماع المسلمين ـ مرفوض، فكان هؤلاء الرجال

---

(١) الشَّيخ الطوسي، الأمالي: ٧٢٩.

(٢) الشَّيخ المفيد، الجمل: ٣٠٦ـ٣٠٨.

يتساءلون: هل المقياس في القبول والرفض هو الحكم الشَّرعي، أو تصرّفات الرجال؟ المفروض أن يكون المقياس هو الحكم الشَّرعي، وليس تصرّفات الرجال التي قد تأتي مخالفة للحكم الشَّرعي.

## سياسات معاوية ومحاولة التَّبرير في قبال النّص

عندما استتبّت لمعاوية (ت: ٦٠هـ) سلطة الخلافة بعد اعتزال الإمام الحسن (عليه السلام) (ت: ٥٠هـ) واستقراره في المدينة، صدَّر معاوية قرارًا ـ وهو موجود في كتب غير الشِّيعة أكثر مما هو موجود في كتب الشِّيعة ـ ووزّع هذا القرار الرّسمي على الأقطار الإسلامية بوجوب سبّ علي (عليه السلام) في خُطب الجمعة، بعد هذا صدرت قرارات آخرى متلاحقة: الشِّيعة أتباع علي لا يوظَّفون وإذا كان هناك شيعي موظّف يفصل من الوظيفة، وإذا كانت هناك عطاءات من بيت المسلمين لأتباع علي تقطع هذه العطاءات، وإذا عُرف شخص من أتباع علي كان مصرًّا على متابعة علي (عليه السلام) تُهدم عليه داره[1].

والشّاهد على هذا قصة حجر بن عَدي (ت: ٥٢هـ) المدفون في عذراء والتي تبعد عن دمشق حوالي (٢٥) كيلو تقريبًا، فهو من أصحاب الرسول ومن أصحاب أمير المؤمنين ومن علماء وأجلاّء المسلمين، وقد استدعاه معاوية أن يحضر إلى دمشق، وعندما وصل إلى مرج عذراء أرسل له معاوية مَن يطلب منه البراءة من علي بن أبي طالب (عليه السلام) أو يُقتل هو ومَن معه، وكان عددهم سبعة[2].

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤ وما بعدها.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٠.

## الأحداث التاريخية، معايير القبول

التّساؤل الموجّه على هذه التّصرفات وأمثالها: هل هذه التّصرفات شريّعة أو غير شرعية؟

فمثلاً: هل سب علي من قِبل معاوية، والأعمال الأخرى التي قام بها شرعية أو غير شرعية؟

هناك مذهبان:

**المذهب الأوّل:** تعرض هذه الأحداث على النّصوص الشّرعية والأحكام الشّرعية، فإن كانت موافقة للنّصوص فهي شرعية، وإن لم تكن فهي غير شرعية.

لنأخذ نصًا واحدًا يُروى في كتب الحديث السُّنية والشِّيعية؛ عن أمّ سلمة زوج الرسول (صلى الله عليه وآله) تقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: **(من سَبَّ عليًا فقد سبَّني، ومن سَبَّني فقد سَبَّ الله تعالى)**[1]، وهذا نصّ صريح في حرمة سبّ علي.

آخرون يبرِّرون هذا ويقولون أنّ معاوية اجتهد فأخطأ، وهذا يعني أنَّ عمله مشروع لا يؤاخذ عليه.

فعندنا هنا مقياسان؛ **الأوّل:** النَّص المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله)، **والآخر:** الاجتهاد، حتى لو كان خاطئًا فيكون مبرَّرًا ولا يؤاخذ صاحبه.

فبماذا نفسِّر هذه الحوادث؛ هل نفسرها بالنَّص الوارد عن رسول الله ونتخَّذ

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢١؛ الشَّيخ الطبرسي، الاحتجاج ١: ٢٠٥.

منه مقياسًا، أو نفسِّرها باجتهاد الرجل ونتَّخذ من الرجال مقياسًا؟

إنَّ اختيار أحد المذهبين كان له انعكاسات على عقيدة المسلمين وعلى تشريعهم؛ فهناك أكثر من مذهب يحتجّون بتصرّفات الرجال كالخلفاء الأمويين والعباسيين وإن كانت مخالفة للنُّصوص الشَّرعية.

وآخرون يرفضون هذا، ويذهبون مع النُّصوص الشَّرعية، فيفسِّرون الحوادث بالنُّصوص الشَّرعية.

هذه الحادثة ذُكرت في التأريخ وأفرزت لنا ـ قهرًا ـ هذا التَّوجّه: أنَّ تتخذ بعض المذاهب اجتهادات الرجال المقياس المبرِّر، فلو جاء حاكم آخر واجتهد سيكون اجتهاده مبرَّرًا أيضًا.

## مخالفة الأحكام الشَّرعية تحت ظلّ التَّبرير الاجتهادي

يروي أبو الدَّرداء (رضي الله عنه) (ت: ٣٢هـ) وهو من الصحابة المشهورين، يروي (إنَّ معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال أبو الدَّرداء: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن مثل هذا، إلاَّ مثلاً بمثل، فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأسًا، فقال أبو الدَّرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها)[1]، يأتي الآخرون ليقولوا هو اجتهد فأخطأ.

## قتل الحسين (عليه السلام) اجتهاد مبرَّر

الإمام الحسين (عليه السلام) (ت: ٦٠هـ) قُتل بأمر يزيد (ت: ٦٤هـ)، ويأتي

---

(١) الإمام مالك، الموطأ ٢:٦٣٤.

ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ) يبرر ويقول بأنَّ يزيد اجتهد، وهو مصيب مأجور[1].

فيبرِّر قتل الحسين بأنّ يزيد اجتهد ولو كان مخطئًا في اجتهاده؛ وهذا يعني أنّه لا يؤاخذ على الخطأ.

هذا الذي أفرزه لنا التأريخ فيه خطورة كبيرة جدًا؛ فأيّ حاكم يستطيع أن يفعل أيّ فعل يريد ويقول بأنّ هذا اجتهاد واجتهدتُ وأخطأتُ، وبعد أن ينتهي من الفعل الذي يريده يكون مبرَّرًا.

## المساهمون في إفراز المفاهيم السَّلبية من التاريخ

١. وضع معاوية لجنة للوضع في الأحاديث ـ ولا أريد أن أذكر أسمائهم لأنَّ فيهم من أعظم محدّثي المسلمين ـ وصدّر أوامر أن توضع أحاديث في ذمّ علي بن أبي طالب وكان يُعطيهم على هذا الوضع عطايا ضخمة[2].

كما أمرهم أن يضعوا أحاديث في مناقب بعض الصَّحابة وينشروها[3].

٢. إلى جانب الوضَّاعيين كانت عنده القرّاء الذين يقرأون القرآن، وهؤلاء دائمًا متواجدون في المسجد بثيابهم الرّثة ليظهروا الزّهد، ويقرأوا القرآن ويصلّون، والمسلمون لا يُشكّكون في تديّنهم.

فيأتي من يقول أنَّ معاوية استولى على الخلافة وأقرّه على ذلك قرّاء المسلمين، وهؤلاء لهم احترامهم.

---

(١) ابن العربي، لعواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص): ٢٣٤.

(٢) لاحظ: ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة ٤: ٦٣ وما بعدها.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤ وما بعدها.

هذه الطريقة أفرزت لنا هذه المفاهيم التي لازلنا نعاني منها، وفي رأيي هي التي تحتاج إلى دراسة.

قرأت في جريدة الشرق الأوسط وهي من أوسع الجرائد العربية انتشاراً في العالَم، لديهم الآن ملف حول الأصولية، يستفتون فيه المفكرين والكُتّاب حول الحركات الإسلامية التي تُسمَّى بالأصولية. في إحدى الحلقات تناولوا التأريخ ونقلوا كلمة سأنقل الكلمة وأعلّق عليها: **(إنَّ رجال الدِّين والفقهاء المقرَّبيين من البلاط [وهو محلّ الحكم]، هم الذين جهّلوا الشَّعب من ألف سنة وجعلوه غير قادر على فهم القرآن)**.

في الواقع ابتعادنا عن أخذ الحقّ من القرآن الكريم والسُّنة الشَّرعية، بسبب هذا اللون من التَّبريرات التي تصدر من هؤلاء.

وقد أفرز لنا التأريخ مجموعة كثير من المفاهيم التي أصبح الآخرون يحتجّون بها، وهي التي تحتاج إلى دراسة وإلى تصحيح، فعندما نقول إعادة كتابة التأريخ حتى نستطيع أن نصحِّح هذه المفاهيم بما يلتقي والشَّريعة الإسلامية، وبما ينتفع به الناس.

## شخصيّة المؤرّخ ودورها في كتابة التاريخ

قلت إنّ التأريخ القديم كُتب بشكل روايات، وبالتّالي فشخصية المؤرِّخ لها دور، فالمؤرِّخ عنده عقيدة معيّنة وينتمي إلى مذهب معيّن وعنده خلفيّات من الثقافة، هذه كلها تلعب دورًا في صياغة ما يكتب من التأريخ؛ فإن كان الرواي متعصبًا ضدّ علي (عليه السلام) أو متعصّبًا لعلي، فهذا التّعصب سيلعب دوره.

فمثلاً أحمد أمين (ت: ١٩٥٤م) وهو من المؤرِّخين المعاصرين وصاحب الكتب (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) و(ظهر الإسلام)، كَتَبَ في التأريخ الإسلامي على أساس حضاري كما يفعل الغربيون ـ وهو أوّل مَن كتب من المعاصرين بهذا اللّون من الكتابة، إذ كان استاذًا في جامعة القاهرة ـ تحدّث عن العصر العباسي وازدهار الثقافة في هذا العصر، وعندما يأتي لذكر **الإمام الصادق** (ت: ١٤٨هـ) يقول إنّه كان صاحب زجر وفأل[١]، هذا رأيه في **الإمام الصادق** وهو أكبر علماء المسلمين.

يكتب أيضًا عن الشيعية فيقول: (والحقّ أنَّ التَّشيع كان مأوى يلجأ إليه كلّ من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يُريد استقلال بلاده والخروج على مملكته)[٢]، هذا رأيه في علماء الشِّيعة وشخصيات الشِّيعة الذين خدموا الإسلام.

بعد أن صنّف كتابه زار النَّجف وكان ضمن وفد قدم بغداد في سنة (١٣٤٩هـ) وأرادوا زيارة **الإمام امير المؤمنين** (عليه السلام)، واجتمع بالشَّيخ

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام: ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٦.

**محمَّد الحسين آل كاشف الغطاء** (ت: ١٣٧٣هـ) وكان من أكبر علماء الشِّيعة ومعروف المستوى عند المسلمين وغير المسلمين، فعاتبه بكونه أستاذًا جامعيًا ومثقفًا ويتكلَّم عن **الإمام الصادق** هذا الكلام! وكيف يتكلَّم عن الشِّيعة، مع ما قدّمه الشِّيعة من خدمات وأعمال وإسهامات في نشر الإسلام، والدِّفاع عن الإسلام! فاعتذر **أحمد أمين** بقلّة مصادر الشِّيعة وعدم اطلاعه عليها[1]، فأهداه الشَّيخ مجموعة من الكتب ليصحِّح ما كتبه، لكنه ذهب ولم يصحِّح أيّ شيء.

مع أنَّ الكتب الشِّيعية ـ كما رأيتها ـ من أقدم الكتب الحجريَّة الموجودة في (دار الكتب المصرية).

وهذا مما دعى **الشَّيخ آل كاشف الغطاء** أن يكتب كتاب (أصل الشعة وأصولها).

---

(١) الشَّيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، مقدّمة أصل الشيعة وأصولها.

## المادّة التاريخية بين الانحصار وتنوّع الفروع

المواد التأريخية التي تُكتب عادة اقتُصر فيها على تأريخ الملوك والأمراء والخلافاء، ومع الأسف هذا هو التأريخ العربي أهمل الحضارة الإسلامية ولم يتحدّث عنها، وأهمل الشُّعوب والمجتمعات الإسلامية ولم يتحدّث عنهم إلاّ أشياء قليلة وخاطفة.

فالمعروف أنَّ تأريخ العرب هو تأريخ الحكّام، ويضفون عليه إضفاءات ضخمة، أمّا (تأريخ الشُّعوب) فهو موجود عند الغربيين، وممن كَتَب عن الشُّعوب الإسلامية بروكلمان (ت: ١٩٥٦م) المؤرِّخ الألماني المعاصر[١].

وكَتَبَ المحدثون في (تأريخ المجتمعات) كالدكتور علي الوردي (ت: ١٩٩٥م) في (لمحات عن تأريخ العراق الاجتماعي)، واستعرض فيه جوانب كثيرة من المجتمع العراقي.

(تأريخ الشَّخصيات العلمية أو الأدبية) كان موجودًا في القديم، وانتشر في الآونة الأخيرة.

(تأريخ الحضارات) مع الأسف العرب لم يكتبوا فيه، بينما الغربيّون كتبوا فيه الكثير وهذا الفرع مهم، فلو يُكتب فيه من قِبل المسلمين ويكون المؤرِّخ موضوعيًا لا يتحيَّز فسوف يقدّم تأريخًا أبيضًا ناصعًا، ولكن ما كُتب كان من الغربيين منه: (كتاب تاريخ الحضارات)[٢] في مجلّدات، وقد كُتب فيه عن

---

(١) له كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية)، ترجمه: نبيه أمين الفارس ومنير بعلبكي.

(٢) لعلّ مقصوده (معجم تاريخ الحضارات العام) في سبعة مجلّدات، بإشراف موريس كروزيه.

الحضارة الإسلامية في حدود فهمه لها.

(المناقب والمثالب) وقد كُتب فيها كثيرًا، وهي مناقب الخلفاء والأولياء؛ كـ(مناقب الإمام الشافعي) لفخر الدِّين الرازي و(مناقب أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمَّد بن الحسن) للذَّهبي و(مناقب آل أبي طالب) لابن شهر آشوب، وفي نقد مناقب معاوية كما استعرضها الشَّيخ الأميني في كتاب (الغدير)[1].

إنَّ كتابة التأريخ لا تتوقّف، ولكن نحتاج إلى أن نصحِّح الأشياء التي لا تُخالف العقل أو صريح القرآن الكريم أو السُّنة القطعية لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، فالأحداث التي تخالف العقل أو القرآن أو السُّنة تُرفض ولا تُقبل.

---

(١) لاحظ ١١ : ٧٤ وما بعدها.

# خاتمة

أشرتُ أكثر من مرّة إلى نظرية (البطل)؛ وهي أنّ بعض الناس قد يكون في طفولته وقبل أن يتسلَّم المنصب لا يُعرف عنه أيّ شيء متميّز، ولكن عندما يتسلَّم المنصب يبدأ الكتّاب بإضافة الكثير من الأحداث المبالغ فيها، التأريخ فيه الكثير تبعات نظرية (البطل)، ونحن نحتاج أن نصحِّحه ونكشف الأخطاء الموجودة فيه ونستخرج الحقائق منه، حتى لا تكون له انعكاسات على حياتنا كالانعكاسات التي ما زالت موجودة، وقد دخلت بعض هذه الانعكاسات إلى الفقه وهي ليست من الفقه، ودخلت في العقيدة وهي ليست من العقيد، ونحن تمسّكنا بها ولا نزال نتمسّك بها وندافع عنها، وأثَّرت على تفكيرنا كثيرًا، فظاهرة التقديس مثلاً إحدى هذه الانعكاسات التي أثَّرت، فيتمّ التَّعامل مع آراء بعض الشَّخصيات المقدّسة كآراء معصومة لا تقبل النقاش، والمفروض أن النقاش مقبول إذا كان موضوعيًا، وكمثال مسألة طهارة الكتابي ونجاسته التي اختلف فيها الفقهاء، وما زال كلّ طرف يقبل مناقشة رأيه مادام النقاش موضوعيًا؛ فالحقّ واحد إمّا مع الطرف الأوّل أو مع الطرف الآخر.

هذه من المفرزات التي أفرزها لنا التأريخ، وتركها لنا كعبء ثقيل نعاني منها كثيرًا.

فنحن نحتاج أن نعيد النَّظر في التأريخ؛ لتصحيح مثل هذه المفاهيم والمبادئ التي دخلت في ثقافتنا كمقاييس، وأثَّرت على حياتنا، وشلَّت من الانطلاقة المبدعة التي تجعل المفكرين يبدعون.

## مدخل تمهيدي (٣)

# بعثة الأنبياء ووظائفهم(*)

(*) أُلقيت في مدينة الأحساء.

# وظائف النَّبي ﷺ انطلاقًا من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[١].

سيكون حديثي معكم في هذا اللِّقاء المبارك في معطيات هذه الآية الكريمة وحولها، وسندخل بعد هذا المنطلق لصلب الموضوع.

## ١. النّبوة لطف من الله تعالى:

تبدأ الآية الكريمة بما أشار إليه أخونا العزيز العلامة **الشَّيخ عادل العلي**[٢] من أنَّ بعثة الأنبياء لطف من الله تعالى، فالآية تقول ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ﴾ (المنّ) هنا معناه اللّطف والتَّفضل.

نحن نؤمن من خلال الدِّراسات المقارِنة التي تُجرى في علم الأديان المقارِن، والدِّراسات المقارِنة التي تُجرى بين الدِّين الإسلامي والقوانين والأنظمة

---

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) مقدِّم المحاضرة.

الوضعيّة، نؤمن من خلال هذا إيمانًا علميًا أنَّ بعثة الأنبياء وإنزال الرِّسالات من الله إلى البشر ضرورة حتميّة لابدّ منها، لكن ليس لنا أن نُصدر أحكامًا بالنِّسبة إلى الله فنقول هي واجبة على الله! قد يذهب بعض الفلاسفة أو بعض الحكماء إلى أن يقولوا هي واجبة عقلاً، ولكن نحن لا نريد أن نُصدر الحكم، من هنا يقولون: إنَّ بعثة الأنبياء وإرسال الرُّسل لطف من الله، وتفضّل من الله.

## ٢. بشريّة الأنبياء

أنتقل إلى الفقرة الأخرى ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، هناك مسألة تُثار دائمًا وبخاصة في القديم، وأشار إليها القران الكريم وهي: لماذا كان الرُّسل من الناس؟ لماذا كان الأنبياء من الناس؟ لماذا لم يكونوا ملائكة؟

الآية هنا تُشير إلى هذه المسألة بقوله ﴿رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني من البشر، وبطبيعة الحال عندما يكون النبي من البشر يكون أقرب إليهم، لماذا؟ لا أُريد أن أتحدَّث بلغة الفلاسفة أو بلغة القدماء: الأنبياء دعاة؛ والدَّاعية لابدّ وأن يكون من أبناء المجتمع، ويعرف طبيعة المجتمع، ونفسيّة أبناء المجتمع، وعقليات أبناء المجتمع؛ حتى يستطيع أن يبلِّغ رسالته لهذا المجتمع، من هنا كان الأنبياء من البشر.

## ٣. وظائف الأنبياء

ثم تُعدِّد الآية بعض وظائف النبي أو بعض مسؤوليات النبي، تقول:

**الوظيفة الأولى:** ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يعني يبلِّغهم القرآن الكريم، هذه

الوظيفة الأولى من وظائف نبينا محمَّد (صلى الله عليه وآله) وهي تبليغ الرِّسالة وتبليغ الإسلام.

النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) بلَّغ القرآن الكريم تبليغًا كاملاً وهذا موضع اتّفاق بين المسلمين، وأيضًا بلَّغ سنَّته تبليغًا كاملاً.

ولعلَّه من المفيد أن نُثير نقطة هنا؛ وهي الخلاف بين الشِّيعة وبين السُّنة حول وفاء الأحاديث التي بلَّغها النبي (صلى الله عليه وآله):

الشِّيعة تبعًا لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) يذهبون إلى أنَّ سُنة النبي (صلى الله عليه وآله)؛ أي الأحاديث التي رُويت عن النبي (صلى الله عليه وآله) كانت وافية وكافية بتزويد العلماء بقواعد وموادّ الأحكام الشَّرعية، ومن هنا قالوا لا يجوز الاجتهاد في غير فهم النَّص، فالاجتهاد يكون في فهم النَّص وفي فهم الآية القرآنية وفي فهم الحديث الشَّريف، ومحاولة استفادة الحكم من الآية القرآنية أو من الحديث الشَّريف بما يمتلك المجتهد من وسائل ثقافية تساعده على هذا الفهم.

باستثناء المذهب الظَّاهري[1] وهو من المذاهب البائدة، فإنّ معظم المذاهب الفقهية السُّنية المعاصرة وهي المذاهب الأربعة: المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي يقولون أنَّ النُّصوص الشَّرعية غير كافية في إعطاء الأحكام الشَّرعية؛ فهم يقولون مثلنا بـ(اجتهاد النَّص)، ويزيدون علينا بالقول بـ(اجتهاد الرَّأي) والذي يعني أنَّ المجتهد يحاول أن يتعرَّف المصلحة للفعل أو المفسدة للفعل، ويعطي الحكم على ضوء فهمه للمصلحة أو المفسدة.

---

(١) لاحظ: السَّيد محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن: ٣٢٠.

وبتعبير آخر يريدون أن يقولوا: التَّشريع الإسلامي كالتَّشريعات المدنية كالقوانين عندما تُوضع، يعني للمقلِّد وللمشرِّع أن يتعرَّف المصلحة أو المفسدة ويضع المادَّة القانونية على ضوء فهمه لواقع المصلحة أو واقع المفسدة.

قلتُ: إنَّ أهل البيت وأتباع أهل البيت يؤمنون بأنَّ النَّصوص التي أعطانا النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال أحاديثه وسننه كافية لإعطائنا الأحكام، وهذه النُّصوص مدوَّنة في كُتب دوَّنها الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بإملاء من رسول الله؛ فرسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يُملي عليه وكان الإمام علي يكتب هذه الأحاديث، وهذه الكتب التي دُوّنت فيها الأحاديث موجودة عند أهل البيت، ومن أشهرها الكتاب المعروف بين أئمة أهل البيت بـ(كتاب علي)، هذا الكتاب يجمع كلّ الأحاديث التي قالها النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان الأئمة يرجعون إليه في روايتهم للأحكام وفي إعطائهم للأحكام، وهناك شواهد تأريخية تشير إلى هذا وتقول أنَّ الإمام الصادق[1] والإمام الباقر يرجعان إلى هذا الكتاب، ففي رواية أنَّ الإمام الباقر يقول لأحد أبنائه: (يا بني! قم فأَخْرِج كتاب علي)، فأَخْرَج كتابًا مدروجًا عظيمًا وفتحه(ففتحه)، وجعل ينظر حتى أخرج المسألة[2].

الوظيفة الثانية: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، (التَّزكية) هنا بمعنى التَّربية، أي أنَّ النبي مربٍّ.

التَّشريع الإسلامي بما فيه من عقيدة ونظام لابدّ أن يكون له تطبيق؛ بمعنى

---

(١) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام ٩: ٣٢٤.

(٢) الشيخ النجاشي، رجال النجاشي: ٣٦٠، رقم (٩٦٦).

أن يجمع جانب النَّظرية وجانب التَّطبيق، فالنبي (صلى الله عليه وآله) عندما بلَّغ الإسلام بلَّغه نظريًّا، إذًا فنحن بحاجة إلى أن يطبَّق هذا الإسلام، وتطبيقه في سلوك الفرد وفي سلوك المجتمع.

التَّربية هي التي تقوم بدور التَّطبيق؛ بتكوين مسلمين يحملون المبدأ والرِّسالة ليواصلوا مسيرة الدَّعوة بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، فيزكيهم يعني يربّي ويكوِّن.

الآية القرآنية الأخرى التي تقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، ﴿أُخْرِجَتْ﴾ يعني كُوِّنت تكوينًا معيَّنًا وقُدِّمت للنَّاس؛ لتكون هذه الأمَّة شاهدة على الأمم الأخرى ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[2]، فإذا كنتُ مسلمًا غير مبدئي لا أفهم الإسلام ولا أطبِّق الإسلام على حياتي، لا أصلح لأن أكون شاهدًا على الآخرين، فالشَّهادة تتطلَّب أن أكون مسلمًا رساليًّا، يؤمن بهذا المبدأ ويطبِّق هذا المبدأ على نفسه وفي مجتمعه.

وهذه المفارقة الموجودة الآن مع الأسف في كثير من مجتمعاتنا ـ وأُريد هناك أن أكون صريحًا معكم ـ هي أننا أصبحنا نفهم الإسلام مجموعة من الطُّقوس العباديّة؛ وهي أن يصلّي الإنسان ويصوم ويخمّس وهذا هو الإسلام! صحيح أنّ هذه من الإسلام ومن أُسس الإسلام أيضًا، لكن ليست هي الإسلام كلّه، الإسلام أوسع من هذا، الإسلام أن تطبّقه على سلوكك العبادي وتطبّقه على سلوكك المعاملي وعلى المجتمع أيضًا، فهناك مسؤوليّة نسمّيها مسؤولية (الأمر

---

(١) آل عمران: ١١٠

(٢) البقرة: ١٤٣.

بالمعروف والنَّهي عن المنكر) وهذه المسؤوليّة اجتماعية؛ بمعنى أنّها وُضعت في التَّشريع الإسلامي للمحافظة على المجتمع ليبقى مجتمعًا إسلاميًّا.

هذه المفارقة أو التَّقصير موجود لدينا، فنحن لا نقوم إلاّ بالمسؤوليّة الفرديّة وبجزء منها، أمّا المسؤولية الاجتماعيّة فهذه كأنّنا لسنا مكلَّفين بها، ولسنا مسؤولين عنها.

فالجانب الذي تُشير إليه الآية هو أنَّ وظيفة النبي أن يكون مربّيًا، وفي الحديث الشَّريف: (**كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته**)[١]، فعنصر التَّربية أو وظيفة التَّربية هي وظيفة عامّة، كما كانت على النبي فهي على كلّ مسلم أن يقوم بهذا الدَّور، يربّي نفسه على الإسلام ويربّي أفراد أُسرته على الإسلام وكذلك يربّي أفراد المجتمع على الإسلام.

**الوظيفة الثالثة:** ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾، قد نقرأ في بعض التَّفاسير أنَّ المراد بالكتاب هنا القرآن الكريم[٢]، ولكن سياق الآية لا يظهر منه أنَّ المراد من الكتاب هنا القرآن الكريم؛ لأنّه سبق وأن أشارت الآية إلى تبليغ القرآن بقوله تعالى ﴿**يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾ فإذًا تعليم الكتاب هنا لا تعني تعليم القرآن، وإنّما يعني كما يُسمّى (محو الأمّية)، بتعبير آخر ـ أو ما ينسجم أكثر مع العلوم الإنسانية ـ نُقلة المجتمع من طور البداوة إلى طور التَّحضر، من طور الأُمّية والتَّخلف إلى طور التَّطور والتَّقدم، فـ ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**﴾ بمعنى ينقل المجتمع

---

(١) الشَّيخ ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي ١: ١٢٩، ٣٦٤.

(٢) لاحظ: الشَّيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ٣: ٣٩؛ الملا فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير ١: ٥٨٩ وغيرهما.

من طور التَّخلف الذي هو فيه من كونه مجتمعًا أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب وليس لديه ثقافة تعطيه الحضارة وتعطيه التَّحضر، فوظيفة النبي أن يرفع من مستوى هذا المجتمع من مجتمع بدائي إلى مجتمع حضاري؛ لينطلق في مختلف أنماط سلوكه داخل إطار هذه الحضارة.

﴿وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الحكمة) معناها وضع الشَّيء في موضعه، فعندما تتكلَّم يأتي كلامك في موضعه، وعندما تتصرَّف يأتي تصرّفك في موضعه، فتنطلق في أقوالك وأعمالك من العقل.

كلمة (عقل) في اللّغة العربية مأخوذة من (العِقَالِ) الذي تُربط به النَّاقة، حتى لا تتصرَّف تصرّفًا غير مقبول أو شاذ. العقل يُعطي الإنسان التَّوازن ليتصرَّف التَّصرف المطلوب والمعقول.

فالحكمة هنا تعني أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) يُعلِّم المسلمين كيف يستعملون العقل، وقد أكّد القرآن الكريم كثيرًا على استعمال العقل والتَّصرف في ضوء تعليماته وتوجيهاته.

﴿وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني يخلق من هؤلاء شخصيات إسلاميّة بما تحمله الشَّخصية الإسلاميّة من معنى؛ أي أنَّها تحمل الثَّقافة الإسلاميّة وتصبح هذه الثَّقافة الإسلامية هي الحضارة التي يتحرَّك المسلم داخل إطارها وفي دائرتها.

هذا أهم ما أشارت إليه الآية من وظائف النبي (صلى الله عليه وآله): الوظيفة الأولى (التَّبليغ)، الوظيفة الثانية (التَّربية)، الوظيفة الثَّالثة (الَّتعليم).

وهناك وظيفتان أُخريان لم تُشر إليهما الآية، وأشارت إليهما آيات أُخرى

بمضمونها(١) هما: (القيادة) و(الحُكم)؛ النبي (صلى الله عليه وآله) عندما أقام الدَّولة الإسلامية في المدينة كان هو رأس الدَّولة والحاكم، وكان هو القائد للمسلمين والجيوش الإسلاميَّة أيضًا.

□

(١) لعلّ المقصود هذه الآيات المباركة: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ [البقرة: ١٢٤]؛ ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]؛ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]؛ ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦]؛ ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، لاحظ تفصيله في الكيان الإسلامي من خلال نصوص الماليّة العامّة: ٣٣ ـ ٣٤، للمحاضِر.

# النِّظام في حياة البشريّة

هناك اختلاف بين المفكِّرين حول النِّظام في الحياة البشرية:

## الاختلاف الأوّل: البشريّة بين النِّظام واللانظام

هل لابدَّ للناس من نظام في حياتهم ينظِّم علاقة الإنسان أو علاقات الإنسان بمن يتعامل معهم، أو لا نحتاج إلى النِّظام؟ أنا أتعامل مع أفراد الأسرة وأتعامل مع أفراد المجتمع، والأسرة تتعامل مع الأسر الأخرى، والمجتمع يتعامل مع المجتمعات الأخرى، أنا أعيش في ظلّ دولة وهذه الدَّولة تتعامل مع الدُّول الأخرى، نسمّي كلّ هذه (علاقات)، هل نحتاج إلى نظام ينظِّم هذه العلاقات أو لا نحتاج؟

هناك مَن يذهب إلى أنَّنا لا نحتاج إلى نظام، وهؤلاء يسمَّون بالفوضويين، وكان يرأس هذه الحركة في أوروبا **غودوين** (ت: ١٨٣٦م)، هذا كان يقول نحن لا نحتاج إلى نظام، ويمكن للناس أن يعيشوا في هذه الفوضى.

نحن نفهم من طبيعة التَّجارب في الحياة أنَّ الفوضى معناها أنَّ القوي يأكل الضَّعيف، فينعدم الأمان وينعدم الإستقرار، فتُهدر الحقوق والواجبات، فهذا القول أو الرَّأي مرفوض تشريعيًّا ومرفوض علميًّا.

فإذًا، مختلف الأيدلوجيات في هذه الحياة، على مختلف مدايات التأريخ تقول لابدّ من نظام للإنسان ينظِّم هذه العلاقات، وينظِّم تصرّفات الإنسان.

## الاختلاف الثّاني: مصدر النِّظام بين الله والإنسان

من أين يؤخذ هذا النِّظام؟ هل يؤخذ من الله، أو الناس هم الذين يضعون

النِّظام بأنفسهم؟

هذا الفرق هو بين الأنظمة الشَّرعية والأنظمة المدنيَّة، فالأنظمة الشَّرعية هي المأخوذة من الأديان الإلهيّة، والأنظمة المدنيَّة هي الموضوعة من قِبل الناس.

قبل أن أضع الاختيار على أحد الخيارين، أُشير إلى أنَّ واقع القوانين وواقع الأنظمة الموجودة في الدُّول التي مرَّت في التأريخ والموجودة إلى الآن هو: أنّ القوانين والأنظمة المدنيَّة تنظِّم العلاقات الاجتماعية فقط، في حدود إعطاء الأمن الاجتماعي والاستقرار السِّياسي فقط، فهي لا تتدخَّل في علاقات الإنسان بربه، وهناك تعبير يتكرَّر في بعض الأيدلوجيات: (الدِّين لله والوطن للجميع)، أي أنَّ العلاقة بينك وبين الله تأخذ تنظيمها من الدِّين، أمَّا العلاقة بينك وبين أفراد المجتمع تأخذها من القانون.

فإذًا القوانين تهمل علاقة من أهمّ العلاقات، وهي علاقة الإنسان بخالقه، أيضًا تُهمل علاقات أخرى كثيرة لا تدخل في تشريعات القوانين المدنية.

## الشَّريعة والقانون، الفوارق والنتائج

لا أريد أن أدخل هنا في التَّفصيلات، فقط أريد أن أُشير إلى أنَّ هناك فوارق بين الشَّريعة وبين القانون، منها:

**١. الشَّرعية تنظِّم السُّلوك الفكري عند الإنسان والسُّلوك البدني، أو كما** يُسمَّى قديمًا السُّلوك النَّظري والسُّلوك العملي؛ كيف أفكِّر أنا؟ هذا التَّفكير نمط من السُّلوك، أفكِّر في هذا الكون: هل له خالق أو ليس له خالق؟ أفكِّر في هذه الحياة: هل لها بداية، وهل لها نهاية أو لا؟ هذا نمط من التَّفكير، وهكذا أفكِّر أنا في كثير من هذه الأشياء، هذا التَّفكير إذا لم يكن منظَّمًا سوف يوجد فوضى في الحياة البشرية.

القوانين لا تتدخَّل في تنظيم السُّلوك الفكري، بينما الشَّرائع تتدخَّل في تنظيم السُّلوك الفكري، تقول لك: إذا أردت أن تفكِّر في بداية هذا الكون وفي نهايته أُعطيك مبادئ عامَّة، ومن خلال هذه المبادئ العامَّة أنت تستطيع أن تفكِّر.

هذا فرق مهم بين الشَّرائع وبين القوانين.

**٢. لو أردنا أن نتمشَّى مع المنهج المألوف الآن وهو المنهج التَّجريبي**، فالعلوم الحديثة في الحضارات الحديثة لا تؤمن بالمنهج العقلي، ولا تؤمن بالمنهج النَّقلي، وإنَّما تؤمن بمنهج واحد وهو المنهج التَّجريبي، هو أن كلّ الأشياء التي تخضع للملاحظة نُخضعها للتَّجربة في المختبر، أو في المعمل لنتوصَّل إلى النَّتائج من خلال ذلك.

نحن نتنزَّل ونقول: لنستعمل التَّجربة في المقارنة بين الشَّريعة والقانون، فنقارن وندرس تأريخ القوانين وندرس تأريخ الشَّرائع ونقارن، لنجد أنَّ التَّغيير

في القوانين والأنظمة مستمر، قد يوضع القانون فيمرّ بسنة أو سنين أو ربما بخمس سنوات أو عشر سنوات بعد هذا يحصل فيه تغيير وتبديل، لماذا؟ لأنَّ جملة من موادّه فيها أخطاء في تنظيم العلاقات، أو أخطأت في وضع العُقوبات إلى غير ذلك. فالتَّجارب البشرية أثبتت أنَّ الإنسان المقنِّن والمشرِّع لا يفهم طبيعة المجتمعات فهمًا كاملاً، من هنا وقعت الأخطاء في الأنظمة والقوانين الوضعية أو المدنية.

بينما الشَّرائع المأخوذة من الله تعالى الأمر فيها مختلف، فالله هو خالق البشر وهو أعرف بطبيعة البشر وأعلم بطبيعة البشر وما يُصلح هذا البشر وما يفسد هذا البشر، فعندما تؤخذ الشَّريعة من الله فإنَّها تؤخذ من معصوم والمعصوم لا يُخطئ، ومعناه أنَّ الشَّريعة التي يُعطيها أيضًا معصومة؛ فلو التزمنا بها التزامًا كاملاً فلن نقع في الخطأ، وأنا أُعطي مثالاً: الأولياء سواء كانوا من الأنبياء أو من الأئمة أو من غيرهم الذين يلتزمون بالدِّين التزامًا كاملاً، ويطبِّقونه تطبيقًا كاملاً في سلوكهم لم يصدر منهم خطأ وهذا هو معنى العصمة، فعندما نقول أنَّ أئمتنا معصومون فهذا معنى العصمة، ولا نحتاج في الواقع إلى أن نستدل بالأدلة العقلية.

إنَّ الأئمة أناس فهموا الدِّين فهمًا صحيحًا، ورأوا أنَّ السَّعادة في تطبيق هذا الدِّين تطبيقًا كاملاً؛ فطبَّقوا والتزموا بالأحكام الإسلامية التزامًا كاملاً، وقلنا أنَّ الشَّريعة الإسلامية معصومة فمن يلتزم بها لا يقع في الخطأ، وهؤلاء التزموا بها إلتزامًا كاملاً فلم يقعوا في أيّ خطأ.

هذا الفرق بين القانون وبين الشَّريعة، هو الذي يُعطينا ضرورة بعثة الأنبياء

وضرورة أخذ الشَّرائع من الله.

ولكن لابدّ من الواسطة بيننا وبين الله في أخذ الشَّريعة، والواسطة هم الأنبياء؛ يُشير **الإمام الصادق** في أحاديث إلى أنّه لابدّ من الواسطة والواسطة هم الأنبياء[١]، فقد بعث الله الأنبياء ويُذكر أنَّ عددهم ١٢٤ ألف نبي[٢]، والقرآن ذكر مجموعة من هؤلاء الأنبياء، وأنزل شرائع بدءًا من **نوح** حتى نبينا **محمَّد** (صلى الله عليه وآله).

(١) الشيخ الكليني، الكافي ١: ١٦٨.

(٢) الشيخ الصدوق، الاعتقادات: ٩٢، رقم (٣٥).

## الشَّرائع الإلهية، تكامل أم تناسخ؟

أُعطي هنا فكرة عن كيفيّة التّعرف على هذه الشَّرائع من طريق علم الأديان المقارِن؛ حيث نقوم بمقارنات بين الأديان من خلال الكتب السَّماوية أو الإلهية، ومن خلال التَّعليمات الأخرى والأحكام، فنتعرف على طبيعة الشَّرائع ومعطيات تلك الشَّرائع.

**١. هناك رأي وهو مشهور لدى هؤلاء العلماء أنَّ الشَّرائع جاءت متكاملة**، ومعنى متكاملة أي أنَّ الشَّريعة الأولى بدأت بجزء من التَّشريع، بالشَّكل الذي يتلاءم مع طبيعة المجتمع آنذاك، الذي ما كان واصلاً إلى القمة، ثم جاءت بعدها الشَّريعة التالية أوسع، لماذا؟ لأنَّ المجتمعات تطوَّرت وأصبحت تحتاج إلى تشريع أوسع، ثم الشَّريعة التي بعدها جاءت أوسع من الشَّريعة التي قبلها، إلى عصر النبي **محمَّد** (صلى الله عليه وآله) الذي وصل المجتمع من حيث التَّفكير إلى مرحلة النّضج، إذًا لابدّ أن تأتي الشَّريعة التي تُكمِّل تلك الشَّرائع وتكون الشَّريعة الخاتمة.

وما يؤكِّد هذا، الحديثُ الذي يروى من قِبل جميع المسلمين عن النبي (صلى الله عليه وآله): **(إنَّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق)**[1]، (لأتمّم) يعني أنَّ هناك شيء كان موجودًا وجاء هو ليتمّم ذلك الشيء، فكانت هناك مكارم أخلاق وهو جاء يتمّم تلك المكارم، يعني هناك تشريع وجاء هو ليتمّم هذا التَّشريع، وهذا الحديث يُشير إلى هذا الأمر.

---

(١) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان ١٠: ٨٦؛ ولاحظ الصيغ المختلفة للحديث: الشيخ محمَّدي الريشهري، ميزان الحكمة ١: ٨٠٤.

**٢. أنَّ كلّ شريعة مستقلَّة عن الشَّريعة الأُخرى، مثلاً شريعة نوح جاءت** تتمشّى مع واقع الحياة الموجودة في عصر نوح؛ وأُعطِي نوح هذه الشَّريعة وبلَّغ هذه الشَّريعة، ثم لما جاء إبراهيم (عليه السلام) واحتاج إلى شريعة أُخرى غير شريعة نوح، ولمّا جاء موسى أحتاج إلى شريعة أُخرى غير شريعة إبراهيم وهكذا.

هذا الذي يُسمَّى بالنَّسخ؛ أنَّ الشَّريعة اللاّحقة تنسخ الشَّريعة السَّابقة، والنَّسخ يكون في الشَّريعة والأحكام العباديّة والمعاملات وليس في العقيدة، فالعقيدة واحدة في كلّ الأديان، فمن لدن آدم ـ إذا كان نبيًا، فهناك خلاف في هذا ـ من لدن أوَّل نبي إلى نبينا محمَّد (صلى الله عليه وآله) هم يدعون إلى عقيدة واحدة؛ فالأنبياء كلّهم كانوا يدعون إلى التَّوحيد وإلى النُّبوة وحتى الإمامة ـ فكلٌّ كان له أوصياؤه، وهذا معنى الإمامة ـ وإلى المعاد أيضًا، فالأصول الأربعة[1] الأساسية هي: التَّوحيد والنُّبوة والإمامة والمعاد موجودة في كلّ الشرائع وفي كلّ الأديان الإلهيّة، وإنَّما الاختلاف في التَّشريع، إذا أُنزلت شريعة نَسَخَت الشَّريعة اللاّحقة، وأُعطيكم مثالاً:

أنا أقرأ بعض الأحيان في الصُّحف وفي بعض الكُتب عن (صيام يوم عاشوراء)، ويقال في صيام يوم عاشوراء: (أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قَدِمَ المدينة، فوجد اليهود صيامًا يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه

(١) (العدل) هو ضمن التَّوحيد؛ وإنَّما أُفرد لأسباب صراعات عقائدية بين المعتزلة والأشاعرة. (منه)

موسى وقومه وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نصومه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): فنحن أحقّ وأولى بموسى منكم، فصامه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأمر بصيامه)[1]، هذا الحديث يؤخذ عليه:

**أوّلاً**: أنَّ النبي **محمَّد** (صلى الله عليه وآله) لا يعرف شريعة موسى، ونحن لا نقبل هذا ونرفض هذا رفضًا باتًّا، **فالنبي محمَّد** (صلى الله عليه وآله) يفهم شريعة موسى ويفهم شرائع الأنبياء السَّابقين تمام الفهم.

**ثانيًا**: أنَّ النبي لا يجوز له أن يأخذ بحكم تشريعي من أحكام شريعة موسى، فهو مُلزم أن يأخذ الحكم التَّشريعي من شريعته، فإذا كان في شريعته ـ يعني كان هناك وحي نازل عليه ـ صوم يوم عاشوراء فسيصومون يوم عاشوراء، وإذا لم يكن هناك وحي بهذا وإنَّما هو من شريعة موسى فهذا يتنافى مع النَّسخ في الشَّرائع؛ من هنا فهذا حديث مرفوض عندنا ولا يجوز الاعتماد عليه في حال من الأحوال، والآخرون لهم رأيهم في المسألة ولهم اجتهاداتهم في المسألة.

فالشَّريعة اللاّحقة تنسخ الشَّريعة السَّابقة؛ يعني أنَّ شريعة محمَّد نَسَخَت الشَّرائع التي قبلها، والنَّسخ ليس في العقيدة وإنَّما في التَّشريع كما وضّحت في هذا المثال.

---

(١) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم ٣: ١٥٠.

# خاتمة

التَّجارب البشرية أثبتت فشل الأنظمة الوضعيّة، ومن هنا لابدّ من الأخذ بالتَّشريعات الإلهية ومن الأخذ بالأديان ومن الأخذ بالشَّرائع، وخاتمة هذه الشَّرائع وخاتمة الأديان هو الإسلام.

هذا يعطينا أهميَّة الإسلام، ولكن مع الأسف نحن المسلمين لا ندرك هذه الأهميّة، ولا يزال الكثير منَّا يستورد الأنظمة من الخارج ويلهث وراء الأنظمة من الخارج، مع أنَّ السَّعادة لديه فهو يترك هذه السَّعادة ويذهب إلى هنا ويذهب إلى هناك.

هذه فكرة موجزة أردتُ أن أُعطيها حول بعثة النبي (صلى الله عليه وآله).

أخذت من الوقت الشَّيء الكثير، وأكتفي بهذا المقدار وأسال الله لكم التَّوفيق.

والحمد لله ربِّ العالمين.

# الفصل الثّاني: الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الآثار المدوّنة للإمام علي عليه السلام: الحلقة الأولى

الآثار المدوّنة للإمام علي عليه السلام: الحلقة الثّانية

الولاية وامتداداتها المعاصرة

الإمام علي عليه السلام وعدالة الحكم

الجوانب الحضارية والفكرية في شخصيّة الإمام علي عليه السلام

انطباعات حول تفضيل النبي محمّد والإمام علي على سائر الأنبياء

# الآثار المدوّنة للإمام علي عليه السلام

## الحلقة الأولى(*)

(*) محاضرة ألقيت في ٢٠/ رمضان/ ١٤١١هـ في حسينية المنتظر بقرية التويثير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

من المناسب ونحن نعيش هذه اللَّيالي الثلاث التي يُحيي فيها أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ذكرى وفاة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أن نستعرض تراثًا فكريًا ضخمًا من تراث علي (عليه السلام)، وهو كتاب (نهج البلاغة).

## التُّراث الفكري للإمام علي (عليه السلام)، مرور إجمالي

خلَّفَ الإمام علي (عليه السلام) أكثر من كتاب في التُّراث الفكري، منها:

### ١ . الكتاب المعروف بـ (كتاب علي)

وهو من إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي، وقد كتبه الإمام (عليه السلام) بخطِّه.

وهذا الكتاب كما أورد الشَّيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) (رحمه الله) منه في (الأمالي) يتضمَّن مسائل الحرام والحلال بأجمعها[1].

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي: ٥١٨.

والكتاب لم يصل إلينا، وإنَّما هو موجود عند الإمام المهدي (عليه السلام) كذخيرة من ذخائر النّبوة، ولكن توجد عنه منقولات في بعض كتب الحديث[(١)].

## ٢. صحيفة علي

تتضمَّن هذه الصَّحيفة الأحكام الشَّرعية، ولم تصل إلينا بأكملها وإنَّما وصل شيء منها مبثوثًا في كتب الحديث، ومن ذلك ثماني وعشرون مسألة في صحيح البخاري، وقد استخرجها أحد الدَّكاترة المصريين ووضعها ضمن كتاب عنونه بـ(صحيفة علي بن أبي طالب: جمع ودراسة وتوثيق وتخريج)[(٢)]، والصَّحيفة أيضاً موجودة عند الإمام المهدي (عليه السلام).

## ٣. مصحف فاطمة

كلمة (مصحف) كانت تُطلق قديمًا على الكتب؛ فمصحف فاطمة يعني كتاب فاطمة، وبعد مرور الزَّمن أصبحت تُطلق كلمة مصحف على القرآن الكريم.

و(مصحف فاطمة) كان فيه مسائل من الحلال والحرام، والقضايا التَّاريخية، والمواعظ والإرشادات، والحكم والأمثال، ألَّفه أمير المؤمنين (عليه السلام) لفاطمة بعد وفاة أبيها[(٣)] ليكون سلوة لها عند قراتها له، وليس كما يقول بعض

---

(١) لاحظ: الشيخ اغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢: ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٢) للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، أستاذ الشريعة الإسلامية والحديث النبوى بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي: ١: ٢٤١.

الكتّاب السالكين في بعض الرّكابات المتعثّرة من أنَّ هذا المصحف هو قرآن آخر عند الشّيعة؛ فالشّيعة ليس عندهم إلا هذا القرآن المتداول عند المسلمين، أمّا (مصحف فاطمة) فليس بقرآن، **والإمام الصادق** (عليه السلام) يصرّح بأنَّ هذا الكتاب ليس فيه من القرآن، وليس قرآنًا[1].

هذا المصحف أيضًا من التّراث الذي لم يصل إلينا، وبقي كذخيرة من ذخائر أهل البيت عند **الإمام المهدي** (عليه السلام).

## ٤ . الجفر

سُمّي هذا الكتاب بالجفر؛ لأنّه كُتب في جلد حَمل، والحَمل يُطلق عليه لغةً الجفر[2].

وكتاب الجفر يضمّ صحف الأنبياء، والكتب التي أُنزلت على الأنبياء كـ(صحف إبراهيم) و(ألواح موسى) و(التّوراة) و(الإنجيل)، وأيضًا فيه شيء كثير من مسائل الحلال والحرام، وفيه كلّ ما يحدث في مستقبل هذه الحياة[3].

وأيضًا لم يصل إلينا هذا الكتاب، وبقي محفوظًا يُتَوارث عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وكلّ ما وصل كان منقولات في بعض الكتب، وبخاصة التّنبؤات بما يحدث في المستقبل.

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي ١ : ٢٣٩.

(٢) لاحظ: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ١ : ١٢٦.

(٣) الشيخ الكليني، الكافي ١ : ٢٤٠.

## نهج البلاغة

وهو يضمّ مجموعة من خُطب ومواعظ ألقاها الإمام علي (عليه السلام) في مناسبات مختلفة، وأيضًا توجد فيه كُتب ورسائل بَعث بها الإمام إلى أشخاص مختلفين كانوا في عهدهِ ولاة وغير ولاة.

## تاريخ الجمع والتَّدوين

وقد كان العرب يعتمدون على الحافظة، ولا يعتمدون على التَّدوين؛ فكانوا يحفظون هذه الخُطب والمواعظ والرَّسائل والكُتب والحكم والأمثال. بدأ العرب التَّدوين في العصر العباسي؛ بسبب تفاعل الحضارة الإسلاميّة مع الحضارات الأخرى الوافدة إلى البلاد العربية بعد الفتوحات وبعد التَّرجمة، فقاموا بالتَّدوين.

ودُوِّنت هذه الخُطب وهذه المواعظ والوصايا والرَّسائل والحكم والأمثال في كُتب مختلفة ومتفرّقة، وقد قام بجمعها في القرن الخامس للهجرة في هذا الكتاب الشَّريف الرَّضي (ت: ٤٠٦هـ)، وهو أحد أعلام الشِّيعة ومن أبرز شعراء العرب والمسلمين، وهو أديب من سلالة أهل البيت أراد أن يخدم الأدب ويخدم أهل البيت أيضًا؛ فقام بتأليف كتاب في مجاز القرآن أسماه (مجاز القرآن)، وفي هذا الكتاب يتحدَّث عن الأسلوب البلاغي في القرآن، وهو من خيرة ما كُتب في بلاغة القرآن الحكيم، وأيضًا ألَّف الشَّريف الرَّضي كتاب في المجازات النَّبوية، عَنْوَنَهُ بـ(المجازات النَّبوية)، وهذا الكتاب يبحث في بلاغة النبي (صلى الله عليه وآله)، واختار من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) ما يتَّسم بالسِّمة البلاغية، وتحدَّث عن هذه الأحاديث بلاغيًا.

أمَّا كتابه (نهج البلاغة) الذي يضمّ بعضًا من خُطب ووصايا الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ومواعظه وكتبه ورسائله وحكمه وأمثاله؛ فهو اختيار للخُطب والنّصوص التي تضمّ وجوهًا بلاغيّة، وذلك ليقدِّم مادةً بلاغيةً في أرفع مستويات البلاغة تأتي بعد القرآن وبعد كلام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، فالإمام علي (عليه السلام) أبلغ العرب بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

## التَّسمية والمحتويات

سمَّاه الشَّريف الرضي بنهج البلاغة ليكون الطَّريق الذي يسلكه البُلغاء إلى معرفة البلاغة، والطَّريق الذي يسلكه المتعلِّمون والمتأدِّبون ليكونوا بلغاء.

وهذا الكتاب يحتوي على ٢٤٢ خطبة وموعظة، و٧٨ كتابًا ورسالةً، و٤٩٨ حكمةً ومثلاً.

هذا ما يحتويه (نهج البلاغة).

## الأهمية والتأثيرات

١ـ تتمثَّل أهميَّة (نهج البلاغة) بالدَّرجة الأولى في أنَّه مدرسة أدبية؛ فجميع كتّاب العرب الذين عُرفوا بالأسلوب البلاغي في كتاباتهم، تخرَّجوا من مدرسة نهج البلاغة، والكثير منهم من ينصّ في ترجمته وفي تعريف حياته على أنَّه تأثَّر بنهج البلاغة[1]، وكذلك تلاحَظ انعكاسات وبصمات نهج البلاغة في كتاباتهم،

(١) كعبد الحميد بن يحيى العامري (ت: ١٣٢هـ) وابن نباتة (ت: ٣٧٤هـ)، لاحظ: الشيخ المجلسي، بحار الأنوار ٤١: ١٤٧.

**فالجاحظ** (ت: ٢٥٥هـ) مثلاً هو أديب العرب من حيث النَّثر الفنِّي، نجد في كتاباته المختلفة (البيان والتبيان) و(البخلاء) وغيرها صدى نهج البلاغة ظاهرًا في كتاباته، وهكذا **ابن العميد** (ت: ٣٦٧هـ) **وابن المقفَّع** (ت: ١٤٢هـ)، هؤلاء الكتّاب العرب الذين عُرفوا بالأسلوب البلاغي تظهر انعكاسات وصدى نهج البلاغة في كتبهم، وكذلك الشَّأن في شاعر العرب المتنبي (ت: ٣٥٤هـ).

٢ـ من خلال (نهج البلاغة) نستطيع أن نعرف عناصر وسمات التَّعبير الفنِّي.

٣ـ (نهج البلاغة) مصدر لغوي في الصَّرف؛ فنستطيع التَّعرف على كثير من الأوزان (أوزان المفردات)، وكذلك موزونات تلك المفردات؛ أي الكلمات التي توزن على وزن تلك الأوزان.

٤ـ (نهج البلاغة) مصدر لُغوي في النَّحو، ففيه الشيء الكثير من القواعد والأمثلة؛ إذ أنَّ النّحاة استشهدوا بكلام الإمام علي (عليه السلام) ضمن ما استشهدوا به من نثر عربي، كمصدر في وضع قواعد اللغة العربية.

٥ـ (نهج البلاغة) مصدر تأريخي من مصادر التَّاريخ؛ حيث أنَّ (نهج البلاغة) من علي وعلي خرّيج مدرسة القرآن، والقرآن يُعطي صورة واضحة عن الظَّواهر الاجتماعيّة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي.

إذن (نهج البلاغة) يبيّن المجتمع الجاهلي، وما يدور فيه من الظَّواهر الاجتماعيّة سواء أكانت تلك الظَّواهر ظواهر اجتماعيّة أو ظواهر اقتصاديّة أو ما إليهما.

كذلك من (نهج البلاغة) نستطيع أن نعرف الشيء الكثير عن تاريخ الأمم السَّابقة.

وأيضاً (نهج البلاغة) يبيّن شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛

فالكتب الأخرى كـ(سيرة ابن هشام) أو (السِّيرة الحلبية) أو غيرهما لا تستطيع أن تعطينا الشَّيء الكافي عن أبعاد وشخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلاّ ما يخصّ الغزوات والسَّرايا أو الجوانب الأخرى التي كانت ظاهرة للناس بشكل واضح، أمَّا الجوانب الأخرى من شخصية النبي وما فيها من أبعاد وخصائص وصفات فلا يعرفها إلاّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي هو ابن عمه، وأخوه الذي لازمه ملازمة الظِّل لذي الظِّل، فهو أعرف الناس برسول الله، والإمام علي (عليه السلام) جَمَعَ بين شرف الصّحبة وشرف الانتساب؛ فالإمام علي في وسط أهل البيت وفي وسط الصحابة، لذلك نجد في (نهج البلاغة) الشَّيء الكثير عن شخصياتهم، ففيه عبائر كثيرة تكشف عن واقع أهل البيت، وعن المؤهلات التي جعلتهم يكونون أهل البيت، ويكونون قدوة للمسلمين، وأن يحتلّوا مركز القمّة في الهرم الإسلامي.

وكذلك في (نهج البلاغة) الشَّيء الكثير عن الصحابة في تفكيرهم وتكوينهم لشخصياتهم.

٦ـ (نهج البلاغة) مصدر لعقيدة (التَّوحيد)؛ فالتَّفاصيل في موضوع التَّوحيد والقضايا الدَّقيقة العميقة في هذا الموضوع لا تجدها إلاّ في (نهج البلاغة).

فالقرآن الكريم فيه آيات كثيرة عن التَّوحيد، وهناك أيضًا أحاديث كثيرة عن التَّوحيد إلاّ أنَّ التَّوسع في الحديث عن التَّوحيد لا يوجد إلاّ في نهج البلاغة؛ فأهمّ مصدر إسلامي للتَّوحيد هو (نهج البلاغة).

وكذلك (النّبوة)، تحدّث الإمام عنها في أكثر من كلمة ووضّح معنى النّبوة.

وتحدّث كثيراً عن (الإمامة)، وأعطى فكرة عنها وبيَّن معناها، وعن الإمام وصفاته.

وأيضًا (المعاد) من العقيدة، فيوجد الشَّيء الكثير عن المعاد، ووصف النار والجنة، والحساب، والحشر، والقبر...إلخ.

وذُكرت في (نهج البلاغة) العقائد السَّابقة على العقيدة الإسلامية، فهو يزخر بالفكر العقائدي الإسلامي وغير الإسلامي.

٧ـ (نهج البلاغة) مصدر من مصادر الفقه، فيوجد فيه شيء غير قليل عن الأحكام الشَّرعية التي ترتبط بالصلاة والصوم والزكاة والحج، وموضوعات فقهية أخرى، ومن أمثال هذه الموضوعات في (نهج البلاغة)، كتاب الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (ت: ٣٨هـ)، وهو أطول الكُتب الموجودة في (نهج البلاغة)، وأقدم وثيقة في الإدارة المحلّية، زوَّده الإمام بهذا الكتاب الذي يعرف بـ(عهد الأشتر) حينما بعثه واليًا على مصر.

٨ـ (نهج البلاغة) مصدر من مصادر الحديث؛ فكلام الإمام اعتُبر عندنا وعند السُّنة من الحديث، إذ أنَّ السُّنة عندهم الحديث يؤخذ من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق الصحابة، كذلك عندهم أقوال الصحابة تأتي بمستوى الحديث فيحتجون بأقوال علي (عليه السلام)، وأقوال أبي بكر وعمر وابن مسعود وبأقوال آخرين.

٨ـ (نهج البلاغة) مصدر من مصادر الأخلاق والسلوك؛ فالمتصوّفة وهم فرقة سُنّية يعتبرون الإمام علي (عليه السلام) رأس التّصوف، ومصدر الأخلاق عندهم (نهج البلاغة).

وكذلك العرفانيون (فرقة شيعيّة) يقولون بأنَّ الإمام علي (عليه السلام) هو رأس العرفان، ومصدر الأخلاق عندهم (نهج البلاغة).

٩ـ (نهج البلاغة) مصدر من مصادر العلوم الطبيعية؛ ففي علم الأحياء

(الحيوان والنبات) يوجد حديث كثير عن الإنسان وعن الحيوان وعن النباتات، فتوجد خطبة في النَّملة[١] وخطبة في الطاووس[٢]، وبعضها نظريات تُدرس في علم الأحياء.

ويوجد أيضًا الشَّيء الكثير في (نهج البلاغة) عن الفلك والكيمياء والفيزياء.

## ما كُتب في وحول (نهج البلاغة)

(نهج البلاغة) من الكتب التي خدمت، ولأهمّية هذا الكتاب شُرح بما يربو على ٢٠٠ شرح، ومن الكتب التي جَمعت وفَهْرَسَت شروح (نهج البلاغة):

- شروح نهج البلاغة[٣]، **الشَّيخ حسين جمعة العاملي**.
- الذَّريعة، **للشيخ آغا بزرك الطهراني** (ت: ١٣٨٩هـ)[٤].
- الفهرست، **للشيخ الطوسي** (ت: ٤٦٠هـ)[٥].

ومن أهم الشروح المطبوعة، الكتب التالية:

١. **شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ)**: طُبع في إيران طبعة حجرية، وطبع في مصر قديمًا بأربع مجلدات، وطبع مؤخراً بتحقيق **أبي الفضل إبراهيم** بـ٢٠ مجلدًا.

---

(١) لاحظ: الخطبة رقم (١٨٥).

(٢) لاحظ: الخطبة رقم (١٦٥).

(٣) طبع سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٤: ١١١ إلى ١٦١.

(٥) لم اعثر على ذكر لنهج البلاغة فيه.

وهذا الشرح يلمّ بكلّ الجوانب، وكان المؤلِّف موسوعيًا وهذه الموسوعيّة ساعدته كخلفية في أن يتوسَّع في شرحه لكلّ الجوانب التي استعرضها كلام الإمام.

**٢. شرح نهج البلاغة، للشيخ ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)**: يتّسم هذا الشَّرح بالطابع الفلسفي، إذ أنَّ الشَّيخ ميثم البحراني من فلاسفة الشِّيعة، ومعروف بعلم الكلام، وبيّن في هذا الشرح علم الكلام الذي وضعه الإمام (عليه السلام).

**٣. الدُّرة النَّجفية في شرح نهج البلاغة الحيدرية، للشيخ إبراهيم الخوئي (ت: ١٣٢٥هـ).**

ومن الكتب التي كُتبت في موضوعات خاصة في (نهج البلاغة):

**١. الرَّاعي والرَّعية، لتوفيق الفكيكي (ت: ١٩٦٩م)**: وهو محامي عراقي، دَرَسَ عهد الإمام لمالك الأشتر دراسة قانونية مستوعبة.

**٢. الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة، للسَّيد محسن الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ)**: صاحب كتاب (أعيان الشِّيعة).

**٣. دراسات في نهج البلاغة، للشِّيخ محمَّد مهدي شمس الدِّين (ت: ٢٠٠١م)**: في هذا الكتاب تعرّض إلى عهد الإمام لمالك الأشتر، وإلى الجوانب الاجتماعيّة التي استعرضها الإمام من خلال كلامه.

**٤. نهج البلاغة وأثره في الأدب العربي، للدّكتور محمَّد هادي الأميني.**

- **أصول الدِّين على ضوء نهج البلاغة، للشِّيخ محمَّد باقر البهبهودي (ت: ٢٠١٥م).**

- **علوم الطبيعة في نهج البلاغة، للدكتور لبيب بيضون.**

- الآراء الاجتماعيّة في نهج البلاغة، للأستاذ عبد الوهاب حمود.
- الألفاظ القرآنية في نهج البلاغة، للسّيد محمّد جعفر الحكيم من النّجف.
- التّفسير في نهج البلاغة، للدّكتور إبراهيم السّامرائي (ت: ٢٠٠١م).
- بلاغة الإمام علي، للدّكتور أحمد الحوفي: درس في هذا الكتاب بلاغة الإمام بعيدًا عن البلاغة المتأثّرة بالمنطق والفلسفة.
- في ظلال نهج البلاغة، للشّيخ محمّد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ).
- تحت ظلّ نهج البلاغة، لبيب بيضون.

هذه الكتب وأمثالها كثيرة في (نهج البلاغة)؛ أي أنَّ (نهج البلاغة) يشكّل مكتبة ضمن المكتبة العربية والمكتبة الإسلامية، وأيضًا كُتب عنه باللغة الفارسية ولغة الأوردو واللغة الإنجليزية والفرنسية وبلغات أخرى أيضًا.

## شبهات حول (نهج البلاغة)

١. ومن الشبهات التي أُثيرت حول (نهج البلاغة) ونسبته إلى الإمام علي (عليه السلام)، بدأها ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ) ـ وهو شامي متأثر بالميول الأموية ـ في كتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان) وهو كتاب تأريخي يترجم فيه العلماء والأدباء والكتّاب، وهو عندما أراد أن يترجم الشّريف المرتضى (ت: ٤٣٦هـ) وهو أخو الشّريف الرّضي مؤلّف أو جامع (نهج البلاغة)، قال: (وقد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرّضي، وقد قيل إنّه

ليس من كلام علي وإنّما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه والله أعلم)[١].

فهو هنا لا يستكثر على الشّريف الرَّضي أن يقول مثل هذه الخطب، ويستكثرها على الإمام علي (عليه السلام)، والإمام علي (عليه السلام) من حيث الفصاحة والبلاغة لا يوجد خلاف في أنّه قمة البلاغة العربية وقمة الفصاحة العربية، فكيف يستكثر عليه أن يقول هذا الكلام؟

٢. ومن الشبهات أيضاً: إنَّ في (نهج البلاغة) مصطلحات علمية مثل كلمة عام، خاص، مجمل، مبيّن، محكم ومتشابه وهذه المصطلحات ما وُجدت إلاّ في العصر العباسي؟

الجواب: نقول إنَّ هذه المصطلحات موجودة في القرآن، وكذلك كلمة مشابه مجمل ومبيّن يستعملها العرب؛ فالإمام كعالِمٍ أعطى في هذه الألفاظ الصّبغة العلميّة، وحوَّلها إلى مصطلحات.

٣. ومن الشبهات أيضًا: الأخبار بالمغيّبات في (نهج البلاغة)، فهم يستكثرون على الإمام أن يخبر بالمغيّبات، وهناك أقوال في مسألة علم الغيب:

**القول الأول**

أنَّ الأنبياء والأولياء يعلمون الغيب، وعلمهم لدنّي أي من ذواتهم؛ أي أنَّ الله خلقهم مزوَّدين بالقدرة على علم الغيب، وهذا رأي المتصوّفة.

**القول الثاني**

أنَّ علم الأنبياء والأولياء بالغيب علم إرادي؛ أي أنّه لو أراد أن يعلم الغيب يدعو الله تعالى في أن يطلعه على ذلك الغيب فيلهمه، وممن يقول بهذا الرَّأي

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان ٣: ٣١٣

السَّيد الخوئي في كتاب (البيان)[١]، وكثير من علمائنا يقولون بهذا الرَّأي[٢].

**القول الثالث**

أنَّ علم الغيب عند الأنبياء والأولياء علم كسبيّ؛ أي أنَّ الأنبياء لا يعلمون الغيب من ذاتهم ولا يعلمون الغيب لو أرادوا، إنَّما يعلمون الغيب إذا أُوحي لهم من من قبل الله، والأولياء لا يعلمون الغيب إذا أرادوا ولا يعلمون الغيب من ذاتهم، إنَّما يعلمون الغيب إذا علّمهم الأنبياء.

وقد أشار الإمام نفسه في (نهج البلاغة) أنَّ ما ذكره من مغيبات هو تعليم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣].

٤. وكذلك من الشُّبه التي أُثيرت: حول الخطبة الشَّقشقيَّة والتي انهدرت ولا يزال هديرها إلى اليوم؛ يقولون بأنَّ الإمام يسبّ في هذه الخطبة الصحابة، وهم الخليفة أبا بكر (ت: ١٣هـ) والخليفة عمر (ت: ٢٣هـ) وعثمان (ت: ٣٥هـ)، فهو يقول في الخطبة: (**أَمَا وَالله لَقَدْ تَقَمَّصَها فُلانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَ مِنهَا مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَا...**)[٤].

هذا ليس فيه سبّ إنَّما يقول إنَّه أَخَذ الخلافة، وهو يعلم أنّي أولى منه بالخلافة، فالإمام عَاشَرَ هؤلاء وأثبتت التَّجربة لهم أنَّه أفضل منهم، فلم يَرجع إليهم الإمام في مسألة من المسائل وكانوا يحتاجون إليه، وكلمة الخليل بن أحمد (ت:

---

(١) البيان: ٦٩.

(٢) لاحظ الشروح على رواية الإمام الصادق: (إِنَّ الإِمَامَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَعْلَمَ عُلِّمَ)، الكافي ١: ٢٥٨.

(٣) الخطبة رقم (١٢٨).

(٤) الخطبة رقم (٣).

١٧٥هـ) المعروفة: (استغناؤه عن الكلّ واحتياج الكلّ إليه دليل على أنّه إمام الكلّ)[١].

## مصدر الشبهات حول (نهج البلاغة)

ولمعرفة من أين جاءت الشبهات حول (نهج البلاغة) ندرس هذه الشبهات تأريخيًا ليس فقط بارتباطها بنهج البلاغة، بل بكلّ تراث أهل البيت وكلّ ما هو موجود عند الشِّيعة.

هناك مؤرِّخ من إخواننا السُّنة اسمه علي بن محمَّد المدائني (ت: ٢٢٥هـ) في كتابه (الأحداث) كان يؤرِّخ للبيانات التي صدرت من معاوية، وينقل عنه ابن أبي الحديد[٢]: (وروى أبو الحسن علي بن محمَّد بن أبي سيف المدايني في كتاب (الأحداث)، قال: كَتَبَ معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة[٣] (أن برئت الذِّمة ممن روى شيئًا من فضل أبي تراب وأهل بيته) فقامت الخطباء في كل كورة[٤] وعلى كل منبر يلعنون عليًا ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته).

ويقول المدائني أيضاً: (وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة)؛ وهذا يعني أنَّ شهادة الشِّيعة مرفوضة وهذا يسقطهم من الاعتبار في المجتمع، وهذا هو الذي يريده معاوية.

وأيضًا (وكَتَبَ إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل

---

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ٦: ٣٤٥.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١١: ٤٤ وما بعدها.

(٣) هو عام الصلح بين الإمام الحسن (عليه السلام) ومعاوية. (منه)

(٤) قرية. (منه)

ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا لي بكلّ ما يروي كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته)؛ حتى يزيدهم عطاء ويعطيهم الجوائز، يقول المدائني: (فعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينًا).

ثم يقول: (ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولا تتركوا خبرًا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة فإنَّ هذا أحبّ إلى وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله).

يقول المدائني: (فقُرِئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وأُلقي إلى معلمي الكتاتيب فعلَّموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلَّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله).

ثم يقول: (ثم كَتَبَ إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا مَن قامت عليه البيِّنة أنَّه يحبّ عليًا وأهل بيته، فامحوه من الدِّيوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: مَن اتَّهمتوه بموالاة هؤلاء القوم فنكِّلوا به واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ـ ولا سيما بالكوفة ـ حتى إنَّ

الرَّجل من شيعة علي (عليه السلام) ليأتيه مَن يثق به فيدخل بيته فيُلقي إليه سرَّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدِّثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه؛ فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القرَّاء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقرِّبوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين[1] الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنَّها حق ولو علموا أنَّها باطلة لما رووها ولا تديَّنوا بها).

فمن عهد معاوية هناك خطّ مرسوم وإعلام يتحرك.

هناك نصّ للشَّيخ ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في كتابه (منهاج السنة) ردًّا على (منهاج الكرامة) للعلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ) في موضوع الإمامة، ينقل ابن تيمية عن زيد بن هارون قوله: (يُكتب عن كلّ صاحب بدعة إذا لم يكن داعية [داعية لمذهبه]، إلاّ الرَّافضة فإنَّهم يكذبون)[2]. الشَّريف الرضي رافضي شيعي، وقد عرفنا الخطّ من أيام معاوية على رفض كلّ ما يأتي به الشِّيعة، فنهج البلاغة جمعه الشَّريف الرضي إذًا تنطبق عليه هذه السِّمات.

فالشبهة التي أُثيرت حول (نهج البلاغة) ترجع إلى هذا، يعني لا تمسّ واقع (نهج البلاغة) وحقيقة (نهج البلاغة) من كونه كلام الإمام علي (عليه السلام)،

---

(١) أي الناس المتدينين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان. (منه)

(٢) الشيخ ابن تيمية، منهاج السُّنة ١: ٦٠.

لكن لأنَّه جاء عن طريق هؤلاء الشِّيعة، (فنهج البلاغة) لو كان لغير علي أو لو كان عند غير الشِّيعة من فرق المسلمين؛ لكان يأتي من بعد القرآن مباشرة من حيث التَّقديس والاهتمام والعناية، ولكن!

ونكتفي بكلمة ولكن...

والحمد الله ربِّ العالمين.

# الآثار المدوّنة للإمام علي عليه السلام (*)

## الحلقة الثانية

---

(*) أُلقيت في ٢٠/ رمضان/ ١٤١٢هـ، في حسينية المنتظر بقرية التوبلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمَّد الله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا محمَّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

بلِّـغ معاويـة عنّـي مغلغلـة | وقل لـه وأخـو التبليـغ ينتـدب
قـم وانظـر النّجـف الأعلـى بـه | حشد الألوف وتجثو عنده الرّكب
تأتي له من أقاصي الأرض طالبة | وليس إلاّ رضا الباري هو الطّلب
قل للمعربد حيث الكأس فارغـة | خفض عليك فلا خمر ولا عنـب
سمّوك زوراً أمير المؤمنين وهـل | يرضى بغير عليٍّ ذلـك اللقـب[1]

فيما أظن في العام الماضي في مثل هذه الليلة كان حديثي معكم حول (نهج البلاغة)[2] للإمام علي (عليه السلام)، وبغية أن نستكمل الحديث عن تراث علي وعطائه نتحدَّث في هذه الأُمسية عن بقيَّة المؤلفات لأمير المؤمنين (عليه السلام)، والمؤلفات الأخرى لبعض تلامذته وأصحابه، والتي قامت بدور التَّأسيس للتَّشريع الإسلامي بشكل خاصّ وللحضارة الإسلامية بشكل عامّ.

---

(١) السَّيد حسن الأمين، مستدرك أعيان الشيعة، ١ : ٥٥٨. وهي جزء من قصيدة للشيخ عبد المهدي مطر، أنشدها يوم الاحتفال بافتتاح الباب الذهبي الذي أهداه بعض الإيرانيين لمقام أمير المؤمنين سنة ١٣٧٣هـ.

(٢) (الآثار المدوّنة للإمام علي: الحلقة الأولى) في هذا الكتاب.

# أهمّية البحث

لماذا نختار هذه الموضوعات، وأمثال هذه الموضوعات بالذات؟

بالنِّسبة إلينا نحن الشِّيعة بحاجة إلى أن نفهم الثقافة الخاصّة بنا، وهي فكر **أهل البيت** (عليهم السلام).

وبالنِّسبة إلى غيرنا؛ لنُفهم الآخرين الدَّور الكبير الذي قام به **أهل البيت** في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية.

مما يُؤسف له أنّه لا توجد لدينا الكتابات الكثيرة حول هذه الموضوعات، والموجودة من هذه الكتابات ـ وهو قليل ـ لا ينتشر في الخارج كما ينبغي؛ والمفروض في أمثال هذه الكتب التي تبحث في دور **أهل البيت** (عليهم السلام) في إرساء قواعد الحضارة الإسلامية أن تُنشر، وأن تُترجم إلى كافّة اللغات الحيّة التي تُقرأ من قِبل أكثر الناس في المجتمعات الغربية وغير الغربية.

هناك محاولات على قلّتها أدّت شيئًا من الوظيفة وهي محاولات للترجمة، وتُرجمت مجموعة من الكتب القديمة ووُزِّعت، ولكن في حدود ضيقة. نحن نريد أكثر من هذا، نريد أن ينبري كلّ من يستطيع أن يكتب ولو بحثًا قصيرًا مصغَّرًا ويساهم به؛ ليُنشر في مجلَّة من المجلات التي تصدر في الخارج، أو يُنشر ككتيِّب.

هذه المساهمات بالنِّسبة إلينا نحن أصبحت الآن ـ فيما أعتقد ـ ضرورية؛ لنعرف موقعنا في هذه الحياة، ودورنا الذي قمنا به في القديم وما ينبغي أن نقوم به الآن، ولنُفهم الآخرين أنّنا ليس كما يقال عنّا من تهريج ومن مختلقات ليس لها واقع، وإنّما أُريدَ من ورائها ما أُريد.

قبل أن نتحدَّث عن الموضوعات، إذا حاولنا أن نقارن بين عطاء مدرسة **أهل البيت** وعلى رأسها **أمير المؤمنين** (عليه السلام)، وعطاء ما يُعرف بمدرسة الصحابة وعلى رأسها الخليفة **عمر بن الخطاب** (ت: ٢٣هـ) نجد فرقًا كبيرًا.

مدرسة أهل البيت أعطت الشَّيء الكثير في خدمة العقيدة الإسلامية، وفي خدمة التَّشريع الإسلامي، وفي خدمة المجالات الأخرى من الحضارة الإسلامية، بينما تأخَّر عطاء مدرسة الصحابة إلى زمن ليس بالقصير، معنى هذا أنَّ مدرسة أهل البيت هي التي كانت الرَّائدة وهي التي وضعت اللَّبنات الأولى في أساس بناء الحضارة الإسلامية، هذا الشَّيء لابدّ أن يُفهم من قبل أبنائنا وأن يُفهم من قبل الآخرين.

## حركة التَّأليف في مدرسة أهل البيت، الدّوافع والأهداف

والدَّوافع التي دفعت مدرسة أهل البيت للقيام بهذا، أو الأسباب التي دفعت أساتذة هذه المدرسة وتلامذة هذه المدرسة للقيام بهذا في القرن الأول الهجري هي:

**السبب الأوَّل**: الإيمان من هؤلاء بأنَّ خطّ **أهل البيت** هو خطّ جدّهم **رسول الله** (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعندما نقول بأنَّه خطّ **رسول الله** معناه أنَّه خطّ الإسلام؛ يعني أنَّ **أهل البيت** في فكرهم هم امتداد الفكر الإسلامي وهم الذين يمثّلون الفكر الإسلامي، هذا الإيمان دعا أساتذة هذه المدرسة وتلامذة هذه المدرسة للقيام بهذه الحملة من التَّأليف الذي سنشير إليه.

هم يؤمنون أنَّ عليهم أن يخدموا الإسلام، وكل عالِم بالشَّريعة الإسلامية يؤمن إيمانًا عميقًا ومؤكَّدًا بأنَّه يجب عليه أن يخدم الشَّريعة الإسلامية، وخدمة

الشريعة الإسلامية تأتي من منطلقات متعددة؛ تأتي عن طريق التَّعليم، وتأتي عن طريق التَّربية، وتأتي عن طريق التَّأليف، ولعل التَّأليف ينفع أكثر من التَّعليم وأكثر من التَّربية؛ لأنَّه يقوم بنقل الحضارة من جيل الكاتب المؤلِّف إلى الأجيال اللاّحقة، بينما في التَّعليم الطالب قد يموت ولا ينقل فكره إلى الآخرين.

في الكتاب يوجد الفكر، وينتقل معه من جيل إلى جيل آخر، فإيمان هؤلاء بوجوب نقل خدمة الشَّريعة الإسلامية، ونقل الفكر الإسلامي من جيلهم إلى الأجيال اللاّحقة دفعهم إلى أن يقوموا بهذا التَّأليف الرَّائد.

**السبب الثاني:** عامل الصِّراع؛ الصِّراح الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، هذا الصِّراع يستدعي القائمين على شؤون الحضارة الإسلامية أن يحافظوا على هذه الحضارة من أن تتأثَّر بالحضارات الأخرى بالشَّكل الذي يؤثِّر على الفكر الموجود فيها وأخيرًا يؤثر على المسلمين.

الصِّراع المذهبي ـ وقلنا أنَّه كان هنالك مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ومدرسة الصحابة ـ إذا كان الصِّراع فكريًا فهذا أمر طبيعي وليس بمستغرب في المدارس الفكرية في كلّ حقل من حقول المعرفة، فهناك مدارس في علم النفس ومدارس في علم الإجتماع ومدارس في حقل الفلسفة ومدارس في كلّ حقول المعرفة، هذه المدارس بطبيعة الحال يحصل بينها خلاف فكري، وكل مدرسة لأنَّها تؤمن بأنَّ الحقّ معها لابدّ أن تقاوم هذا الصِّراع وتحافظ على نفسها. والتَّأليف من أهمّ ما يحافظ على الحضارة لتقف أمام الحضارات الأخرى في معترك الصِّراع.

هذه الأسباب، وهناك أسباب أخرى تُذكر في مواضعها، دعت الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومن عهد رسول الله وبإشراف رسول الله وتحت تربية

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم بالتَّأليف.

## التَّأليف بين مدرسة أهل البيت ومدرسة الصحابة

كان هناك خلاف بين مدرسة أهل البيت والمدرسة الأخرى، فمدرسة أهل البيت كانت ترى ضرورة الكتابة والتَّأليف، بينما المدرسة الأخرى كانت تمنع الكتابة وتمنع من التَّأليف.

ومن الغريب ـ حقيقةً ـ عندما نرجع إلى تأريخ الحضارة الإسلامية وتدوين الحضارة الإسلامية نجد إصراراً من مدرسة أهل البيت على الكتابة التَّأليف، وإصراراً من المدرسة الأخرى على المنع من الكتابة التأليف!

الكتابة عند مدرسة أهل البيت بدأت من عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما سأوضح هذا، بينما في المدرسة الأخرى تأخَّرت الكتابة إلى عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ)، يعني بعد أن انقرض الكثير من الصحابة الذين كانوا يحملون الفكر الإسلامي.

كان عند مدرسة الصحابة القليل من الكتابات الخفيفة، لكن التَّدوين بالشَّكل الواسع تأخَّر إلى عهد عمر بن عبد العزيز، لمّا أعلن عن إلغاء المنع الذي نادى به الخليفتان أبو بكر (ت: ١٣هـ) وعمر (ت: ٢٣هـ) وأمر بكتابة الحديث وهي فترة طويلة، بينما أهل البيت وأتباعهم كانوا يمارسون الكتابة والتَّأليف.

وحدث هذا حتى بالنِّسبة لجمع القرآن[1] الذي يُنسب إلى أبي بكر أنّه وقع هو

---

(١) وإن كنتُ لا أؤمن في الواقع بهذا، فبعد دراسة الروايات رأيت أنَّ الرِّوايات الموجودة لدينا ولديهم غير صحيحة، وغير معتبرة لكنَّها مذكورة ويُعتمد عليها كثيرًا. (منه)

وعمر في تردّد حوله، وبعد أخْذٍ وردٍّ في آنّه كيف يكون هذا أو لا يكون! أقدم على جمع القرآن.

والواقع ليس هكذا، وأنا قلت في محاضرة بالقطيف أنَّ القرآن جُمع في عهد رسول الله، وكُتب في عهد رسول الله وبإشراف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا موجود في كتبهم أيضًا وليس في كتبنا فقط، وعندما تنزل آية أو سورة يستدعي كتّاب الوحي، ومنهم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ويأمرهم بالكتابة وعندما ينتهون يأمرهم بالقراءة لئلا يقع أيّ خطأ[١].

فالقرآن كُتب كاملاً في عهد رسول الله، وجُمع كاملاً في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا أريد أن أدخل في تفاصيل الموضوع لأنها تأخذ محاضرة طويلة.

وهناك آيات من القرآن تشير إلى أنَّ القرآن كُتب في عهد رسول الله بإشراف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا موجود في كتبهم أيضًا، وليس في كتبنا فقط[٢].

فهذا الخلاف الذي حدث بين الاهتمام بالكتابة والتَّأليف، والمنع من الكتابة والتَّأليف أعطى الفرصة الكافية لمدرسة أهل البيت أن تُرسي قواعد الحضارة الإسلامية وتكون الرَّائدة؛ فإذا كان هناك فضل ينبغي أن يُذكر ويُشار إليه في خدمة أُسس الحضارة الإسلامية، والبدايات الأولى لتدوين الحضارة الإسلامية

---

(١) لاحظ: الإمام احمد بن حنبل، مسند أحمد ١: ٥٧.

(٢) لاحظ مثلاً تفاسير المسلمين لقوله من سورة الفرقان: ٣٣: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

فهو لأهل البيت (عليهم السلام)، وهذا واقع التأريخ فنحن لا نريد أن نتحيّز لأهل البيت لأنّنا شيعة! لكن الواقع هو هذ، والدِّراسة الموضوعية والواقع التأريخي يقول هذا وبكل صراحة، ولكنّ الإهمال منّا وعدم الاهتمام من الآخرين بنتاج أهل البيت وعطائهم جعل هذه الأمور تكون خفيَّة على أبنائنا وعلى الآخرين أيضًا.

وأبدأ بجملة من المؤلفات، وهي كثيرة لا أستطيع أن أستعرض كلّ المؤلفات المهمة التي أُلّفت وكانت أساسًا بُني عليه فيها بعد أفكار العقيدة أو أفكار الفقه أو الحديث أو الرجال أو الأصول، وحتى العلوم التي عدَّدها الأخ عريف الحفل؛ هذه كلّها كانت في دور التَّأسيس من قِبل الإمام علي (عليه السلام)، وبُني عليها بعد هذه العلوم التي أشار إليها العريف.

**(نهج البلاغة)** لا نريد أن نتحدَّث عنه؛ لأنَّه سبق الحديث عنه.

## أولا : ( كتاب علي )

وهذا من الكتب المعروفة بهذا الاسم (كتاب علي)، وهذا الكتاب مذكور في كتب الشِّيعة وفي بعض كتب السُّنة أيضًا.

هذا الكتاب كان بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطّ علي (عليه السلام)؛ يعني الذين يذكرون هذا الكتاب من المؤرِّخين ومن المحدِّثين يقولون هذا بإملاء رسول الله وبخطّ علي[١].

كان مكتوبًا على جلد رقيق[٢]، وطريقة الكتابة الآن تختلف عنها من قبل؛ حيث لم تكن صفحاتها كما هي الآن، بل جلد يلصق بعضه ببعض حتى يصبح طويلاً جدًّا، ربما يصل كما يُذكر عن الصَّحيفة أنَّها سبعون ذراعًا، ويُلف على خشبة أو على أيّ شيء آخر، وإذا أرادوا أن يقرؤوا هذا ينشرونه على طوله ويقرؤونه، فطريقة ترتيب الكتب القديمة كانت هكذا، بعد هذا تطوَّرت إلى الوضع المألوف لدينا.

هذا الكتاب كان من الكتب الكبيرة، وكان فيه من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كلّ الأحاديث التي قالها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سواءاً كانت ترتبط تلك الأحاديث بأصول الدِّين أو بالعقيدة أو بفروع الدِّين أو بالفقه أو بالمجالات الأخرى.

وفي بعض كتب الحديث منقولات عن هذا الكتاب، ويَذكر الرّواة الذين يصلون بالرواية إلى الإمام الصادق (عليه السلام) أو إلى الإمام الباقر (عليه

(١) الشيخ آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢: ٣٠٦.

(٢) المصدر نفسه.

السلام) ويذكرون بأنَّ هذا الكتاب كان عند الأئمة، ويحافظون عليه محافظة شديدة، وقد أطلعوا عليه بعض العلماء ليطمئنوا بأنَّ ما ينقلونه من أحاديث هي عن (كتاب علي) الذي هو بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد رُوي عن جابر أنّه قال: قلت لأبي جعفر محمَّد بن علي الباقر (عليهما السلام): إذا حدثتني بحديث فأسنده لي؟ فقال: (**حدَّثني أبي، عن جدي، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن جبرئيل (عليه السلام)، عن الله عز وجل، وكلّ ما أحدّثك بهذا الإسناد**)[1]، وهذا السَّند هو نفسه المسمَّى بسلسلة الذَّهب المروي عن الإمام الرضا (عليه السلام) في نيسابور، والذي قال فيه أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ): (لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرىء من جنّته)[2]؛ لأهمية هذا الإسناد، فلا يوجد إسناد بهذه النَّظافة كإسناد أهل البيت (عليهم السلام).

فكتاب علي هذا أوّل كتاب إسلامي بعد القرآن الكريم.

## ما تركه كتاب علي من آثار على مصادر التشريع

ونجد آثار هذا في التالي:

فقد بلغت نصّوص التَّشريع عندنا عشرات الآلاف، بينما عندهم بقيت بآحاد الألوف فأعلى رقم وقفتُ عليها الإحصائيات التي وقفتُ عليها عندهم لم يصل ستة آلاف حديث في التَّشريع (الفقه)، بينما أعلى رقم عندنا أكثر من خمسين ألف،

---

(١) الشَّيخ المفيد، الأمالي: ٤٢.

(٢) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة: ٢٠٥.

نسبة كبيرة بين خمسة آلاف وخمسين ألف؛ ولذا في مجال الفقه بالنِّسبة لعلمائنا لم يحتاجوا إلى (القياس) ولم يحتاجوا إلى (الاستحسان) ولا إلى (المصالح المرسلة) ولا إلى استخدام أي شيء آخر؛ لأنَّ النصّوص الموجودة كانت كافية لأن تعطيهم الأحكام كاملة. فلا يوجد حكم مأخوذ عن غير نصّ شرعي، فهو إمَّا مأخوذ من الآيات القرآنية أو من الأحاديث المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق أهل البيت (عليهم السلام)، ولم يستعملوا القياس ولا استعملوا الاستحسان ولا...

وهذا شيء مهم جدًّا أعطته مدرسة أهل البيت لاتباعها؛ لأنَّك تأخذ الحكم من منبعه الأصلي ومن منبعه الأصيل، بينما القياس لا يُعتبر منبعًا أصيلاً، ولذا (الظاهرية) من أهل السنة وقفوا موقف الرَّفض من (القياس)[1]، و(السَّلفية) منهم والعلماء الموجودون حدّدوا العمل بالقياس بأن لا يكون هناك نصّ، بمعنى لا يُرجع إلى (القياس) إلاّ إذا فُقد النصّ؛ لأنَّ النصّوص كانت قليلة لديهم.

وهذا الكتاب في الواقع أساس للتَّشريع الإسلامي الموجود عند علماء أهل البيت، وتجد أنَّ الكتب الفقهية عند الشِّيعة أوسع بكثير من الكتب الفقهية عند أهل السنة، مثلاً: (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) للشيخ محمَّد حسن النجفي (ت: ١٢٦٦هـ) في٤٣ مجلدًا، ولا يوجد عن المذاهب الإسلامية الأخرى ما يماثله من حيث ضخامة المحتوى، و(مفاتيح الكرامة) للسَّيد جواد العاملي (ت: ١٢٢٨هـ) في ٢١ مجلدًا؛ هذا كلّه بفضل (كتاب علي).

---

(١) لاحظ: السَّيد محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن: ٣٢٠.

وأنا راجعت الكتب الموجودة للمذاهب الإسلامية الأخرى، فأكبر كتاب رأيتُه كان في الفقه للأباضي **الشَّيخ جميل بن خميس** (ت: ١٢٨٥هـ) في ٢٠ مجلدًا[1].

(١) الطبعة الحديثة في ٩٢ مجلدًا.

## ثانيا: (صحيفة علي)

وهي من جَمْعِ الإمام نفسه، حيث كان يجمع أحاديث مختلفة ويكتبها، وقديماً إذا كان الشَّخص يجمع أحاديثًا وأحكامًا أو أيّ شيء آخر من المعارف والمعلومات ويدوّنها تُسمَّى هذه المدوَّنة (صحيفة)؛ لأنَّ الكتب قديمًا ما كانت تُسمَّى بأسماء خاصَّة.

وهذه الصَّحيفة نقل عنها البخاري (ت: ٢٥٦هـ) نفسه ٨ أحاديث[1]، وبعض كتب الأحاديث الأخرى نقلت عن هذه الصحيفة أيضًا، وهناك دكتور مصري جمع الأحاديث الموجودة في كتب السنة المنقولة عن هذه الصحيفة وقدَّم لها وحقَّقها وطبعها باسم: (صحيفة علي بن أبي طالب: جمع ودراسة وتوثيق وتخريج)[2] طبعها بهذا العنوان وهي موجودة في المكتبات.

هذه الصَّحيفة من أوسع الكتب في قانون العقوبات إذا صحَّ التَّعبير، أو تشريع العقوبات (الحدود والتعزيزات والديات) وهي معتمدة عند الجميع.

---

(١) لاحظ الأحاديث رقم (١١١)، (١٧٧١)، (٢٨٨٢)، (٣٠٠١)، (٣٠٠٨)، (٦٣٧٤)، (٦٥٠٧)، (٦٨٧٠).

(٢) للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، أستاذ الشريعة الإسلامية والحديث النبوي بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

## ثالثًا: مصحف فاطمة

وهو من تأليف أمير المؤمنين (عليه السلام)، فيه أحاديث وفيه حكم وأمثال وقصص تأريخية قديمة؛ ألّفه أمير المؤمنين (عليه السلام) لفاطمة (ت: ١١هـ) ليكون تسلية لها بعد وفاة أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). الإمام الصادق (عليه السلام) وهو ابن علي وفاطمة يقول: (واللهِ مَا فِيه مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ)[(١)]، وكلّ الذين يذكرون هذا المصحف (مصحف فاطمة) من محدّثين ومؤرّخين يقولون هو من تأليف أمير المؤمنين (عليه السلام) ويذكرون محتوياته (أحكام شرعية، وحوادث تأريخية ماضية ومستقبلية)[(٢)] يعني كما نسمّيه الآن (كشكول) يجمع معارف مختلفة، وعندما تقرؤه فاطمة (عليها السلام) تتسلى وتتعزى به عن فقد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم)، وليس فيه في الواقع أيّ شيء مما يقال أنّه قرآن وأنّ الوحي كان ينزل على فاطمة، وفاطمة جمعت هذا الوحي.

### مصحف فاطمة، إشكالية الاسم

وسبب تسميته بمصحف؛ لأنّ القرآن من قبل ما كان يسمّى مصحفًا بل كان يسمّى قرآنًا، وكان يُسمّى كتابًا، وبعد ذلك جاءت تسمية المصاحف وهذه التّسمية جاءت متأخّرة، فقالوا مصحف كذا ومصحف كذا.

نجد نحن الآن في كتاب (المصاحف) للسجستاني (ت: ٢٥٠هـ) وهو من

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي ١: ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ١: ٢٤٠.

علماء السُّنة المحترمين يذكر (مصحف عمر بن الخطاب) و(مصحف علي) و(مصحف أبيّ بن كعب) و(مصحف عبد الله بن مسعود) و(مصحف عائشة) و(مصحف حفصة) و(مصحف عبد الله بن عمرو بن العاص) ويذكر مجموعة لعلَّها تتجاوز العشرة مصاحف، ولم يقل عن أيّ مصحف من هذه المصاحف بأنَّه فيه كذا، ويذكر السجستاني اختلافات بين هذه المصاحف؛ ولكن لأنَّ اسم فاطمة موجود وفاطمة محسوبة على الشِّيعة! ولو لم يكن مصحفها محسوبًا على الشِّيعة لكان من أعظم الكتب في الدّنيا!

ليس له وجود بيننا أصلاً إلاّ أنه يُذكر في الكتب أنّه من تأليف أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإنّما هو عند الأئمة.

وهذا هو واقع (مصحف فاطمة (عليها السلام))، والشيء الذي يُقال حوله هو نوع من التَّهريج والاصطياد في الماء العكر، والمفروض أن نكفَّ عن هذا التَّهريج الذي فرَّق المسلمين وأخذ بهم.

# رابعًا: الجفر

وهو كتاب يتحدَّث عنه الإمام الصادق (عليه السلام)، والحديث مذكور في كتاب (الكافي) لثقة الإسلام الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، هذا الكتاب (كتاب الجفر) فيه التَّوراة والإنجيل والزَّبور وصحف الأنبياء السَّابقين وفيه أقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخاصّة أحاديث النبي عن المستقبل وما يقع من الحوادث في هذه الحياة[١]، فمثلاً الإمام أمير المؤمنين كانت عنده تنبّؤات بأنّه سيقع كذا وكذا وفعلاً وقعت هذه الأشياء، كانت تؤخذ من هذا الكتاب.

## الجفر، التَّسمية والملابسات

لماذا سمّي بالجفر؟ التسمية في الواقع هي التي خلقت لنا المشكلة!

الجفر هو جلد الخروف الصغير (الحمل)[٢]، وبعض الكتب القديمة كانت تكتب على هذه الجلود كهذا.

أيضاً الجفر كحساب معروف عند علماء الحروف، وعند الصوفية وهي عمليات حسابية يستخدمونها ليستكشفوا ما يحدث في المستقبل.

وهناك كتاب في هذا ربما يوجد عند بعضكم عنوانه (شمس المعارف الكبرى) للشيخ أحمد البوني (ت: ٦٢٢هـ) من الجزائر وهو من علماء الحروف، في أوَّل الكتاب فصّل عن موضوع عنوانه الجفر، وهو عمليات حسابية ينسبونها لأهل البيت (عليهم السلام) من باب الترويج لها، كالصوفة أو الخرقة التي

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي ١: ٢٤٠.

(٢) لاحظ: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ١: ١٢٦.

نسبوها للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

ونُسب الجفر المذكور في هذا الكتاب للإمام الصادق (عليه السلام)، مع أنَّ الإمام الصادق بريء من هذا الكتاب ولا أثر لهذا الكتاب في كتبنا أو الكتب الخاصّة بأهل البيت.

إنَّ الإمام الصادق متى أراد أن يتنبّأ بالمستقبل يرجع إلى (كتاب الجفر) الذي هو بخطّ علي (عليه السلام)، وهذا الكتاب لا ارتباط له بعلم الحروف ولا بالحسابات، وإنَّما التَّنبؤات عن روايات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يحدث في المستقبل، ورأينا أنَّ الإمام الصادق أخبر بقضيّة زيد بن علي (ت: ١٢٢هـ) وقال إنَّه يُقتل[١]، هذا موجود في الجفر، فلم يجرِ الإمام الصادق حساب حروف أو عمليات، بل رجع إلى الكتاب فتح الكتاب وذكر ما هو موجود فيه.

فهذا هو (كتاب الجفر) وهذا هو واقعه، ليس كما يقول المغرضون.

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي: ٩٤.

## خامسًا: (عهد الإمام أمير المؤمنين لمالك الأشتر)

حينما ولاّه على مصر زوّده بكتاب أو بعهد كما يسمّونه، هذا العهد فيه كلّ ما يرتبط بالإدارة المحلية، وفيه أيضًا تقسيم للطَّبقات الإجتماعية، وهو من أروع ما كُتب عن الطَّبقات الاجتماعية، كما قد أشار إليه الأخ العريف.

وأنا أقدّر لو كان لغير علي لأصبح من القوانين والدِّراسات المهمّة! ولكنّه من علي وشيعته.

## سادسًا: (كتاب الدِّيات)

وهو كتاب وضعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ووجّهه إلى الولاة والأمراء ولمن يتولّى السُّلطة، وضع هذا الكتاب قانونًا كاملاً للعقوبات (الحدود والتَّعزيزات والدِّيات)، ويُنقل عن هذا الشيء الكثير[1].

(١) الشيخ اقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢: ١٦٠ وما بعدها.

# تلامذة الإمام علي عليه السلام روّاد التّأليف

من الكتب التي أُلّفت من قِبل تلامذة الإمام:

١. (كتاب الحديث) لسلمان الفارسي (ت: ٣٦هـ).

٢. (كتاب في الحديث) لأبي ذر الغفاري (ت: ٣٢هـ).

وهما من أقرب تلامذة الإمام (عليه السلام)، وهذان الكتابان مبوَّبان وعندما يشار إلى هذين الكتابين يقال: كتاب سلمان في الحديث المبوّب أو كتاب أبي ذر في الحديث المبوّب[١].

٣. (كتاب القضايا والأحكام) لبُرير بن خُضير الهمداني الذي قُتل في معركة الطَّف، وهذا الرجل كان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن تلامذته (عليه السلام)، وهو من الكتب التي كانت في ذلك العهد.

جمعه من أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام، هذا الكتاب يرويه برير عن علي وعن الإمام الحسن (عليهما السلام)[٢]، ويعني بالقضايا: قوانين القضاء، والأحكام: هي الأحكام التي ترتبط بالقضاء.

٤. (السنن والقضايا والأحكام) لأبي رافع الأنصّاري (ت: ٤٠هـ)، وأبو رافع كان خادمًا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبعد هذا انتقل إلى خدمة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أَلَّف هذا الكتاب من أقوال أمير

---

(١) لاحظ: ابن شهر آشوب، معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة: ٢١؛ السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ١: ١٣٩؛ السيد حسن الصدر، الشيعة وفنون الإسلام: ١٥٧؛ الشيخ اقا بزرك الطهراني، الذريعة ٧: ١٩٦ ـ ١٩٧.

(٢) الشيخ عبد الله المامقاني، تنقيح المقال ١: ١٦٧، نقلاً عن المؤلَّف في تأريخ التشريع الإسلامي، هامش: ١٠٠.

المؤمنين (عليه السلام)[١].

٥. **(قضايا أمير المؤمنين (عليه السلام)) لعبيد الله بن أبي رافع**، كان كاتبًا لأمير المؤمنين[٢].

عندما جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) الكوفة اتَّخذ منها عاصمة، وكان يجلس في المسجد ويقضي بين الناس، تُرفع الدَّعاوى إليه ويقضي بينهم، وفي مسجد الكوفة دكَّة تُسمَّى (دكَّة القضاء) قريبة من الباب الذي يطلّ على ضريح مسلم بن عقيل، هنالك كان يجلس الإمام وكان يقضي بين الناس، وعبيد الله لملازمته لأمير المؤمنين كان يسجِّل هذه القضايا ثم جمعها في كتاب.

٦. **(كتاب في فنون من الفقه والوضوء والصلاة وسائر الأبواب) لعلي بن أبي رافع**، وكان كاتبًا أيضًا لأمير المؤمنين. وكان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يعظّمون هذا الكتاب[٣].

٧. **(كتاب في زكوات النعم) لربيعة بن سميع**، كتبه من أحاديث أمير المؤمنين (عليه السلام)[٤].

٨. **(كتاب في الفقه) لعبيد بن محمَّد بن قيس البجلي** يرويه عن الإمام[٥].

---

(١) الشيخ النجاشي، فهرست النجاشي: ٦، رقم (١).
(٢) الشيخ الطوسي، الفهرست: ١٧٤ ـ ١٧٥، رقم (٤٦٧).
(٣) الشيخ النجاشي، فهرست النجاشي: ٦ ـ ٧، رقم (٢).
(٤) المصدر نفسه: ٨، رقم (٣).
(٥) الشيخ الطوسي، الفهرست: ١٧٦، رقم (٤٧٠).

# الخاتمة

هناك كتب كثيرة لا مجال لاستعراضها، وإنَّما أردت أن أُعطي فكرة كيف أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) بهذه الكتب وبأمثالها حافظوا على المادَّة العلمية للحضارة الإسلامية، سواء في مجال العقيدة أو مجال التَّشريع أو مجالات العلوم الأخرى، وبهذا يأتي الفرق بين مدرسة أهل البيت وبين المدارس الإسلامية الأخرى، ومن هنا نفهم كيف خدم أهل البيت (عليهم السلام) الشَّريعة المقدسة.

إذا فهمنا أنَّ أهل البيت حافظوا على حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) محافظة كاملة بنقله بكامله، بينما الآخرون لم ينقلوا إلاّ القليل من حديث رسول الله، فإذا كنَّا موضوعيين ونترك أنَّنا منتمون لهذه الطائفة أو تلك الطائفة وحكّمنا عقولنا، وكنّا من أتباع رسول الله: فأهل البيت عندهم حديث رسول الله كاملاً، بينما الآخرين حديث رسول الله عندهم ليس كاملاً، أيهما نختار؟

هذا هو علي (عليه السلام).

تعيفوا وركبنا في سفينته ... فميّز اللّج من عافوا ومن ركبوا
وساوموا فاشترينا حبّ حيدرة ... ولا نبيع ولو أنّ الدُّنا ذهب[1]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) السَّيد حسن الأمين، مستدرك أعيان الشيعة، ١: ٥٥٩.

# الولاية وامتداداتها المعاصرة(*)

(*) هذه ندوة أقيمت عام ١٩٩٤م بمناسبة ذكرى عيد الغدير بعنوان (يوم الولاية الخالد) في جزيرة تاروت، وكان ضيوف النَّدوة: العلاّمة الفضلي (رحمه الله)، والسَّيد هاشم الشَّخص، والشيخ جعفر المبارك. واقتصرنا هنا على تحرير محَاور العلامة الفضلي؛ لهذا اقتضى التنويه.

## (الولاية) إضاءات على المعاني

نرجو من سماحتكم التَّحدّث عن (الولاية) التي من أجلها أوقف الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) جموع الناس في غدير خمّ وأوضحها لهم، وأمر الحاضرين بتبليغها للغائبين؟ تفضَّلوا مشكورين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

أبارك لكم هذه المناسبة الكريمة وللمسلمين جميعًا، سائلاً المولى الكريم أن يحقّق ما تصبوا إليه الأمّة الإسلامية من تحكيم شرع الله تعالى في هذه الأرض.

## ( الولاية ) بحث في المعاني اللّغوية

وبدءًا بالدخول في الموضوع الذي تفضَّل فضيلة الشَّيخ بطرح سؤال عنه، نمهِّد ببيان المعنى اللّغوي لكلمة (الولاية).

الولاية: تُقرأ بكسر الواو (الوِلاية)، وتُقرأ (الوَلاية) وهي من الألفاظ المستعملة في اللغة العربية وعند العرب؛ وعندما نقول ألفاظ مستعملة يعني تحمل معنى له دلالته، والمعنى الذي تحمله هذه الكلمة يختلف باختلاف صيغة الكلمة، فإذا كانت بالكسر تعطي معنى، وإذا كانت بالفتح تعطي معنى آخر.

وكثير من اللّغويين يُفرِّقون هذه التَّفرقة، وإن كان هناك من اللّغويين مَن لا يفرِّق هذه التَّفرقة بين اللّفظين، ويقول هما لفظٌ واحد يُقرأ بكسر الواو وقد يُقرأ بفتح الواو.

وعلى أيّة حال، سواء ذهبنا مذهب اللّغويين الذين يُفرِّقون بين اللّفظين أو اللّغويين الذين لا يُفرِّقون، فهناك للولاية معنيان:

ـ **المعنى الأول**: هو السُّلطة والحكم والذي يعبَّر عنه بالإمامة؛ أي أنَّ الولاية بهذا المعنى تُرادف الإمامة، والإمامة تعني السُّلطة.

ـ **المعنى الثاني**: والذي يُقال بفتح الواو (الوَلاية)، معناه المحبَّة والنُّصرة.

فإذا كان للفظ معنيان، كيف نُفرق بينهما؟ يعني كيف نفهم أنَّ هذا اللَّفظ الذي أُستُعمِل في هذا السِّياق يُراد منه هذا المعنى، وأنَّ هذا اللّفظ الذي أُستعمل في هذا السِّياق يُراد منه المعنى الآخر؟

إذا كان اللَّفظ (مشتركًا) بين معنيين، ولا يوجد هناك ما يفرِّق بينهما:

إذا اتَّخذنا الحركة مُفرِّقة بين المعنيين: (الوِلاية) ـ بالكسر ـ تعني السُّلطة كما أوضحت، و(الوَلاية) ـ بالفتح ـ تعني المحبَّة والنُّصرة.

لكن إذا لم نفرِّق بالشَّكل والحركة، كيف نُفرق بينهما؟

## قرائن السِّياق والتَّعيين بين المعنيين

ومن هنا جاءت المشكلة التي أدَّت بالمسلمين إلى أن يتفرَّقوا فريقين في موضوع الإمامة، وسأشير إلى هذا فيما بعد.

الولاية التي كانت في الغدير ـ طبعًا السؤال يدور حول الولاية التي أُعطيت للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من قِبل النبي (صلى الله عليه وآله) وبأمر من الله تعالى ـ ماذا تعني هذه الولاية؟ هل تعني السُّلطة أم تعني المحبَّة والنُّصرة؟

عندما نقول: عليٌّ وليٌّ على المسلمين، أو وليّ للمسلمين، أو ولي من قِبل الله نصّبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وليًّا على المسلمين، ماذا تعني هذه الكلمة

هنا في هذا السِّياق؟

هناك نصّ نسمّيه نصّ الغدير وهو (خطبة الغدير)، وخطبة الغدير تعتبر حديثًا، تعتبر نصًّا من نصوص السُّنة الشَّريفة، ونصوص السُّنة الشَّريفة هي: الأحاديث الصادرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). في هذه الخطبة قرينة سياقية تدلّ على أنَّ (الولاية) هنا أُريد منها الإمامة، أُريد منها الخلافة، أُريد منها السُّلطة، أريد منها الحكم.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[1] هذا المعنى حُكم من الأحكام الإسلامية؛ أنَّ لوليّ الأمر الولاية على النفوس، وهذه الولاية على النفوس لا تكون إلاّ لمن كانت له السُّلطة، إلاّ لمن كانت له الإمامة، إلاّ لمن كانت له رئاسة الدَّولة، فإذًا هذه قرينة توضِّح بأنَّ المراد من الولاية في هذا السياق وفي نصّ الحديث الشريف والخطبة المباركة الإمامة والخلافة والسُّلطة.

أمَّا المعنى الثاني وهو المحبَّة والنُّصرة هذه تأتي بالنسبة إلى المسلمين؛ يعني عندما أقول: (الله وليّ المؤمنين) هنا طبعًا تعني السُّلطة، الله له السُّلطة والهيمنة على المؤمنين، لكن لو قلت (المؤمن وليّ الله) لا تعني هنا أنَّ المؤمن له السُّلطة على الله وله الحكم على الله، وإنَّما تعني أنَّ المؤمن مُحبّ لله وناصر لله.

فإذًا الاستعمال وقرائن السِّياق وقرائن الأحوال هي التي تفسِّر اللَّفظ، وتعيِّن المعنى المراد من اللفظ.

هذا الذي فهمه المسلمون في ذلك الوقت ـ يوم الغدير ـ وتسمعون كثيرًا من الخطباء أنَّهم جاءوا وبايعوا عليًا بالخلافة، بايعوا عليًا بإمرة المؤمنين، بايعوا عليًا

---

(١) الأحزاب: ٦.

بالولاية؛ كل هذه كانت تعني أنَّ المسلمين في ذلك الوقت فهموا من الولاية الخلافةَ.

## تاريخ الأديان الإلهية محدِّدًا لمعنى الولاية

لو أردنا أن نلتمس طريقًا آخر لتفسير معنى الولاية في خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو طريق المقارنة بين الأديان، والآن منهج المقارنة بين الأديان من المناهج المهمّة في الدِّراسة الدِّينية، واستطاع أن يكشف عن كثير من الحقائق.

إذا رجعنا إلى تأريخ الأديان الإلهية نجد أنَّ الإمامة ظاهرة من الظواهر الدِّينية في كلّ الأديان الإلهية، وأشار القرآن إلى هذا بالنسبة إلى إمامة إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[1]، تعبير ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ يُشير إلى أنَّ النبي إبراهيم (عليه السلام) كان يفهم أنَّ هذه الظاهرة بدأت ببدء نزول الأديان، وستبقى حتى آخر الحياة؛ ولذا قال ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

فإذًا القرآن يشير إلى أنَّ الإمامة ظاهرة دينية، ولابدّ من وجودها في المجتمعات الدِّينية، وكلمة ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ تشير بوضوح إلى هذا المعنى،أو إلى هذه الظاهرة.

## الدَّور السياسي في تأويل (الولاية)

قلت: إنَّ المسلمين يوم الغدير وبعد نصب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليًا إمامًا وخليفة بايعوه بالإمامة وبالخلافة، إذًا كيف أو متى فُسّرت الولاية

(١) البقرة: ١٢٤.

بغير الإمامة؟

في التأريخ الإسلامي نقف على تفسيرات للولاية التي كانت لعلي يوم الغدير في أنَّها لا تعني السُّلطة، وإنَّما تعني المحبَّة والنُّصرة وأنَّ عليًا يحبّ المؤمنين، يحبّ المسلمين، ينصر المؤمنين، ينصر المسلمين.

قلنا إنَّ التفسير الأول كان من قِبل المسلمين جميعًا، وأنَّ الولاية تعني الإمامة والخلافة والسُّلطة، ثم جاء هذا التفسير متأخرًا، لو أردنا أن نحلِّل الواقعة لماذا فُسِّرت الولاية بهذا التفسير؟

هناك لون من التفسيرات يسمَّى في علم الاجتماع النفسي بـ(التَّبرير)؛ الإنسان عندما يعمل عمل ويرى أنَّ هذا العمل فيه مفارقة أو أنَّ هذا العمل خطأ لكن لا يريد أن يعترف بخطئه، لا يريد أن يقول أنَّ ما صدر منه مخالفة أو مفارقة يلجأ إلى التَّبرير، يأتي بالمبرِّرات التي تصحِّح له السّلوك لا في نفسه؛ ـ لأنَّه يعلم بالمخالفة والمفارقة ـ ولكن عند الناس الآخرين.

الإمامة عندما أُخذت من علي (عليه السلام) قد يُحتجّ بالنَّصّ ـ نصّ الغدير ـ وإذا احتُجَّ بالنَّصّ بالمعنى الذي فسّرناه بالولاية والذي فهمه المسلمون، معنى هذا أنَّ الإمامة الأخرى أو الخلافة الأخرى أو الولاية الأخرى هي مفارقة وهي مخالفة وخطأ.

إذًا لابدَّ من تأويل النَّصّ هنا، يعني أنَّ الدَّور السياسي يأتي هنا، فقالوا النَّصّ هنا يعني النُّصرة والمحبَّة ولا يعني السُّلطة والخلافة والإمامة، فليس لعلي إمامة وليس لعلي سُلطة حتى نقول أنَّها أُخذت منه.

لماذا تُفسَّر الولاية بهذا التفسير، ولا يُقال أنَّ الحادثة من أساسها لا واقع لها؟ أو أنَّ الحديث غير صادر عن الرسول؟

في البدايات الأولى لم يكن هناك من يستطيع أن يقوله، وحتى الآن إلاّ بعض الفِرق التي سأشير إليها. فالحديث متواتر، ونَقْل وقوع الواقعة متواتر؛ فإذا كان متواترًا لا نستطيع تكذيبه، لكن إذا أردنا أن نلعب دورنا السِّياسي نأوِّل الحديث بالمعنى الذي يتماشى مع ما أردناه وما انتيهنا إليه.

واستمرَّ الصِّراع بين مذهب أهل البيت الذين أبقوا النَّص على دلالته الأولى التي فُهمت بقرينة السِّياق، وكما فهمه المسلمون الذين حضروا الواقعة، وبين مذهب الآخرين والذي قد يعبر عنه بمذهب الخلفاء، والذي ذهب إلى أنَّ الولاية في الغدير لا تعني السُّلطة وإنَّما تعني المحبَّة والنُّصرة.

## تأويل معنى (الولاية)، المفارقات والنتائج

هذا ـ وكما قلتُ في كلمة سابقة لي ـ أدَّى إلى مفارقة خطيرة، ونتيجة تسلّط خط الخلفاء ما كان يُستطاع التَّصريح بهذه المفارقة ولكن الآن وبعد توسّع الدِّراسات ووجود الجامعات وتناول الموضوعات بشكل موضوعي ومنهجي، كُشف عن هذه المفارقة وهي مفارقة خطرة جدًا في حياة المسلمين.

هذه المفارقة جعلت هؤلاء الذين تأوَّلوا النَّص أن يستبعدوا الرّجوع إلى النُّصوص وأخذ الفقه السياسي أو فقه الدّولة الإسلامية من النُّصوص، واستبدلوه بالرّجوع إلى سير الخلفاء من أُمويين وعباسيّين واعتبروا سير الخلفاء من **معاوية** حتى **المستعصم العباسي** الذي هو آخر خلفاء العباسين أو الملوك العباسيين، هذه السِّيرة هي مصدر الفقه السياسي للمسلمين ومصدر فقه الدّولة عند المسلمين. فكيف أدَّى أخذ الخلافة من علي (عليه السلام) بالمسلمين إلى ذلك؟

نحن في الدّراسات العلميّة والآخرون أيضًا في دراساتهم الأكاديمية نقول: لا

يُؤخذ الحقّ من سير الرِّجال، مع علمنا بأنَّ هؤلاء الرِّجال ـ وإن كانوا مسلمين ـ يخطؤون، ولدينا النُّصوص الشَّرعيّة، إضافة إلى أنَّ هذه النُّصوص كافية وينبغي أن نرجع إليها ونأخذ فقه الدّولة الإسلامية والفقه السياسي من هذه النُّصوص.

وعند المقارنة بين الخطَّين، وكنتُ أقرأ قريبًا أكثر من بحث كتب حول المقارنة بين الخطَّين، فُضّل مذهب أهل البيت على المذهب الآخر، لماذا؟

لأنَّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) يستقي أحكام الدّولة الإسلامية من القرآن الكريم، ومن نصوص السُّنة الشريفة المروية عن طريق أهل البيت، بينما الخطّ الآخر لا يأخذ أو أكثر ما يأخذ من سير الخلفاء.

وربما الأسئلة التي تُطرح توضِّح هذا الجانب أكثر من خلال الواقع العالمي الموجود حاليًا.

## البعد العلمي الدّولي لولاية الفقيه

إنَّ المبدأ الذي قامت عليه الثورة الإسلامية المباركة هو مبدأ (ولاية الفقيه)، وهذه الولاية للفقيه طرحها إمام الأمّة (رضوان الله تعالى عليه) كولاية مطلقة نابعة من يوم الغدير ونابعة من ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة المعصومين (عليه السلام)، وهذه الولاية امتداد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وحكومته.

السؤال ما معنى ولاية الفقيه المطلقة التي طرحها الإمام (رضوان الله تعالى عليه)؟ ما رأيكم في الفكرة القائلة: إنَّ مَن له (ولاية الفقيه) له الأولوية في جميع شؤون الأمّة التي منها المرجعيّة ومقام الإفتاء إلاّ في حالة الضرورة؟

في نظام (ولاية الفقيه) أين تقع (الشورى)؟

## في البحث عن النظرية السياسية للنِّظام الإسلامي

(ولاية الفقيه) كانت تُطرح كمسألة فقهية وتُبحث من خلال بعض المسائل الفقهية، حتى أنّها ما كانت تُطرح بشكل مستقلّ، وتأتي ضمن البحث عن صلاة الجمعة والبحث عن موضوعات أخرى.

الآن (ولاية الفقيه) ـ وأقول هذا من خلال قراءات كثيرة ولقاءات كثيرة من مؤتمرات مختلفة ـ أخذت بُعدًا علميًّا ودوليًا.

وأوضّح هذا الآن، ولعلّه أهمّ من الإجابة على السؤال وتبيان معناها؛ لأنَّ هذا الموضوع من موضوعات الساعة، وأنا أودّ أن تكونوا في حضور على ما يجري على الساحة العالمية من أطروحات فكرية ومن صراعات ترتبط بهذه الطروحات الفكرية.

أعطي بعض الأمثلة ليتَّضح ما أقصده، الديموقراطية كنظام سياسي عالمي لها مرتكز، لها مبدأ في القانون ويقولون إنَّ لها مبدأ عام في العلوم السياسية.

كما يقولون إنَّ لها نظرية سياسية أساسية، وهي نظرية (إطلاق الحريات)، مبدأ إطلاق الحريات كل الأنظمة الديموقراطية في العالم تستند إلى هذا المبدأ وترجع إلى هذه النظرية، وأيّ نظام في العالم ليس له مبدأ يستند عليه أو يرتكز عليه، أو ليس له نظريه ينبثق عنها لا يأخذ دوره كنظام من أنظمة العالم.

الدكتاتورية، طبعًا ستقول إنَّ الدكتاتورية ليست نظام؛ الدكتاتورية أيضًا نظام من أنظمة الحكم، وتقوم على أساس من مبدأ تسلّط الفرد، نظريتها السياسية هي سُلطة الفرد المطلقة، السُّلطة المطلقة للفرد.

عندما نأتي إلى النِّظام الإسلامي ما هي النَّظرية السياسية للنظام الإسلامي؟ ماهو المبدأ العام للنِّظام الإسلامي؟

نرجع إلى الوراء قليلاً، ومن خلال الصِّراع الذي كان يحدث في العالم بين المسلمين في بلدانهم وبين البلدان الكبرى ذات الأطماع التي دخلت البلدان الإسلامية، الصراع ما كان يقوم بين الأنظمة الغربية والإسلام، وإنَّما كان يقوم بين الأنظمة الغربية وبين المسلمين.

أوضحّ هذا الآن، المسلمون إلى ما قبل فترة كانوا يتحرَّكون داخل إطار الإشتراكية، وداخل إطار ألوان أخرى أيضًا لا أُريد أن أستعرضها، ترتبط بكثير من الأحزاب التي كانت في البلاد العربية. فالصراع لم يكن في الواقع بين الرأسمالية المستعمِرة وبين الإسلام في بلاد المسلمين، وإنَّما كان بين الرأسمالية المستعمرة وبين المسلمين الذين تبنَّوا الإشتراكية وأمثال الإشتراكية، لماذا؟

لأنَّ المسلمين ما كانوا يعرفون النظرية السياسية للنِّظام الإسلامي، وما كانوا

يعرفون المبدأ العام السياسي للدّولة الإسلامية.

هناك كتب موجودة ومؤلَّفة من قِبل علماء أهل السنة كـ(الأحكام السلطانية) للماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، و(الأحكام السلطانية) لأبي يعلى الفراء الحنبلي (ت: ٤٥٨هـ) تستعرض أحكام الدّولة الإسلامية، لكن لا نستطيع عندما نقرأ هذين الكتابين وأمثال هذين الكتابين أن نخرج بمعرفة للنظرية الإسلامية التي تقوم عليها الدّولة الإسلامية.

توجد نُقُول ونصوص تأريخيًا، ولكنّها لم تخرج ـ في الواقع ـ عن مرحلة النُّصوص إلى مرحلة النظرية، وإلى مرحلة المذهب ومن مرحلة المذهب إلى مرحلة التَّقنين، هذا شيء قد مُنينا به.

## مع الشهيد الصدر في البحث عن النظرية السياسية

في الواقع ما كنت أريد أن أستعرض، لكن طرح السؤال جرَّني إلى هذا، أنا كنت أتهرَّب دائمًا ـ في الحقيقة ـ من الصحفيين الذين كانو يطاردونني في المؤتمرات وفي الأسفار حول أن أُعرب عن تأريخ الفترة التي عشناها تحت ظلال **الشهيد الصدر** (قدِّس سرّه)، ولكن الآن لأجل أن أوضِّح جواب السؤال أوضِّح أهمية (ولاية الفقيه) والبُعد العلمي الدَّولي الذي اكتسبته، بالإضافة إلى كونها مسألة فقهية.

بتوجيه من المرجع الدِّيني الأعلى **السَّيد الحكيم** (ت:١٣٩٠هـ) (قدِّس سرّه) وبإشراف من **السَّيد الشهيد الصدر** (ت:١٤٠٠هـ) (رضوان الله عليه) كان هناك مجموعة من شبَّان طلبة الحوزة العلمية في النجف، تعرفون منهم: **السَّيد محمَّد حسين فضل الله العاملي** (ت: ٢٠١٠م)، **الشَّيخ محمَّد مهدي شمس الدِّين**

العاملي (ت: ٢٠٠١م)، الشَّيخ محمَّد مهدي الآصفي (ت: ٢٠١٥م)، وآخرون لا تعرفون عنهم أيّ شيء، وربما بعضكم تسمعون بعض أسمائهم. كان هناك تحرّك بتوجيه وأمر السَّيد الحكيم ـ وهناك الآن كتب وأطروحات ماجستير ودكتوراه كُتبت عن السَّيد الحكيم، وكتبت هذا المعنى ـ بالنسبة للسَّيد الحكيم أنا لا آتي بجديد؛ لأنَّه كُتب هذا وفُهم الآن وربما تُرجم بعضها إلى بعض اللغات، كان السَّيد الحكيم يريد أن يوجِد كيان سياسي للمسلمين يقوم على أساس من مذهب أهل البيت، وليس معنى هذا أنَّه يفرِّق بين أتباع أهل البيت وبين غيرهم. لا، هم يعيشون في ظل هذا تماما كما كانوا يعيشون في ظلّ الدّول الإسلامية الأُخرى.

أصبحنا نجمع المادَّة العلمية بإشراف السَّيد الصدر، وهذا الذي لم أُرد أن أقوله لكن الآن، وبخاصّة أنّي أصبحتُ بحكم السِّن أُسرع الخطى إلى الحفرة التي لابدّ منها، (وإنِّي هامة اليوم أو غدِ)، فأقول هذا للتأريخ، أصبحنا نلملم ونجمع ما يرتبط بنظام الدّولة الإسلامية، بعد أن قرأنا الشيء الكثير من الكتب والأبحاث والمقالات التي كُتبت في الأنظمة غير الإسلامية من الديموقراطية والدكتاتورية والرأسمالية والاشتراكية وأنظمة أخرى كثيرة بعد أن جمعنا هذا، ماهي النظرية السياسية الإسلامية التي يقوم عليها، ونحن نفهم من خلال قراءاتنا أنَّ أيّ نظام لا يقوم على أساس من نظرية معينة، على أساس من مبدأ معين لا يستطيع أن يشقّ طريقه في الحياة ويأخذ دوره ويكون له مركز.

كان المفكّر هو السَّيد الصدر ونحن الشباب نتحرَّك بحركته، في حينها ما كان السَّيد الصدر يرى (ولاية الفقيه) والنِّقاش معه كان يطول ويطول لماذا؟ لأنَّه كان متأثّرًا برأي أُستاذه السَّيد الخوئي (قدِّس سرّه)، والسَّيد الخوئي كما تعرفون

لا يقول بولاية الفقيه من خلال دراسته لنصوصها وفي ضوء اجتهاده ـ ولكل مجتهد نصيب ـ.

إذًا ماذا نعمل؟ أين نحصل على النظرية السياسية؟ والشِّيعة كتبوا عن ولاية الفقيه كمسألة فقهية، نحن نفتِّش وإذا بكتاب يُترجم من اللغة الفارسية ويدخل إلى النجف الأشرف يحمل نظرية (شورى الحكم) أو (الحكم الشوروي)[١] للسَّيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) صاحب تفسير الميزان، ويبدو للوهلة الأولى أنَّ السَّيد الصدر أُعجب بهذه النظرية التي طرحها السَّيد الطباطبائي (رحمه الله) وتبنَّى هذه النظرية، وبطبيعة الحال تُطرح النظرية للمناقشة فطُرحت النظرية للمناقشة ونوقشت وأنا أتذكَّر ناقشتها من جملة مَن ناقشها في كتابي (في انتظار الإمام)[٢].

النظرية قد أستطيع أن أقول أنَّها غير متكاملة، ومن هنا لا تستطيع أن تكون نظرية سياسية كمرتكز لنظام دولة.

وبعد أن طال النقاش ورجعنا إلى كثير من الفضلاء المجتهدين في نقاش هذه القضية ونوقشت، تخلَّى السَّيد الصدر عنها.

ماذا نعمل ونحن نريد أن يكون النِّظام الإسلامي المطروح كبقية الأنظمة في العالَم؟

---

(١) لعل المقصود هو الرسالةالتي ترجمها الشَّيخ محمَّد مهدي الآصفي سنة ١٣٨٤هـ بعنوان (نظرية السياسة والحكم في الإسلام).

(٢) لاحظ: في انتظار الإمام: يعالج قضية الإمام المنتظر (عليه السلام)، ومسالة الحكم الإسلامي اليوم، تحت عنوان (الحاكم الأعلى هو من يعيّنه المسلمون).

طُرحت (حكومة الفقيه) وليست (ولاية الفقيه) ـ حتى تفرِّقون ـ طرحت نظرية (حكومة الفقيه) من قبل السَّيد الخميني (ت: ١٤٠٩هـ) (قدِّس سرّه) عندما كان في قم وقَبل أن يُنفى إلى النجف.

نحن أخذنا الفكرة وأخذنا نتدارس هذه الفكرة في ضوء الأدلة الفقهية، وانتهينا إلى تبنّي الفكرة لكن في خطَّين: مِنَّا مَن كان يقول بـ(حكومة الفقيه مطلقًا)، ومنَّا من كان يقول بـ(حكومة الفقيه الأعلم)؛ لأنَّه القدر المتيقَّن.

في حينها ذهبتُ إلى قم وتشرَّفت بلقاء الإمام السَّيد الخميني[1] وطلبت منه جِلسة خاصّة، وعدني أن آتي صباحًا بعد طلوع الشمس مباشرة إلى داره الخاصّة ـ يسمونه الدَّخلاني ـ دخلت عليه وكان جالسًا على الأرض ـ طبعًا ـ فراش على الأرض مفروش، أمامه كما أذكر حوض ماء وحوله ورود وأزهار والسَّماور الإيراني.

أثرتُ الموضوع معه وهو موضوع (ولاية الفقيه)؛ هل هو الفقيه مطلقًا أو الأعلم؟ طال النقاش[2] وفهمت رأيه تمامًا، وجئتُ ونقلتُ رأيه إلى الإخوة، وتبنَّوا حكومة الفقيه المطلقة.

أنا في كتاب (في انتظار الإمام) كتبتُ حكومة الفقيه الأعلم[3].

---

(١) كان ذلك في ١١ آب ١٩٦٤م/ ٢ لابيع الآخر ١٣٨٤هـ.

(٢) السَّيد الخميني (رحمه الله) يتمتَّع باعتداده بشخصيته إلى أبعد الحدود، يعني حتى الآن أنا ما رأيت شخص يتمتَّع بإعتداد بشخصيته كالسَّيد الخميني، السَّيد الصدر كان يعتدّ بشخصيته ولكن ليس بمستوى ما رأيته عند السَّيد الخميني أو بتعبير الصحفيين الآن يقولون: عنيد، يابس الرأس، يعني ما يتنازل، فإذا آمن بشيء لا يتنازل عنه.(منه)

(٣) لاحظ الكتاب تحت عنوان (الحاكم الأعلى هو الأعلم).

أيضًا هذه رأيناها لا تكفي لأن تكون نظرية لينبثق عنها نظام الدَّولة. إذًا ما هو المرتكز للحكومة؟ أين المبدأ؟ أين النظرية؟

نُفي الإمام الخميني إلى النجف[1]، وجاء إلى النجف وأخذ يحاضر في الفقه صباحًا في مسجد الشَّيخ الأنصاري، وفي ليلتي الخميس والجمعة[2] كان الإمام الخميني يحاضر في موضوع الحكومة الإسلامية باللّغة الفارسية. لم يكن يكتب المحاضرة وإنَّما بعض طلابه كانوا يكتبون المحاضرات ثم تُرجمت هذه المحاضرات إلى اللّغة العربية.

الطرح الذي طرحه السَّيد الخميني من خلال هذه المحاضرات؛ أنَّ (ولاية الفقيه) هي النظرية السياسية للحكم الإسلامي. دُرس الموضوع دراسة كافية من قبل سماحة السَّيد الصدر وطلابه وتبنَّى الشهيد الصدر (ولاية الفقيه) بعد أن كان يقول بعدمها، أصبح يقول بها وبأبعد حدودها تقريبًا.

## من نظرية الحكم إلى خطوط المذهب السياسي

في العالم وفي الدِّراسات الأكاديمية والعلمية والقانونية والسياسية، إذا عندك نظرية لابدّ وأن تُحوّل هذه النظرية علميًّا إلى مذهب، أي تؤلَّف كتاب يضع خطوط المذهب لهذا الفكر ومن هذا تنبثق الأنظمة.

الآن من الذي يقتدر على الكتابة في هذا الموضوع، رأينا ـ طبعًا هذا الذي أتكلمه تأريخ ـ أنَّ الشخص الذي يستطيع أن يكتب هو الذي طرح هذه

---

(١) وكان ذلك في ٥/ ١٠/ ١٩٦٥م ـ ٩/ ٥/ ١٣٨٥هـ.

(٢) هاتان الليلتان إجازة عند الطلبة، وما أكثر إجازات الطلبة! نصف حياتهم إجازات ونصف حياتهم دراسة. (منه)

النظرية؛ فمن المفترض أن الإمام الخميني باعتباره من طرح النظرية ويكون فاهم لها ولأبعادها هو الذي يكتب، لكن مشاغل السياسة التي كانت تشغله ومشاغل البحث والحوزة يعني لم يصدر منه شيء في هذا الجانب.

صدر الدّستور الإيراني، وهو المفترض ينبثق عن المذهب الذي سيوضع لكن صدر قبل أن يوضع المذهب، ويمكن أنَّ الشيء يأتي من دون أساس ولكن أساسه موجود وفيما بعد يظهر.

فتوجَّهت الأنظار إلى السَّيد الصدر أنَّه هو الذي يكتب، وقلنا أنَّ السَّيد الصدر ربما قد يتناول الموضوع من خلال كتابه مجتمعنا أو بشكل مستقل، ولكن الأوضاع والمطاردة التي كانت والسجون والتعذيب والتشريد والتضحيات أشغلت السَّيد الصدر إلى أن استُشهد ولم يكتب شيئًا من هذا.

مَن الشخص الثالث الذي يستطيع أن يكتب؟ كان الشخص الثالث والذي جاء اسمه عندي من خلال قراءاتي لمصادري في كتاب (في انتظار الإمام)، وكان من المصادر كتاب اسمه (البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر) وهي محاضرات للسَّيد البروجردي (ت: ١٣٨٠هـ) المرجع الكبير الذي كان في إيران قبل الإمام الخميني، وكان الشَّيخ المنتظري (ت: ٢٠٠٩م) من تلامذته وكتب محاضراته في هذا الكتاب.

والسَّيد البروجردي لعلَّه من أوائل المعاصرين الذين طرحوا حكومة الفقيه من خلال محاضراته، لكن ليس بشكل مستقل كما طرحها الإمام الخميني وإنَّما من خلال بحثه في موضوع إمام الجمعة، فالشَّيخ المنتظري كان كاتب في الموضوع وكتابه ممتاز جدًا، إذ يحتوي على دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدّولة

الإسلامية، وهو من أربعة مجلّدات ومن خيرة ما كُتب في هذا القرن أو في هذا العصر.

الكتاب يأتي الآن بمصاف (العقد الاجتماعي) لجان جاك روسو (ت: ١٧٧٨م)، الكتاب الذي أصبح الأساس المذهبي للديموقراطية، كما أنّه يأتي بمصاف كتاب (رأس المال) لكارل ماركس (ت: ١٨٨٣م) الذي تُرجم للغة العربية في ثمانية مجلّدات، وكان هو المذهب الذي انبثقت منه الأنظمة الإشتراكية، وكتاب الشّيخ المنتظري بكامله ـ حقيقة هذا الرجل عالم وتناول الموضوع بشمولية وعمق ـ يعدّ الكتاب الذي حوّل النظرية إلى مذهب، طبعًا بعد المذهب يأتينا التّقنين؛ الدّستور والأنظمة.

في مقابل هذا ألّف أحد الأساتذة من إخواننا أهل السُّنة وهو الدكتور محمَّد سليم العوا كتاب في نفس الموضوع عنوانه (في النِّظام السياسي للدَّولة الإسلامية)، تناول الدّستور الإيراني وأشياء أخرى، لكن على طريقة إخواننا أهل السنة؛ التأريخ عندهم هو المصدر.

قريبًا قرأتُ موضوعات لبعض القانونيين، يقول: لماذا ترك الغرب محاربة المسلمين، وأصبح يحارب الإسلام كمبدأ؟ لماذا الغربيون من مفكرين وسياسيين يحاربون الإسلام؟ يقول لأنَّ الإمام الخميني استطاع أن يطرح (ولاية الفقيه) كنظرية سياسية للأنظمة الإسلامية على اختلافها، من اقتصادية واجتماعية وعسكرية وسياسية وثقافية وتربوية وتعليمية، والغرب يهتمّ لهذا كثيرًا. معنى هذا ـ هو يقول ـ أنَّ المثقفين المسلمين في الجامعات وغير الجامعات أصبح لديهم الآن المبدأ الذي يستطيعون من خلاله أن يُقيموا دولتهم العالميّة التي ستقضي على الدّول الأخرى.

## تعدد مرجعيّات الفُتيا، ووحدة المرجعيّة القائدة

نأتي الآن للمرجعيّة، لا مانع أن يتعدَّد المجتهدون المقلّدون، ليكن عندنا مائة مقلَّد ـ الآن يُقال سبعون رسالة عملية طُبعت في إيران ـ لا مانع في هذا. هذه نعتبرها ظاهرة صحية، وهذا يدلّ على التَّقدم الفكري عندنا، لا يُمنع من تعدّد المقلّدين المجتهدين ولكن مع هذا نحتاج إلى قيادة واحدة فقط.

هناك مرجع تقليد وهناك مرجع قائد، نحتاج إلى مرجع واحد في القيادة؛ ليس كلّ فقيه مقلَّد يكون مرجعًا قائدًا، مراجع التقليد لا مانع من تعدّدهم، لكن يكون لدينا مرجعًا قائدًا. من مجموع هؤلاء المراجع يُختار الشخص الذي هو أكفأ وليس أعلم، الذي هو أكفأ لإدارة شؤون المسلمين، هذا المرجع القائد يتولّى القضايا العامَّة للمسلمين، يترك قضايا العبادات الخاصّة وقضايا المعاملات الخاصّة لتقليدك، لكن هناك قضايا عامَّة للمسلمين، وعلى المسلمين أن يقولوا كلمتهم فيها، أمّا أن نترك المجال لكلّ الفقهاء سنقع في الإختلاف الذي هو ليس برحمة.

إذًا لابدّ أن يكون عندنا مرجع قائد؛ وبذلك نستطيع أن نحلّ مشكلتنا وأن نوحّد كلمتنا وأن نرفع من مستوانا إلى أعلى درجات؛ لأنَّ الصّراع موجود الآن حتى نخرج من هذا الصّراع منتصرين.

الإمام علي بن أبي طالب ( ٤ )

# الإمام علي عليه السلام وعدالة الحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

أرصف بباب علي أيّها الذهبَ | وأخطف بأبصار من سرَّوا ومن غضبوا
وقل لمن كان قد أقصاكَ عن يده | عفواً إذا جئتَ منك اليوم أقترب
لعل بادرةً تبدو لحيدرة | أن ترتضيك لها الأبواب والعتبَ
فقد عهدناه والصفراء منكرةٌ | لعينه وسناها عنده لهبَ
ما قيمة الذَّهبِ الوهاج عند يد | على السواء لديها التِّبرَ والتربَ
ما سرّه أن يرى الدنيا له ذهبًا | وفي البلاد قلوب شفها السَّغبَ
ولا تضجر أكباد مفتتة | حتى يذوب عليها قلبه الحدبَ
أو يسقط الدمع من عيني مولهة | أجابها الدّمع من عينيه ينسكبَ
تهفو حشاه لأنَّات اليتيم بلا | أم تناغي ولا يحنو عليه أبَ
هذي هي السيرة المثلى تموج بها | روح الوصي وهذا نهجه اللحبَ
فاحذر دخول ضريح أن تطوف به | إلا بإذن عليٍ أيُّها الذَّهبُ[1]

---

(١) السَّيد حسن الأمين، مستدرك أعيان الشيعة، ١: ٥٥٨. وهي جزء من قصيدة للشيخ عبد المهدي مطر أنشدها يوم الاحتفال بافتتاح الباب الذهبي الذي أهداه بعض الإيرانيين لمقام أمير المؤمنين سنة ١٣٧٣هـ.

## الإسلام والنِّظام العالمي الجديد

قلتُ في أكثر من محاضرة: نحن هنا جزء من هذا العالَم ولابدّ أن نعيش أحداث هذا العالَم ونتعرَّف ما يجري في هذا العالَم؛ لأن لنا من خيره وشرّه نصيب.

الآن تتعالى الأصوات من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب بالمناداة **بالنظام العالمي الجديد**، وتتسابق الحضارات المعاصرة في تقديم النموذج الأمثل الأصلح لهذا النّظام العالمي الجديد، ولا أعتقد أن هناك نظامًا أمثل وأصلح من الإسلام، ولا أنَّ هناك نموذجًا ممثّلاً لحقيقة الإسلام من علي (عليه السلام)؛ من هنا سوف ألقي بعض الأضواء على جوانب من حُكم الإمام علي (عليه السلام)، وعندما أقول من حُكم الإمام علي (عليه السلام) أعني عند تولّيه السلطة بعد مقتل الخليفة عثمان (ت: ٣٥هـ).

ولابدّ من أن أوطّئ للموضوع بتوطئة تكون أساسًا أنطلق منه إلى توضيح وتبيين ما أنا في صدده.

## عوامل نهضة الأمم

من أهمّ عوامل نهضة الأمّة أيّة أمّة هو أن تمتلك مبدأ ـ **الخطوة الأولى** ـ نحن الآن نمتلك مبدأ وهو الإسلام فالخطوة الأولى للنهضة موجودة وهو وجود هذا المبدأ الذي يتمثَّل بالقران الكريم وبالسنة النَّبوية الشريفة، وبما أُخذ من هذين المصدرين المقدَّسين من عقيدة وتشريع، فنحن نمتلك المبدأ.

**الخطوة الثانية فهم المبدأ**، أن نفهم هذا المبدأ؛ فالأمّة التي تمتلك مبدأ ولاتفهم مبدأها لاتستطيع أن تنهض، فإذن الخطوة الثانية أن نفهم هذا المبدأ، وطبعًا

الوسائل تختلف في استخدامها لفهم هذا المبدأ، وسائل التعليم وسائل التربية وسائل الإعلام، والوسائل الأخرى على اختلافها.

الخطوة الثَّالثة أن نؤمن بذلك المبدأ، نؤمن بصلاحية ذلك المبدأ في أن يحقِّق لنا السعادة في هذا الدنيا وكمسلمين في الآخرة أيضًا.

لا أريد أن أُعلِّق على واقع المسلمين الآن، وموقفهم من هذه الخطوات الثلاث؛ لأنَّني أريد أن أَمهد بها إلى الموضوع الذي سأتحدَّث عنه، وهو موضوع (عدالة الحكم عند الإمام)، من أجل العمل الذي يقوم به أبناء الأمّة لتحقيق فهم المبدأ والإيمان به

## الإمام علي عليه السلام ومسؤولية النهضة

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ في اعتقادنا وفي واقعه وفي الواقع أيضًا ـ هو المسؤول الأوَّل عن الإسلام بعد النبي (صلى الله عليه وآله) فمِن منطلق مسؤوليته: كيف يُفهِم الناس وكيف يجعل الناس تؤمن بهذا المبدأ؟

قام بعملين متكاملين، وكل عمل من هذين العملين يرتبط بالآخر ويكمل الآخر، (المبدأ) نظرية تتحوَّل إلى تطبيق وهذا شيء معروف في كل قوانين الدنيا، فالنظرية تتحوَّل إلى تطبيق في الواقع الخارجي.

العملان اللّذان قام بهما الإمام (عليه السلام) لتفهيم المبدأ وللإيمان به وتطبيقه على واقع الأمّة ليحقّق عدالة الحكم:

### الجانب النظري لتفهيم المبدأ والإيمان به

بالنسبة إلى النظرية، هَمَّ بالدعوة وحشد كل الوسائل المتاحة آنذاك للدعوة للإسلام، والدعوة للإسلام نعني بها تفهيم الناس واقع هذا الإسلام.

**١ـ فقام بدور التعليم وكوَّن تلامذة قاموا أيضًا بتعليم الناس وتوزَّعوا في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية آنذاك**، واستفاد من تلامذة الإمام الخلفاء الذين سبقوه، فعديد من ولاة الخليفة عمر كانوا هم من تلامذة الإمام **أمير المؤمنين** (عليه السلام)، **سلمان الفارسي** (ت: ٣٦هـ) كان من تلامذة الإمام وكان واليًا على المدائن من قِبل الخليفة **عمر** (ت: ٢٣هـ).

عمّار بن ياسر (ت: ٣٧هـ) كان من تلامذة **الإمام أمير المؤمنين** (عليه السلام) وكان واليًا على الكوفة من قِبل الخليفة **عمر**.

أبو ذرّ الغفاري (ت: ٣٢هـ) كان من تلامذة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان واليًا على الشام من قبل الخليفة عمر بن الخطاب.

فإذن الإمام كان الانطلاقة لتفهيم المبدأ، فحتى الخلفاء الآخرون ما كان عندهم التلامذة الذين يستطيعون أن يقوموا بدور نشر الإسلام وتعليم الاسلام، حتى ابن مسعود الذي جاء للكوفة وقام بدور التعليم في الكوفة كان هو في الواقع من أبرز تلامذة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهكذا الآخرون لو حاولنا أن نأخذ مسحًا تأريخيًا للولاة والمعلمين والقرّاء والمبلغين الذين انتشروا في البلاد الإسلامية، كلهم في الأخِرة يرجعون إلى الإمام علي (عليه السلام).

**٢ـ أيضًا الإمام هو الشخصية الوحيدة من المسلمين آنذاك التي قامت بوضع أسس العلوم الإسلامية:**

ـ **القراءات أو علم قراءات القرآن**، ويمكن أن تقرأ في أواخر المصاحف سترى أنَّ رواية قراءة القرآن بالآخرة في أكثر الروايات ـ طبعًا ليس كل الروايات ـ تنتهي إلى علي (عليه السلام)، فالقرّاء الذين انتشروا في مختلف البلاد الاسلامية كانوا هم من رواة علي، يعني الإمام (عليه السلام) كان يروي قراءة القرآن عن النبي (صلى الله عليه وآله) إلى هؤلاء، وهؤلاء كانوا ينشرونها بين المسلمين.

ـ **التوحيد والعقيدة**، وبين أيدينا (نهج البلاغة) وهو جزء مما أعطى الإمام (عليه السلام) فيه الشيء الكثير أيضًا من علم التوحيد وعلم العقيدة.

ـ **النحو** ـ الذي كان تلاوة القرآن أو قراءة القرآن بحاجة إليه خاصّة بعد دخول الأعاجم إلى البلاد العربية ـ كان من وضع أبي الأسود الدؤلي وهو تلميذ

الإمام علي (عليه السلام) بتعليم من الإمام (عليه السلام).

فالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) شارك إمَّا مؤسِّسًا أو مرشدًا لتلامذته في وضع العلوم الإسلامية التي وُضعت في القرن الأول الهجري.

ـ التَّأليف، العرب ما كان عندهم كتاب مؤلَّف بلغتهم، وأوَّل تأليف بعد القرآن الكريم ـ طبعًا القرآن وحي وليس تأليف ـ أوَّل من كتبه هو الإمام علي (عليه السلام)، هو (كتاب علي) وتحدثنا عنه كثيرًا[1].

وبعد علي كتب تلامذته أبناء أبي رافع وأيضًا تلامذته الآخرون، وانتشار التأليف.

هناك (صحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص)، وهناك (صحيفة همام بن منبّه) لكن كانت مجموعة أحاديث فقط؛ يعني جمع وليس فيها تأليف، ليس فيها استنتاج وتحليل، إنَّما كان هذا عند تلامذة علي (عليه السلام)، ويمكن الرجوع لبعض الكتب لمعرفة هذا ككتاب (تأسيس الشِّيعة لعلوم الإسلام) للمرحوم السَّيد حسن الصدر (ت: ١٣٥٤هـ)، وكتاب (أعيان الشِّيعة) للسَّيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ) أيضًا في مقدمته شيء كثير من هذا الذي تحدّثت عنه.

## الجانب التطبيقي لتفهيم المبدأ والإيمان به

في جانب التطبيق لتفهيم المبدأ والإيمان بالمبدأ، عندنا وسيلة وهي وسيلة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وهو ليس كما نفهمه الآن وهو أن ترى

---

(١) لاحظ محاضرته بعنوان: الآثار المدوّنة للإمام علي (عليه السلام))، القسمين الأوّل والثاني من هذا الكتاب.

إنسانًا منحرفًا وتحاول أن تقوِّم انحرافه.

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) أوسع من هذا؛ فالفقهاء يقولون من شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهم المعروف وفهم المنكر؛ أن تفهم ما هو المعروف وماهو المنكر، يعني ما هو الحلال في الشريعة الإسلامية، وماهو الحرام، فالحلال هو المعروف والحرام هو المنكر، ومسؤولية الأمر بالمعروف ملقاة على عاتق المسلمين؛ فإذن لابدّ لهم من فهم المعروف وفهم المنكر، يعني فهم الحلال الموجود في الشريعة وفهم الحرام، هذه الوسيلة استخدمها الإمام علي (عليه السلام)، وسأشير إلى جانب من هذا عندما كان حاكمًا.

## الإمام علي عليه السلام في حكمه.. واجبات الحاكم وتطبيق الأحكام

عندما تولّى الإمام الحُكم بعد مقتل عثمان بدأ بنفسه كحاكم مسلم، ما هي مواصفات الحاكم المسلم، وما هي شروط الحاكم المسلم، وما هي واجبات الحاكم المسلم؟ طبّقها على نفسه أوّلاً، ثم بدأ بتطبيق الأحكام على الآخرين.

أنا لا أستطيع في هذه المحاضرة أن أستعرض كلّ هذه الجوانب التي ترتبط بعدالة الحُكم عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإنّما أُعطي أمثلة فقط:

### المثال الأوّل: المشاركة الوجدانية

المشاركة الوجدانية هذه لا توجد إلاّ في الإسلام، ووجدت في شخصية ـ قد تستغربون عندما أذكرها، لكن ليس من مبدأ تلك الشخصية ـ غاندي (ت: ١٩٤٨م) زعيم الهند المعروف، هذا حاول أن يطبّق المشاركة الوجدانية إلى حدٍّ ما، وقد أخذها من الإسلام وهي ليست من مبدأه.

المشاركة الوجدانية تعني أنَّ على الحاكم الذي يتولّى أمور المسلمين ـ يعني رأس الدَّولة الإسلاميّة ـ أن يساوي في حياته المعيشية أقلَّ إنسان في الأمّة، فإذا كان هناك أقلّ إنسان في الأمة لا يأكل إلاّ قرص الشَّعير يجب عليه أن لا يأكل إلاّ قرص الشَّعير، وإذا كان أقلّ إنسان في الأمّة لا يلبس إلاّ ثوبًا واحدًا ويرقّعه أيضًا هو لا يلبس إلا الثوب الواحد ويرقّعه. وتسمعون أنتم من الخطباء عن مدرعة علي وكم رقّعها وبنفسه كان يرقعها، يقول في بعض خطب (نهج البلاغة) من خطبه: (**وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي**)، عادة الإنسان عنصر الطمع موجود لديه، حب الدنيا موجود لديه، وهنا نستطيع أن نفهم عبقرية

الإمام كيف كان يمتلك إرادة قويّة يغالب فيها هواه ويغالب فيها حبّ الدنيا، (إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ) هو كان في الكوفة عندما قال هذه الخطبة، (وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ [نجد] مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ) فإذًا، أنا لابدّ أساوي أقلّ فقير بالأمّة، لماذا؟ سأوضّح هذا فيما بعد. (أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى[ جياع] وَأَكْبَادٌ حَرَّى) هذا الذي قلبه محروق يرى هؤلاء يتنعّمون وهو ليس عنده شيء، والحديث الشريف المجمع عليه من السّنة والشّيعة، (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[١]

((أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ[٢]

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِالْعَيْشِ!)[٣]، هذه هي المشاركة الوجدانية.

رئيس الدولة المفروض لا يقنع بأن يُقال هذا رأس الدولة، يقول الإمام: أنا لا أقنع بأن يُقال لي أمير المؤمنين وأرتاح لهذا اللقب، وأنا لا أُطبّق الواجب الشرعي على نفسي فأُساوي أقلّ فقير في الأمّة.

لماذا يساوي رئيس الدّولة أقلّ فقير في الأمّة؟ الإمام يقول: (كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ)؛ يعني لأن لا ينحرف بالفقير فقره؛ فإذا لم نوصل لهذا الفقير حقّه

---

(١) لاحظ مثلاً: صحيح البخاري، ٣: ٧٧؛ بحار الأنوار، ٦٣: ٦٥، وللحديث صيغ متعددة.

(٢) (القدّ) اللحم اليابس. (منه)

(٣) نهج البلاغة، الكتاب رقم (٤٥).

سيصل إليه بالطُرق غير المشروعة.

هذه المشاركة الوجدانية لم يحقِّقها ألاَّ علي (عليه السلام)، ما امتلك بيتًا أبدًا، وما امتلك إلاّ مدرعة واحدة كلَّما تمزَّقت من جانب رقعها بيده.

## المثال الثاني: المحافظة على أموال المسلمين

وكان يأخذ من بيت مال المسلمين بمقدار ما يأخذ قنبر، وأيضًا يصرف ما يأخذه في سبيل المسلمين، وكان يأكل من كدِّ يمينه ومن عرق جبينه، لم يأخذ من أموال الدَّولة ولا حتى درهمًا واحدًا، لم يسجل التأريخ أنَّ عليًّا أخذ شيئًا من أموال الدَّولة.

أكثر من هذا! في محافظته على أموال الدَّولة ـ كحاكم ـ يدخل بيت مال المسلمين[1] وكان عنده قائمة بأسماء المسلمين ـ يعني كم عدد المسلمين ـ يدخل بيت مال المسلمين، يدخل هذه الحجرة حتى يحسب الأموال ويقسّمها على عدد أفراد المسلمين، وما كان هناك كهرباء فكان يوقد شمعة، ولا يوقد الشَّمعة إلاّ إذا بدأ بالعدّ؛ يعني ما دام يشتغل في عمل يرتبط بمصلحة المسلمين.

والقصّة المعروفة أنّ أناسًا دخلوا عليه وكان يعدّ أموال المسلمين، فلمّا بدأوا بالشَّكوى توقّف عن العدّ، وأطفأ الشَّمعة، لأنّ شكواهم لم تكن من شؤون المسلمين.

هل تجد أمامك كهذه الأمانة عند رئيس أو زعيم؟ أبدًا، لم يحدّثنا التأريخ ـ أنا

---

(١) بيت مال المسلمين: غرفة توضع فيها النّقود ـ طبعًا ـ ما كان هناك بنوك والأموال بالبنوك ونشتغل بالشيكات، كانت الأموال تُجبى بالأكياس، وتوضع في غرفة تسّمى بيت مال المسلمين، وكان عليها حارس.

لا أقول هذا لأنّي شيعي وأنتمي لعلي، هذا واقع وأنا أريد أعرض الواقع؛ يعني لو تستعرض التأريخ من أوّل دولة في الدنيا كانت، وأوّل رئيس حتى عصرنا هذا، لن تجد إنسانًا أؤتمن على أموال شعبه وكان أمينًا عليها ولم يخنه حتى بأقل القليل غيرَ علي.

قصّته مع عقيل وسمعتوها كثيرًا من الخطباء؛ أعطاه حقَّه، وأراد زيادة ـ ويبدو عقيل كان طمّاع، فانقلب وذهب لمعاوية؛ ـ (**وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ، غُبْرَ الأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمَعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ، مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَف مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ :ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَة أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَار سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً؟!**)[1].

فلو أعطى زيادةً ولو شيئًا قليلاً يعتبرها خيانة وسيُحاسب من قِبل الله، وأنّه يكون في جهنم.

## المثال الثالث: معايير التوظيف في الحكومة

بالنسبة إلى التَّوظيف ـ تجدون فقرات في (نهج البلاغة) في عهد الإمام (عليه السلام) لواليه على مصر **مالك الأشتر**[2] ـ كان يشترط في الموظَّف ثلاثة أشياء:

---

(١) لاحظ، نهج البلاغة الخطبة (٢٢٣).

(٢) وهذا العهد من أقيم الوثائق القانونية التي مرَّت في التأريخ؛ فيه نظريات لم يتوصّل لها ←

١ـ الكفاءة: يعني هو بمستوى الوظيفة التي تُعطى له.

٢ـ العدالة.

٣ـ والأمانة: أن لا يخون وظيفته، فيختلس أو يرتشي.

وبدأ يحاسب عمّاله.

وتعرفون قصته مع ابن حنيف عامله على البصرة هذا دُعي مثل ما ندعى نحن على الولائم الضخمة، دُعي في شهر رمضان على إفطارورما من دعاه لأنّه عامل لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فبلغ الأمر لأمير المؤمنين، فأرسل له كتاب أقام الدنيا عليه ولم يقعدها: (أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إلى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ.

فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ)[1].

يقوله كيف تستجيب لأغنياء البصرة مع وجود الفقراء، والوليمة التي أقيمت لك كان من المفروض أن تُعطى للفقراء!

وعندما تولّى الحكم بعد مقتل عثمان، وكان هناك توزيع للمال في عهد عثمان بالتّفاضل ولم يكن بالسّوية؛ فالإمام في أوّل خطاب يُسمّى بلغة القانون (خطاب العرش) ألقاه قال: هذه الأموال التي أُخذت في عهد عثمان ـ بغير حق ـ سأسترجعها ولو تزوج بها النساء[2].

---

علم القانون إلاّ في هذا القرن، وهي موجودة في هذا العهد أو هذه الوثيقة. (منه)

(١) نهج البلاغة، الخطبة (٤٥).

(٢) نهج البلاغة، من كلام له رقم (١٥).

هنا قامت ثائرة معاوية، وهذا أهمّ سبب جعل معاوية يرفع قميص عثمان ويتستَّر خلف قميص عثمان؛ لأنَّ معاوية عنده قصر الخضراء وعنده الأموال، يعني أن هذه كلّها سوف تُسحب، ولم يكن مستعدًّا أن يتنازل عنها ويعطيها.

في نصّ الخطاب: (ألا إنَّ كُلَّ قطيعة أقطعها عثمان، وكُلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحقَّ القديم لا يُبطله شيء، ولو وجدتُه وقد تُزوج به النساء، وفُرِّق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحقّ فالجور عليه أضيق).

هذا هزَّ هؤلاء الذين كانوا يأخذون أكثر مما يستحقّون، فكانت حرب الجمل، وكانت حرب صفين، وأسبابها هذه الأموال التي أشرتُ إليها.

من ألوان المحاسبة ـ أقرأ لكم شيء حتى تعرفوا الخطابات التي كان يوجّهها إلى ولاته، لا من قَبل علي ولا من بَعد علي فالعدالة لم تتمثل ولم تتجسد إلاّ في حكم علي، يعني لم يحدِّث التاريخ بهذا أبدًا ـ يوجِّه خطابه إلى إلى أحد ولاته يقول:(أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ، إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الأَرْض فأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ)[1].

وهذا الذي كانت تنادي فيها الاشتراكية والشيوعية، وماركس دائمًا كان يحاسب ويقول ارفع إليّ حسابك.

هذا لم يكن قبل علي ولا بعد علي، ولا فرق عنده بين أن يكون هذا الوالي من أسرة كبيرة أو شخصية كبيرة أو إنسان عادي، فلا فرق عنده في ذلك.

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة رقم (٤٠).

فهذا اللون من العدالة إذا أردنا أن نقدِّمه نموذجًا الآن، أنا أعتقد أنَّ العالَمَ كلّه يستجيب، وعندما أقول العالَمَ أقول الشعوب ولا أقول الرؤساء؛ لأنَّ العالَمَ لم يجد عدالة كهذه العدالة وهذه العدالة ليست نظرية إنَّما هي تطبيق، يعني جسَّدت في الواقع في عهد علي، وهذا التَّجسيد في الواقع هو برهان قوي بأنَّ هناك نظام يمكن أن يعطي للإنسان حقَّه، يهيِّء للإنسان كرامته، يمنحه عزته.

هذا علي يطلّ علينا من أعماق التأريخ بهذا النَّموذج المثالي الرائع، فإنْ قدَّمناه قدَّمنا الإسلام في شخص علي.

والحمدلله ربِّ العالمين.

الإمام علي بن أبي طالب ( ٥ )

# الجوانب الحضاريّة والفكريّة والثقافيّة في شخصيّة الإمام علي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العلمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

بعدتَ عن المرمى رويدكَ فاتّئدْ    إلى أين تجتاح الربى والفيافيا
أثر رهج النَّادي إذا اكتظَّ جنبه    وإن وجم الشَّادي فكن أنت شاديا
فما هو إلاّ أن يعجَّ مدائحًا    بذكرى (علي) أو يعجَّ مراثيا
فكم حمحمت حول الغريّ وأنشدت    تقدَّست يا وادي ابن عمران واديا
ترابك أكبادٌ تداف وإنَّما    نسيمك أرواحٌ تهبُّ عواديا
فهذا عليٌّ فوق كرسيّ مجده    يرتّل صوت الحمد سبعًا مثانيا
تغشّاه من عرش المهيمن هيكلٌ    أعاد لنا السَّبع الطِّباق ثمانيا
وهذا عليٌّ والأهازيج باسمه    تشقُّ الفضا النَّائي فهاتوا معاويا[١]

لا أريد أن أتحدَّث عن علي كإمام، ولا أريد أن أنطلق في حديثي عن علي كشيعي يوالي عليًّا ويهواه؛ وإنَّما أريد أن أتحدَّث عن علي كعملاق ضخم من عمالقة التأريخ تجسَّدت فيه عظمة التَّشريع الإسلامي العظيم.

---

(١) الحاج حسين الشاكري، علي في الكتاب والسُّنة والأدب ٥: ١٤٩، جزء من قصيدة بعنوان (حديث الدَّهر)، للشَّيخ حميد ابن الشيخ عبد الرسول الشَّهير بالسَّماوي.

وأريد أن أنطلق في حديثي عن علي كإنسان قرأ كثيرًا عن علي وسمع كثيرًا عن علي.

## حياة علي بين السِّيرة والشخصية

هناك جانبان في حياة علي السِّيرة والشَّخصية، ولأركِّز على الجانب الثاني وهو الشخصية لابدّ لي من إعطاء شيء لتوضيح الفرق بين السِّيرة والشَّخصية، ولا أريد أن أستعمل هنا المصطلحات العلميّة، وإنَّما أتحدَّث ما أمكنني ذلك باللّغة المفهومة لديكم.

**١ـ يُراد بالسِّيرة:** الحديث عن ولادة الشخص، وعن نشأته، وتربيته، ومختلف مراحل حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى وفاته.

وهذا الجانب من حياة الإمام علي قد أُشبع كثيرًا فيما كُتب فيه، سواء كان ذلك من أتباع علي وهم الشِّيعة، أو من إخوانهم وهم السُّنة، أو من غير المسلمين من مستشرقين وغير مستشرقين.

ولو أردنا أن نأخذ إحصائية بما كُتب عن علي وبما كُتب عن الصحابة الذين عاصروه، لرأينا الذي كُتب عن علي أكثر بكثير مما كُتب عن سواه من الصحابة؛ وإن دلَّ هذا على شيء فإنَّما يدلّ على عظمة علي كإنسان دخل هذا التأريخ.

**٢ـ أمّا الشَّخصية:** فأريدُ منها ـ باختصار ـ هو الجانب الحضاري من حياة علي، والجانب الفكري من حياة علي، وثقافة علي.

## شخصيّة الإمام علي، العوامل المكوّنة

وقبل أن أعطي بعض النّماذج التي أفدناها من شخصية هذا العظيم، أودّ أن أُشير إلى العوامل التي كوَّنت شخصية الإمام علي (عليه السلام) كمفكِّر إسلامي عظيم يأتي بعد شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة.

### العامل الأول

الإستعداد الفطري الموجود عند علي؛ فعلي (عليه السلام) كان موهوبًا، ومن الموهوبين العباقرة.

### العامل الثاني

الإلهام؛ وهو ما يركِّز عليه الشِّيعة كثيرًا، وتعرفون عن الإلهام كثيرًا لكثرة مايتردَّد على ألسنة خطباء المنبر الحسيني، وقد نكون متأثرين بعقدة الغير ونقول أنَّ بعض السُّنة ينعون علينا أنّنا ندَّعي الإلهام لأئمة أهل البيت.

أنا لا أُريد أن أدخل في مجال ردٍّ ومناقشة، وإنَّما أُحيل إلى كتاب شخصية علميّة من شخصيات علماء السُّنة وهو الشَّيخ ابن تيمية (ت: ١٣٢٨م)، وإلى كتاب لتلميذه ابن قيّم الجوزية (ت: ١٣٥٠م) وهو أيضًا عالم كبير من علماء إخواننا أهل السُّنة.

ابن تيمية وكذلك ابن القيّم يذهبان إلى أنَّ الفقيه أو العالِم الفقيه إذا أعوزه النَّص لإستنباط الحكم الشَّرعي يُلهم من قبل الله تعالى(١)، وبهذا يَعتبر ابن تيمية

---

(١) لاحظ: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٠: ٢٤؛ ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين ١: ٤٢.

وابن القيم أنَّ الإلهام مصدرٌ من مصادر التَّشريع الإسلامي.

فإذا كان للفقيه الذي هو من غير شكٍّ في شخصيته دون شخصية الإمام علي أو دون شخصية الإمام جعفر بن محمَّد الصادق، إذا كان له أن يُلهم فلإمام علي من طريق أولى أن يُلهم.

## العامل الثالث

التَّعلم من رسول الله؛ فالتأريخ يحدِّثنا أنَّ عليًا (عليه السلام) كان ملازمًا لرسول الله ملازمة الظِّل بالظل، وعلي نفسه يحدِّثنا عن هذه الملازمة كما يقول (وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني وأقام عني نساءه، فلا يبقى عنده غيري. وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بنيّ، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكتّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني...)[١]، وكان الإمام علي يدوِّن ذلك أوَّلاً بأوَّل، هذا من جانب.

ومن جانب آخر يُنقل عن الخليفة عمر بن الخطاب عندما توقَّف في بعض الفتيا، كان يقول (ألهاني الصَّفق بالأسواق)[٢]؛ لأنَّ هناك فرق بين علي الذي كان مع رسول الله في يومه كلّه إلاّ استثناءات تخصّ شؤون رسول الله، وبين غيره من الصحابة.

ومن هنا لا نستغرب أن يكون علي أعلم الصحابة، وبشهادة عمر بن الخطاب عندما يقول: (**أقضانا علي**)[٣].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي ١: ٦٤.

(٢) البخاري، الصحيح ٨: ١٥٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٩.

## مدوّنات الإمام علي (عليه السلام)

١ـ وذهب رسول الله، وترك عند علي ما يُعرف على ألسنة الأئمة من أولاد علي بـ(كتاب علي)؛ ويقول تأريخ الحديث الشريف عن هذا الكتاب أنَّه: بإملاء رسول الله، وبخطّ علي[١].

وهذا الكتاب يتضمَّن الأحكام الشرعية كلّها.

٢ـ وإلى جانب هذا الكتاب من مدوَّنات علي (عليه السلام) ما يُعرف بـ(صحيفة علي)؛ وهناك منقولات من هذه الصحيفة في كتاب (صحيح البخاري) وقد كفانا مؤنة التَّدليل على صحَّة نسبة هذه الصحيفة لعلي أو توثيق هذه الصحيفة ـ كما يقول الجامعيون ـ أنَّ أحد الأساتذة الجامعيين قام بجمع هذه النُّصوص المنقولة في (صحيح البخاري) وفي كتب السُّنن الأخرى من صحيفة علي، وقدَّم لها مقدِّمة ووثَّقها وحقَّقها وطُبعت وانتشرت[٢]، وبهذا سدَّت كثيرًا من أبواب الكلام التي كانت تُفتح عليها، والحمد لله.

٣ـ وأيضا كان من مدوَّنات علي (مصحف فاطمة)؛ ويحدّثنا الإمام الصادق (عليه السلام) ـ كما في الرواية المذكورة في (كتاب الكافي) لثقة الإسلام الكليني ـ عن (مصحف فاطمة)[٣].

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي ٧: ١١٣.

(٢) وهو كتاب (صحيفة علي بن أبي طالب: جمع ودراسة وتوثيق وتخريج) للدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، أستاذ الشريعة الإسلامية والحديث النبوى بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة.

(٣) الكافي ١: ٢٤٠.

قد يحصل شيء من الإشتباه بأنّ كلمة مصحف ـ كما استُغلّت ـ يراد بها القرآن. والمصحف في اللّغة مجموعة الصُّحف؛ فعندما نجمع صحيفة إلى صحيفة ونكوّن منها صُحف يكون مصحفًا، وإلى الآن نحن نقول افتح الصفحة رقم كذا، أو اقلب الصفحة، نسمّي ما في الكتب وما في الدّفاتر بالصَّفحات، فمجموعة الأوراق، ومجموعة الصحف، نسميها مصحف.

وهناك في تأريخ الحديث ما يُشير إلى أنَّ **حفصة بنت عمر** لديها مصحف ويسمَّى (مصحف حفصة)، ولا أظنّ أنّنا إذا كنّا نسمح لأنفسنا صحة نسبة مصحفًا لحفصة، لا نسمح لأنفسنا أن ننسب مصحفًا لفاطمة.

هذا المصحف كما يقول **الإمام الصادق** (عليه السلام)، ليس فيه شيء من القرآن؛ يعني هو ليس بقرآن وإنّما هو مجموعة أحاديث وأحداث تأريخية ماضية ومستقبلية كتبها **الإمام علي** (عليه السلام) لفاطمة[1].

٤ـ ومن مدوَّنات علي (عليه السلام) في هذه الفترة التي عاش فيها مع ابن عمّه **رسول الله** (**كتاب الجفر**)، وحصل شيء من الإلتباس لدى بعض الكتّاب بين (كتاب الجفر) لعلي، و(كتاب الجفر) المنسوب والمكذوب وأستطيع أن أقولها بكلّ صراحة وبملأ فمي أنَّ الكتاب الآخر وهو (كتاب الجفر) المنسوب **للإمام الصادق** (عليه السلام) والمذكور في (كتاب شمس المعارف الكبرى) **لأحمد البوني** أحد العلماء المغاربة، والمتخصِّص في علم الحروف، هذا الكتاب مكذوب على **الإمام الصادق**.

حصل شيء من الإلتباس والإشتباه بين جفر علي وهذا الجفر المكذوب، فقيل

---

(١) المصدر نفسه ١: ٢٤١.

لنا إنَّ **الإمام الصادق** ـ كما جاء في (فجر الإسلام) **لأحمد أمين** (ت: ١٩٥٤م) ـ كان عالمًا بالكيمياء والزجر والفأل[1] ولم يكن بمستوى العلماء الآخرين. وأصبحت كلمة الجفر من الكلمات التي نُنبز بها.

**يحدّثنا الإمام الصادق** ـ أيضًا ـ في رواية له في (الكافي)[2] عن هذا الجفر، هو يقول إنَّ هذا الجفر فيه أحاديث وأحكام سمعها **الإمام علي** (عليه السلام) من **رسول الله**، ودوَّنها في هذا الجفر، وفيه إشارة إلى الأحداث التي تقع في المستقبل.

وإذا كانّا نستكثر على علي أن يعرف هذه الأحداث، فنحن لا نستكثر على **رسول الله** (صلى الله عليه وآله) أن يعرف هذه الأحداث ويمليها على علي (عليه السلام).

هذه الكتب عامل آخر من عوامل تكوين شخصية الإمام علي (عليه السلام).

---

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام: ١٦٥.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي ١: ٢٣٩.

## الإمام علي عليه السلام ، نماذج من تأسيساته

لا أريد أن أُطيل عليكم هنا، وإنَّما أنتقل إلى بعض النماذج ـ كما أشرتُ في بداية كلمتي هذه ـ مما وضعه الإمام علي (عليه السلام) وتشير إلى عظمة شخصيته.

## ريادة علي الفكريّة

### ١ - في عقيدة التوحيد

من هذه النَّماذج ما وضعه الإمام في موضوع التوحيد؛ لو كنَّا نحن أتباع الإمام علي ـ كما أشبعنا سيرته بالكتابة نشبع شخصيَّته ـ لانبرى منَّا أكثر من واحد يكتب عن عقيدة التوحيد في (نهج البلاغة) أو عقيدة التوحيد عند علي (عليه السلام) ولرأينا أنَّ الإمام علي (عليه السلام) هو الرَّائد الأوَّل والأخير لوضع النَّظريات المعروفة في موضوع عقيدة التوحيد، وحتى (الإختيار والجبر) الذي نُسب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) سبقه في وضعه الإمام علي (عليه السلام).

### ٢ - في نظام الإدارة المحلّية

شيء آخر أُريد أن أُشير إليه، عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه على مصر مالك الأشتر، هذا العهد الذي يعطينا صورة كاملة، مترابطة الأعضاء، متسلسلة في ترتّبها عن نظام الإدارة المحليّة.

الإمام علي عاش في ذلك المجتمع البدوي الذي لا يعرف عن معنى الإدارة

المحليّة شيئًا، وأعطانا كتابًا كاملاً عن نظام الإدارة المحليّة، ولا يزال ـ كما رأيتُ في بعض الكتب التي يُرجع إليها في جامعتنا جامعة الملك عبدالعزيز في جدة لبعض أساتذة الإدارة ـ مَن يشير إلى أهميّة هذا العهد. عهد الإمام علي لمالك الأشتر في وضعه نظام الإدارة المحليّة يأتي موضوع اعتزاز وافتخار للمسلمين، أن يأتي هذا الشخص الذي عاش في ذلك المجتمع البدوي الذي لا يعرف عن الحضارة شيئًا ويعطينا صورة كاملة عن الإدارة المحلية!

هذا في الجانب الفكري من شخصية علي (عليه السلام).

## ريادة علي العمليّة والسلوكية

أمّا الجانب العملي والسلوكي فقد أشار إلى شيء من هذا بعض الأخوة الذين تناوبوا على هذه المنصّة الشريفة:

منها **مشاركته الوجدانية**: عندما تولّى الحكم بعد مقتل عثمان، وهذا الشيء الذي أريد أن أشير إليه؛ قرأناه ووجدناه في سلوك علي، لم يقدّر له أن يكون في سلوك حاكم آخر، مسلم كان ذلك الحاكم أو غير مسلم.

كان الإمام يساوي في معيشته أقلّ مُواطن في البلاد الإسلامية (**أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!**)[1]؛ فلا يرضى لنفسه بأن يقال عنه أمير المؤمنين يعني حاكم، وهو لا يُساوي أقلّ فقير في الأمّة.

لماذا؟ ليشارك هذا الفقير مشاركة وجدانية فيتحسَّس آلام ذلك الفقير فيعمل

---

(١) الكتاب رقم (٤٥).

على انتشاله من حدّة الفقر إلى مستوى أرفع؛ لأنّه المسؤول عن ذلك أمام الله تعالى (**وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ**)[١].

هذه المشاركة ـ باختصار ـ ما وجدناها عند غير علي من الحكّام المسلمين وغير المسلمين الذين مرّوا على مديات هذا التأريخ المختلفة.

شيء آخر أشير إليه وأنهي لأنّني قد أطلت عليكم.

كان الإمام علي (عليه السلام) مرّة في خزانة بيت المال[٢] وقد أشعل شمعة وكان يعدّ النقود ـ وعادة عندما تُعدّ هذه النقود توزَّع على المسلمين بالسواء[٣] ـ كان في بيت المال يعدّ النقود تحت ضوء شمعة، فطُرق الباب وإذا وفد أو أشخاص يريدون أن يسألوا الإمام، وعندها توقَّف الإمام عن عدّ النقود أطفأ الشمعة. لماذا؟ لأنَّ هذه الشمعة من بيت مال المسلمين، ولو أنَّ الإمام صرفها في غير مصلحة جميع المسلمين يكون هذا الشيء ـ وأعذروني على هذا التعبير إذا لم يكنم مناسبًا ـ مخالفًا للتَّشريع الإسلامي، لو أبقى الشمعة مشتعلة لَصَرَفَ هذا الشيء القليل من الشمعة في مصلحة هؤلاء الأشخاص، ويكون في واقعه سرقة من مال المسلمين الآخرين، قد أُعطيت لهؤلاء.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) بيت المال هو المستودع الذي يوضع في النقود.

(٣) كانت الأُعطيات توزَّع بالسواء في عهد رسول الله وفي عهد أبي بكر وفي بداية عهد عمر ثم فاوت عمر في الأُعطيات وجاء عثمان وفاوت مع تغيير فيما وضعه عمر، وجاء علي وأعاد التَّوزيع إلى نصابه كما كان على عهد رسول الله، وكان هذا من أهمّ الأسباب التي ساعدت على قيام حرب الجمل ضد الإمام علي (عليه السلام). (منه)

هذا الشيء لا يفعله غير علي، ولم يحدِّثنا التأريخ أنَّ هناك شخصًا غير علي من الحكّام قام به.

أقرأ هنا كلمات رأيتها البارحة **لأحمد حسن الزيات** (ت: ١٩٦٨م) صاحب (مجلة الرسالة) المصرية المعروفة، ويشير بها إلى كلمة **كارليل** (ت: ١٨٨١م) الكاتب الإنجليزي المعروف صاحب كتاب (الأبطال) يقول **الزَّيات**: (وَرَثَ علي بن أبي طالب بحكم مولده ومرْبَاه مناقب النبوة، ومواهب الرِّسالة، وبلاغة الوحي، وصراحة المؤمن، وبسالة المجاهد، فأجمع الناس على إجلاله وكادوا يطبقون على حبِّه؛ حتى مَن كتب عنه من الأوربيين قد شاركوا المسلمين في هذه العاطفة، فقد قال فيه الكاتب الإنكليزي كارليل:

(أمّا ذلك الفتى عليّ فلا يسعك إلاَّ أن تحبَّه؛ ركَّب الله في طبعه النُّبل منذ الحداثة، وتجلَّى في خلاله الكرم طوال عمره، ثم طَبَعَه على العمل ونفاذ الهمّة وصرامة البأس، وآتاه سرَّ الفروسية، وجرأة اللّيث وكلّ أولئك في رقَّة قلب وصدق إيمان وكرم فعال))[١].

هذا علي، وهؤلاء نحن أتباعه، وأولائك الآخرون.

**تعيَّفوا وركبنا في سفينته ... فميَّز اللَّج مَن عافوا ومَن ركبوا**
**وساوموا، فاشترينا حبَّ حيدرة ... ولا نبيع ولو أنَّ الدُّنا ذَهَبَ**[٢]

والسَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) أحمد حسن الزّيات، تاريخ الأدب العربي: ١٣٠.

(٢) من قصيدة للشيخ عبد المهدي مطر (ت: ١٣٩٥هـ) أنشدها يوم الاحتفال بافتتاح الباب الذهبي المُهدى لمقام الإمام علي (عليه السلام) في سنة ١٣٧٣هـ، لاحظ: السيد حسن الأمين، مستدرك أعيان الشيعة ١: ١٠٧.

# انطباعات حول تفضيل النبي محمّد والإمام علي على سائر الأنبياء(*)

(*) استطرد الشَّيخ (رحمه الله) في محاضرة (فلسفة الانتظار العملي) حول شخصيّة الإمام علي (عليه السلام)، فأفردنا الاستطراد بعنوان (انطباعات حول تفضيل النبي محمَّد والإمام علي على سائر الأنبياء).

أودّ أن أُركّز على نقطة هنا ـ وأخرج من الموضوع ـ ترتبط بشخصية الإمام أمير المؤمنين، ثم أعود إلى الموضوع ثانية:

من يقرأ وثيقة النبي (صلى الله عليه وآله) التي عُنونت بدستور المدينة، ومن يقرأ عهد الإمام علي إلى الأشتر، يخرج بانطباعة غريبة حقيقة!

أنا لمستها في نفسي.

أنا عشتُ في الحوزة العلمية وتأثَّرتُ كثيرًا بلون الدِّراسة في الحوزة العلمية.

والدِّراسة في الحوزة العلمية تعتمد العقلانية؛ تأخذ بالمنهج العقلي والمنهج النقلي، ولكن حتى على المنهج النقلي هي تعتمد العقلانية. سأوضح ماذا تعني العقلانية.

وعشت بالجامعة وتأثَّرت بالدَّرس الجامعي، والجامعات تعتمد المنهج التَّجريبي.

نحن نؤمن بعظمة النبي (صلى الله عليه وآله)، ونؤمن نحن كمسلمين أو كشيعة بعظمة الإمام علي (عليه السلام)، لكن لا من خلال دراستنا لشخصية محمَّد أو علي، وإنَّما لأنَّنا نعتقد بأنَّ الله اصطفى محمَّدا وأنّه اصطفى آل محمَّد وعلى رأسهم الإمام علي (عليه السلام)، ولازم هذا الاصطفاء أن يكون محمَّد عظيمًا وأن يكون علي عظيمًا؛ لأنَّ الله لا يصطفي إلاّ العظيم، فنحن نؤمن بعظمة النبي عن طريق اللاّزم، من خلال اختيار واصطفاء الله لهما، والله لا يختار ولا يصطفي إلاّ العظيم.

أمَّا أنَّنا درسنا شخصية النبي محمَّد، وتعرَّفنا على واقعها، وآمنَّا بعظمة النبي محمَّد من خلال دراستنا لواقع شخصيته؛ فهذا غير موجود عند المسلمين.

قد يُطرح هنا نقد: إنَّ الله كما اصطفى محمَّدا اصطفى آدم ونوح ﴿إِنَّ اللهَ

اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً﴾[1]، من أين جاء الفارق بين محمَّد وآدم؟ فنحن نفضِّل محمَّدا على آدم! آدم اصطُفي ومحمَّد اصطُفي، نوح اصطفاه الله ومحمَّد اصطفاه الله، عيسى اصطفاه الله ومحمَّد اصطفاه الله، لماذا يفضَّل محمَّد (صلى الله عليه وآله) على بقيّة الأنبياء وسائر الأنبياء؟ فالاصطفاء موجود عند الجميع، إذًا هناك شيء غير هذا شيء، أبعد من الاصطفاء يرتبط بشخصية النبي (صلى الله عليه وآله).

هناك عقيدة عند علماء الشِّيعة ـ لابدّ أنّكم سمعتم بها ـ: إنّهم يفضِّلون أهل البيت على الأنبياء ما عدا النبي (صلى الله عليه وآله)، فإذا كان للاصطفاء فالاصطفاء موجود عند الأنبياء الآخرين، إذًا لابدّ أنَّ هناك شيئًا آخر هو الذي أعطى محمَّدا أن يكون أفضل، وأعطى آله أن يكونوا الأفضل، ما هو هذا الشيء؟

الجواب في المدرسة الحوزوية: أنَّ الله سبحانه وتعالى أعطى الولاية المطلقة أو الإمامة المطلقة للنبي محمَّد (صلى الله عليه وآله)، وهذه الولاية المطلقة أيضًا أُعطيت للأئمة المعصومين؛ فبهذا كانوا أفضل، ولكن يُشْكل علينا الجامعي، ويقول: إنَّ الله في القرآن يقول أنّه أعطى الإمامة إلى إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[2]، والإمامة لم تعطَ لإبراهيم إلاّ بعد النبوة ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[3]؛ يعني اختبره اختبرًا طويلاً عسيرًا، وهو نبي لم يُعطَ

---

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الآية السابقة.

الإمامة إلاّ وهو كبير السّن؛ يعني بعد أن كان نبيًا لفترة طويلة ثم أُعطي الإمامة، نجح في الاختبار فأعطي الإمامة.

إذًا ماهو السِّر، وما هو الفارق؟

قد تلمس هذا الفارق في الدِّراسات الفلسفية والكلامية.

لكن إذا رجعنا إلى الطريقة التَّجريبية وهي الطريقة الجامعية في دراسة شخصية آدم وشخصية نوح وشخصية النبي (صلى الله عليه وآله) وشخصية الإمام علي سنلمس فارقًا واضحًا، وهو ما يسمّى بالدراسات المقارنة في الأديان.

الوثيقة التي وضعها النبي، والعهد الذي وضعه الإمام علي (عليه السلام)، من خلال قراءة الوثيقة والعهد نتعرَّف أنَّ شخصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشخصية الإمام علي (عليه السلام) استمدَّت هذه المعلومات في الوثيقة أو المعلومات في العهد من نظرتها لواقع الحياة، طبعًا المعلومات أوسع من الأحكام؛ فالأحكام نازلة من الله، هذا لا نختلف فيه لكن نفس التَّنظيم الذي كان في الوثيقة هو نفس الالتفاتات ـ في الواقع ـ التي كانت في الوثيقة، التَّنظيم في العهد والالتفاتات والنُّكات والدَّقائق الموجودة في العهد تكشف عن أنَّ النبي كان خبيرًا في الحياة؛ يعني كأنّه عاش مئات السنين في هذه الدنيا وجرَّب ألوان الحياة في هذه الدنيا، وكذلك الإمام علي كأنّه عاش مئات السنين في هذه الحياة ومرَّ بآلاف التَّجارب في هذه الحياة؛ حتى أصبحت هذه الحياة واضحة لديه ومفهومة.

وطبعًا لم يتحقَّق هذا الشيء فالنبي لم يعش مئات السِّنين في هذا الحياة، والإمام لم يعش مئات السِّنين في هذه الحياة.

إذًا، من أين جاء بهذا؟

جاء من عبقرية موجودة عند النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) غير موجودة عند الآخرين، ومن عبقرية موجودة عند الإمام علي غير موجودة عند الآخرين. والعبقرية تعني أعلى من مستوى الذَّكي؛ إنسان عبقري يعني هذا أعلى من مستوى الذَّكي.

كيف نفهم هذا بطريقتنا الحوزوية: الله سبحانه وتعالى يقول بالنِّسبة لآدم ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾[1] ما كان عنده عزم؛ ولذا لا يُعدّ من أولي العزم. وما معنى هذا؟ إنَّ الله سبحانه وتعالى عندما يختار يدرس شخصية ذلك الشَّخص ـ طبعًا تعبير (يدرس) لا يأتي بالنِّسبة إلى الله لكن لا توجد لفظة غير هذه ـ أو يعلم واقع ذلك الشَّخص ومدى استعداده ويحمّله على مقدار استعداده، فحمّل آدم بمقدار ما يستعدّ وحمّل نوحًا بمقدار ما يستعدّ وحمّل محمَّدا بقدر ما يستعدّ، والرسالة التي حمّلها لمحمَّد لو قارنّاها ـ وهنا يأتي فارق ـ تختلف عن الرسالة التي أُعطيت لآدم وأُعطيت لنوح حتى إلى السَّيد المسيح (عليه السلام).

في الحضارة المسيحية الآن لمّا نرجع للتراث المسيحي: ما هو موجود في الدِّين المسيحي يؤكِّد على السلوك، حوالي تسعين بالمئة بينما الفكر لا يوجد فيه أكثر من ١٠ بالمئة.

ولو رجعنا إلى الحضارة الإسلامية نجد التَّأكيد على السلوك والتأكيد على الفكر متوازنين؛ يعني بمقدار ما تؤكِّد الحضارة الإسلامية على الفكر تؤكِّد على السلوك، والتَّأكيد على الفكرة والتَّأكيد على السلوك يحتاج إلى قيادة ضخمة

---

(١) طه: ١١٥.

لتستطيع أن تقوم بتربية وتكوين الأمَّة وفق هذا السلوك الحضاري، وتجعل هذه الأمَّة تحمل هذا الفكر الحضاري، والآية القرآنية تشير إلى ذلك ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وكلمة ﴿أُخْرِجَتْ﴾ كما نقول الآن هذا تخرَّج من الجامعة يعني أنَّ الجامعة كوَّنت شخصيته، فـ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يعني أنَّ الحضارة الإسلامية كوَّنت شخصية هذه الأمَّة فتميَّزت هذه الأمّة بسلوكها وتميَّزت هذه الأمّة بفكرها.

مَن الذي كوَّن هذه الأمَّة الإسلامية، الذي كوَّنها هو النبي (صلى الله عليه وآله)، هناك نظرية غربية من نظريات علم الاجتماع، أيضًا هي من نظريات علم السِّياسة تسمَّى نظرية البطل أو الأبطال، فحوى هذه النَّظرية تقول: إنَّ البطل يخلق الأمَّة، وهناك كتاب اسمه (الأبطال) لكارليل (ت: ١٨٨١م) الفيلسوف الإنجليزي وضعه بالإنجليزية وترجم للعربية[2]، ويذكر النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) من أهم القادة الأبطال الذين مرّوا في التأريخ.

النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) كان يتمتَّع بشخصية القائد البطل أكثر مما كان يتمتَّع به الأنبياء الآخرون، وهذا تبينَّاه من المقارنة بين شخصية السَّيد المسيح ـ مثلاً ـ وشخصية النبي محمَّد، بين شخصيات الأنبياء الآخرين وما تركوه لنا من تراث وفكر وبين شخصية النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله).

بالنِّسبة للإمام علي، بماذا نفضلّه؟ لاحظ الآن الإمام علي يختلف عن الآخرين

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) لاحظ: الأبطال، ترجمة: محمَّد السباعي، الطبعة الثالثة، ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م، المطبعة المصرية بالأزهر.

فيما أعطاه من فكر وما منحه من سلوك أو ما عوّد جيله الذي ربَّاه عليه من سلوك، لا أُطيل آخذ أمثلة فقط:

لم نجد في أصحاب الشَّخصيات الإسلامية الأخرى كأصحاب علي، نأخذ مثالاً: حجر بن عَدي (ت: ٥٢هـ)، عُرضت عليه البراءة من علي، وكان يمكن أن يتبرَّأ ويحتفظ بحياته وحياة الآخرين الذين كانوا معه، لكنَّه كان يقدِّر أنَّه لو تبرَّأ من علي معناه أنَّه تبرأ من مبدأ علي، وكان سببًا في أن يُضرب ذلك المبدأ؛ ولكنه رُبِّي من قبل أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يقدِّم حياته فداءًا لمبدأه وفداءًا لمذهبه، وهذا لن تجده في أصحاب الشَّخصيات الإسلامية القيادية.

الإمام الحسين (عليه السلام) (ت: ٦٠هـ) ضحَّى بحياته من أجل الدِّين.

الحسين بن علي الحسني (ت: ١٦٩هـ) صاحب معركة فخ ـ التي يُقال إنَّها كربلاء الثانية ـ ضحَّى بحياته أيضًا.

زيد بن علي بن الحسين (ت: ١٢٢هـ)، حفيد الإمام الحسين ضحَّى بحياته؛ لكن هناك فرق بين تضحية الإمام الحسين التي بقيت قدوة تُحتذى في العالَم كلّه وليس العالَم الإسلامي.

من أين جاء هذا؟ جاء من التَّكوين الخاص لشخصية الإمام الحسين (عليه السلام).

أمثلة الآن نعيشها، وأنا لمست هذا من خلال تجوالي: المذهب الشِّيعي يُسند كما تُسند المذاهب الإسلامية الأخرى، تُسند الآن ويُبذل المال في سبيل نشر الإسلام من خلال المذاهب الإسلامية الأخرى، والدّول تبذل فالمملكة العربية السعودية تبذل الكثير فتحت ألف وثمان مائة مركزًا إسلاميًا في أنحاء العالم، الكويت تبذل، والمغرب العربي يبذل، والإمارات تبذل وقطر، يبذل والدول

الإسلامية السُّنية كلّها تشارك في البذل في الدعوة إلى الإسلام على ضوء ما يؤمنون به، وهذا أمر طبيعي.

المذهب الشِّيعي الآن لا يدعّم إلا من قِبل إيران فقط، طبعًا إيران دولة محدودة إذا قارنًا إيران بالدّول الإسلامية الأخرى التي تدعّم. دعم إيران يكون محدودًا، لكن ما نراه أنّ النتيجة تختلف تمامًا؛ المفروض المذهب الشِّيعي عندما يدعّم من قِبل دولة واحدة يكون انتشاره واحدًا من خمسة، وانتشار المذاهب الأخرى يكون أربعة من خمسة أو أكثر إذا أخذنا الدّول بكاملها وإذا اخذنا النِّسبة. فنريد إنَّ نقول نسبة الانتشار المفروض، أن تكون نسبة انتشار المذهب الشِّيعي أقل بكثير من نسبة انتشار المذاهب الأخرى، ولكن الأمر بالعكس، لماذا؟ لأنَّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ركَّزوا على أن يبقى باب الاجتهاد مفتوحًا عند الشِّيعة وربّوا أصحابهم على هذا، فحركة الفكر مستمرَّة في المذهب الشِّيعي بينما في الجانب الأخرى الاجتهاد توقَّف وحركة الفكر، ـ إذا كان فيها تحرّك ـ ليس في إطار الفقه أو إطار الشريعة، وإنَّما في إطار الأساليب وفي إطار الوسائل وإطار العرض، أو ما شاكل هذا.

من أين جاء هذا؟ أنا أعزوه من شخصية علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ التي استطاعت أن تأخذ الخطَّ الرسالي الذي كان عند محمَّد (صلى الله عليه وآله) فتؤكِّد جانبي السلوك والفكر معًا.

من الوجوه للحضارة أن يكون هناك فكر فلسفي في الحضارة، والحضارة التي لا تمتلك فكرًا فلسفيًا لا تُعتبر حضارة؛ فلو رجعا نحن إلى الشَّخصيات العلمية الإسلامية نرى أنَّ الذي وضع الفلسفة الإسلامية هو الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)؛ وربَّى فقهاء، ومحدثين، وآخرين متخصِّصين في علوم

أخرى، فأعطى الحضارة الإسلامية الوجه الآخر من وجوهها.

هذه الإسهامات تعطينا أنَّ الإمام علي كان يتميَّز بعنصر خاص في شخصيته، كما أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) كان يتميَّز بعنصر خاص في شخصيَّته، من هنا جاء التَّفضيل الذي أُريد أن أقوله.

# الفصل الثَّالث: الإمام الحسن بن علي عليهما السلام

صلح الإمام الحسن عليه السلام وانعكاساته على الأمّة

محور الخلاف بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية

الإمام الحسن بن علي (١)

# صلح الإمام الحسن عليه السلام

# وانعكاساته على الأمّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وعلى آله الطَّيبين الطَّاهرين.

قبل أن أتناول الموضوع الذي طرحه الأخ الفاضل لابدّ من أن أبدأ بتقديم مقدّمة تتضمَّن التَّعريف بخلافة الإمام الحسن (عليه السلام).

## خلافة الإمام الحسن عليه السلام، تعريف وأضواء

الإمام الحسن (ت: ٥٠هـ) في رأي جميع المسلمين هو إمام بنصّ جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله عليه)[١].

ومع هذا، عندما ضُرب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ونُعيت له نفسه الشَّريفة، نصَّ بالخلافة من بعده على ابنه الإمام الحسن (عليه السلام)[٢] تأكيدًا للنَّص السَّابق من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وبعد وفاة الإمام أمير المؤمنين (ت:٤٠هـ) (عليه السلام) صعد الإمام الحسن المنبر وأبّن أباه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأكَّد في خطبته على اختصارها على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) من خلال آية التطهير، كذلك ركّز على وجوب محبَّة أهل البيت (عليهم السلام) من خلال آية المودَّة[٣]، وهذا منه يعطي التَّوثيق الدَّال لخلافته، وبخاصّة أنَّ هناك معارضة من قِبل معاوية (ت: ٦٠هـ) وبني أمية بشكل عامّ، وقد تكون هناك مقارنة من قِبل بعض المسلمين بين الإمام الحسن وأهل البيت وبين معاوية وبني أمية، فأراد أن يعقد التَّوثيق الشَّرعي لإمامة أهل البيت ولإمامته بشكل خاصّ.

عندما يكون الإمام معصومًا لا يقع في الخطأ من هنا يلتفّ حوله المسلمون، بينما الآخر لا يمتلك هذه الصِّفة ـ وهي صفة العصمة ـ فقد يقع في الخطأ.

---

(١) لاحظ مثلاً: ابن أبي جمهور الأحسائي، عوالي اللئالي ٣: ١٣٠.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٨؛ الشيخ يوسف بن حاتم الشامي المشغري، الدر النظيم: ٣٧٧.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١١/ ٢: ٧ ـ ٨؛ الشيخ الطوسي، الأمالي: ٢٧٠.

وجوب محبَّة أهل البيت لا تعني المحبَّة وحدها، وإنَّما تعني الالتفاف حول أهل البيت وأخذ الأحكام من أهل البيت؛ فخطبة الإمام الحسن (عليه السلام) كانت توثيقًا شرعيًّا لإمامته وخلافته من بعد أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

وبعد أن انتهى الإمام الحسن (عليه السلام) من خطبته، قام ابن عباس (ت:٦٨هـ) وأثنى على الحسن وأوضح استحقاق الإمام الحسن للقيام بمسؤولية الإمامة والخلافة من بعد أبيه، وأَمَرَ الناس للبيعة فبايعوا الإمام الحسن (عليه السلام)[1].

وبهذه البيعة جمع الإمام الحسن بين المبدَأين المعروفَين عند المسلمين: (مبدأ النَّص) المعروف عند أهل البيت (عليهم السلام) وأتباع أهل البيت؛ وهو أنَّ الإمامة والخلافة لا تكون إلاّ بالنَّص، والنَّص كان من علي بن أبي طالب على الحسن، والحسن نفّذ مشروعية هذا النَّص.

والمبدأ الثاني: هو (مبدأ الشورى) أو البيعة؛ وأيضاً تحقَّق هذا بأمر ابن عباس لأهل الكوفة.

فالإمام الحسن (عليه السلام) جَمَعَت إمامته وخلافته بين المبدَأين معًا، فمن يؤمن بالنَّص، فالنَّص موجود، ومن يؤمن بالشورى والبيعة، فالبيعة أيضًا تحقَّقت.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١١/ ٢: ٨ـ٩.

## معاوية، الشخصية والأهداف والوسائل

وبعد أن تمَّت البيعة للإمام الحسن (عليه السلام) وتولَّى شؤون الخلافة بعد أبيه، بلغ نعي أمير المؤمنين (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان في الشام[1].

معاوية من خلال الدِّراسة لشخصيته ومن خلال الأحداث التي مرَّت في تأريخه وداخل إطار سيرته، كان من دُهاة العرب ـ كما يعبِّرون عنه ـ وكان يعتمد ما يُعرف الآن عندنا بـ(الغاية عنده تبرِّر الواسطة وتبرِّر الوسيلة)، فَيَصِل إلى غايته بأيِّ وسيلة كانت، سواء كانت تلك الوسيلة مقبولة أو غير مقبولة، نظيفة أو غير نظيفة، المهم أن يصل إلى هدفه وأن يصل إلى غايته.

والتأريخ يُثبت هذا بشكل واضح إذا حاولنا أن نتعرَّف مخطَّط معاوية وتنفيذ ذلك المخطَّط للوصول إلى هدفه، وتحويل الخلافة من خلافة إلهية إلى مُلك.

والتأريخ أيضاً ينصّ على هذا: أنَّ الخلافة بعد الخلفاء الأربعة، وبعد تنازل أو اعتزال الإمام الحسن (عليه السلام) حوَّلها معاوية إلى مُلك عضوض، ومعنى (عضوض) أنَّه مُلك لا يُسمح لأحد أن يأخذه من يد بني أمية.

فواصل ـ في الواقع ـ معاوية مخطَّطه وقد استعمله في عهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ومن خلال الصِّراع بينه وبين علي (عليه السلام) قام بتنفيذ هذا المخطَّط.

١. الخطوة الأولى التي قام بها أن أرسل عينين من عيونه، أي جاسوسين من جواسيسه ـ وهذا لم يكن يُسمح به في الإسلام ـ ولكنَّه كان من أفعال معاوية،

---

(١) المصدر نفسه.

أرسل رجلاً يلقَّب بالحِميري إلى الكوفة وهي عاصمة الإمام الحسن (عليه السلام)، وأرسل آخر يلقَّب بالقَيْني إلى البصرة ليقوما بتجميع المعلومات عن أوضاع المسلمين في هذين المصرين ـ الكوفة والبصرة ـ ومحاولة اغتيال الشَّخصيات البارزة من أصحاب الإمام الحسن (عليه السلام).

وبلغ هذا الأمر إلى الإمام الحسن (عليه السلام) وأمر بإلقاء القبض على هذين الشَّخصين، وقد أُلقي القبض عليهما وأمر بقتلهما فقُتلا(١).

**٢. وبدأت الخطوة الأخرى بين الإمام الحسن من جانب وبين معاوية من جانب آخر وهي:** تبادل الرَّسائل السياسية، رسالة تصدر من الإمام الحسن فتصل إلى معاوية، ومعاوية يردّ عليها. ورسالة تصدر من معاوية إلى الإمام الحسن والإمام يرد عليها، وكلّ هذه الرَّسائل تدور بما يرتبط بزعامة المسلمين، والقضايا السياسية التي ترتبط بزعامة المسلمين(٢).

الإمام الحسن (عليه السلام) كان يركِّز في هذه الرَّسائل ـ كما كان يركِّز أبوه أمير المؤمنين من قبله ـ على أنَّ معاوية من الطُّلقاء. والطُّلقاء هم من عفى عنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة بقولته المعروفة آنذاك ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))، فكان الإمام الحسن يركِّز على ذلك.

والطُّلقاء سواء على ضوء (مبدأ النَّص) أو على ضوء (مبدأ الشورى والبيعة) لا تجوز لهم الخلافة، ولا تُعطى لهم الخلافة.

وهناك نصوص تدلّ على ذلك(٣)، ويوجد غير واحد من الصحابة في ذلك

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١١/ ٢: ٩.

(٢) المصدر نفسه، ١١/ ٢: ١٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٤ وما بعدها.

(٣) ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين: ٢٩.

الوقت يعلم بأنَّ معاوية من الطُّلقاء فلا يستحّق الخلافة، ولا تجوز له الخلافة[١].

معاوية من خلال الرَّسائل حاول أن يأخذ الخلافة من الإمام الحسن بالطرق السِّلمية، والطرق السِّلمية تكون آكد وأقوى في تدعيم خلافته، ولكن هذا لم يتحقَّق؛ لأنَّ الإمام الحسن وجَمْعًا من الصحابة الذين كانوا مع الإمام الحسن آنذاك كانوا يؤكِّدون أنَّ معاوية من الطُّلقاء فلا يحّق له أن يتولَّى الخلافة من النَّاحية السِّلمية.

٣. استمرَّ معاوية في تنفيذ مخططه ولجأ إلى آخر مرحلة من مخطَّطه، ألا وهي إعلان الحرب؛ الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل أن يُتوفَّى كان يجهّز جيشًا للحرب ضدّ معاوية، وكان يُعسكر هذا الجيش في النُّخيلة[٢] وكان الإمام الحسن قائد هذا الجيش آنذاك، وكان متواجدًا في المعسكر، ولم يكن ـ كما يقول بعض الفضلاء ـ موجودًا في الكوفة وكان نائمًا وقت ضَرْب أبيه أمير المؤمنين، فهذا لا يتناسب مع الإمام (عليه السلام) أنَّه كان نائمًا وقت الصلاة، وهذا لا واقع له أبدًا. والتاريخ يثبت أنَّه كان في النُّخيلة ولم يترك النُّخيلة إلا بعد ما سمع بخبر ضربة ابن ملجم لأبيه أمير المؤمنين، فترك النُّخيلة وسلَّم قيادة الجيش المباشرة إلى ابن عمِّه عبيد الله بن العباس (ت: ٥٨هـ)، وعاد للكوفة.

معاوية أغرى كثيرًا من رجال المسلمين في جيش الإمام الحسن بالمال لقتل الإمام الحسن (عليه السلام)[٣]، وقد دخلوا على الإمام الحسن (عليه السلام)

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣: ٤١.

(٢) منطقة بين النجف وكربلاء. (منه)

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١١/ ٢: ١٢ ـ ١٣؛ أحمد بن أعثم ←

وهو يصلّي وسحبوا الفِسطاط من تحته وطعنوه في فخذه[1]؛ فانسحب جيش الإمام الحسن من المعركة، وهذا يُعتبر بداية انتصار معاوية من النّاحية العسكرية.

وأخذ يواصل اتّصالاته ومراسلاته للوجهاء من أهل العراق ـ الكوفة والبصرة ـ وتم شراؤهم بالأموال حتى أصبح الإمام الحسن (عليه السلام) لا يمتلك العدَّة الكافية لمواجهة معاوية.

الكوفي، الفتوح ٤: ٢٨٩.

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١١/ ٢: ١٢.

## بنود الصُّلح، وقفة نقديّة

طلب معاوية بعد هذا من الإمام الحسن (عليه السلام) (الصُّلح) وهي من ناحية سياسية تعتبر (هُدنة)[1].

الصُّلح في العرف العسكري الإسلامي يعني الهُدنة، وإيقاف القتال[2]، ولم يوجد هناك تنازل وإنَّما أراد الإمام الحسن بذلك أن يوقف القتال، فربما يستطيع أن يجمع جيشه مرَّة أخرى ويقوم بالحرب.

الصُّلح بين الإمام الحسن ومعاوية لم يكن كما يُفهم منه أنَّه تنازُل عن الخلافة، وإنَّما كان يعتبر نوع من الهُدنة لإيقاف القتال، ويعتزل الإمام الحسن المعركة ويبقى على إمامته ومكانته.

## مبايعة الحسن عليه السلام لمعاوية، ملاحظة نقديّة

لو رجعنا إلى بنود الصُّلح، وهي الوثيقة التي كُتبت بين الإمام الحسن وبين معاوية، وهي موجود في الكتب الآن، نجد أنَّ البند الأول هو أنَّ الإمام الحسن بايع معاوية بالخلافة[3].

هذا في الواقع لم يتحقَّق ولا يتحقق، لماذا؟ لأنَّ معاوية كان من الطُّلقاء ولا يستحقّ الخلافة برأي المسلمين، هذا من جانب.

ومن جانب ثاني أنَّ إمامة الإمام الحسن (عليه السلام) بنَصّ من الله عن

---

(١) المصدر نفسه ١١/ ٢: ١٣.

(٢) الشيخ الطوسي، المبسوط ٢: ٥٠؛ الإمام الشافعي، الأم ٤: ٢٠٠.

(٣) الشيخ راضي آل ياسين، صلح الحسن (عليه السلام): ٢٥٩.

طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن ثم عن طريق أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، والإمامة حقّ من حقوق الله وأناط هذه المسؤولية أو أعطى هذه المسؤولية لهذا الشَّخص وهو الإمام الحسن، وليس من حقّ الإمام الحسن أن يتصرَّف فيه ويعطيه للآخرين، وإنَّما يتصرَّف فيه من يكون هو صاحب الحقّ وهو الله تعالى وهذا لم يحصل أبدًا، والتأريخ لم يُحدِّثنا بأنَّ رسول الله ـ وهو الوسيط بين الله وبين الناس ـ قال يومًا بأنَّ حقَّ الإمامة الذي أُعطي للإمام الحسن نقله إلى معاوية.

فليس للإمام الحسن (عليه السلام) وصاية بأن يبايع معاوية بالخلافة؛ بمعنى أنَّ ليس له الحقّ في أن يُعطي معاوية حقًا ليس للإمام الحسن حقّ في التَّصرف فيه.

فهذا البند المذكور مفتعل من قِبل الأمويين وجماعة الأمويين لتصحيح خلافة معاوية؛ لأنَّ خلافة معاوية لم تأتِ على (مبدأ الشورى) ولا على (مبدأ النَّص)، فكيف يصحِّحون خلافته؟!

وأيضًا هم لا يستطيعون أن يقولوا بأنَّ معاوية أخذها قسرًا وقهرًا من الإمام عن طريق الحرب العسكرية، فأراودا أن يصحِّحوا هذا الأمر بالبند الأوَّل من هذا الصُّلح.

وحتى بقيّة البنود إذا أردنا أن نتتبعها نجدها جاءت من مؤرِّخين أمويين أو أتباع الحكَّام الأمويين، ولم تأتِ هذه البنود من مؤرِّخين ثقات.

هذا خلاصة ما يُمكن أن يُقال حول إمامة الإمام الحسن، ثم ما يُسمَّى بالصُّلح بين الإمام الحسن ومعاوية.

## انعكسات اعتزال الإمام الحسن عليه السلام على واقع الامّة

لماذا اعتزل الإمام الحسن وقبل الهدنة وذهب إلى المدينة؟

كان كانت سيطرة الإمام الحسن في العراق تتمثّل في المصرين أو العراقين (البصرة والكوفة)، وفي مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) وهي المركز والثّقل، وفي اليمن باستثناء المنطقة التي تحت سلطة معاوية وفي فارس؛ فالمسلمون في هذه المناطق نتيجة الصّراع بين علي ومعاوية، ونتيجة المخطَّط السّياسي الرَّهيب الذي وضعه معاوية وقام بتطبيقه، أُصيبت المجتمعات الإسلامية بشيء من الخمود حتى أنَّ تحريك المجتمعات الإسلامية في هذه الفترة كان صعبًا جدًّا، وأقوى دليل على هذا هو خذلان الإمام الحسن عليه السلام وتفرّق الجيش عنه.

فأراد الإمام الحسن أن يخفِّف شيئًا من هذا الجمود والرُّكود، فترك الخلَّص من أصاحبه يتحرَّكون؛ لأنَّه كان تحت الرّقابة المشدَّدة في المدينة.

والدَّليل على هذه الرَّقابة المشدَّدة ـ كما يُذكر أيضًا في التّأريخ ـ هذا العدد القليل من الرّوايات، فما رُوي عن الإمام الحسن المجتبى من حديثٍ هو أقلّ نسبة من الرّوايات التي رُويت عن أئمة أهل البيت، حتى الأئمة الذين كانوا تحت المراقبة كالإمام الجواد (ت: ٢٢٠هـ) والإمام الهادي (ت: ٢٥٤هـ) والإمام العسكري (ت:٢٦٠هـ) (عليهم السلام) كانوا أكثر رواية للحديث من الإمام الحسن، فعندما تراجع (رجال الشَّيخ الطوسي) تجد أنَّ الرِّجالات الذين رووا عن الإمام الحسن أقل من الرِّجالات الذين رووا عن الإمام الصادق (ت: ١٤٨هـ)، فعدد الرِّجالات الذين رووا عن الإمام الصادق ٣٢٢٤ راويًا[1]، بينما

(١) الشيخ الطوسي، رجال الطوسي: ١٥٥ ـ ٣٢٨.

الإمام الحسن لا يتجاوز الذين يروون عنه الحديث ٤٠ رجالاً[١]، لماذا؟ لأنَّ الإمام الحسن لا أحد كان يستطيع الدّخول عليه في بيته، ومن يدخل قد يتعرَّض للأذى من السُّلطة الأموية في المدينة المنورة آنذاك.

فالإمام الحسن باعتزاله وبوضعه تحت الرّقابة وبأمره بعدم التَّحرك استطاع أن يكسر نوعًا من ذلك الجمود، فنفس هذا الاعتزال كان عملاً سياسيًّا من الإمام الحسن (عليه السلام) ليكسر به ذلك الجمود الذي أُصيب به المسلمون. فتحرَّك المسلمون ونتيجة هذا التَّحرك كان المسلمون يكتبون الكتب للإمام الحسين (عليه السلام) بعد وفاة أخيه الإمام الحسن ليُسقط هذا الحكم الأموي. فهذا فائدة من فوائد الصُّلح الذي عقده الإمام الحسن (عليه السلام).

فالإمام الحسن لم يترك مسؤوليَّته ولكن مسؤوليَّته أخذت خطًّا آخر وهو خطّ إثارة الحركة في المسلمين من بعد الجمود والخمود الذي أُصيبوا به، وكان نتيجة هذا:

ثورة الإمام الحسين (٦١هـ) (عليه السلام)، ومِن بعدها ثورة زيد بن علي بن الحسين (١٢٢هـ)، وبعدها ثورة يحيى بن زيد (١٢٥هـ)، ثم جاءت ثورات الحسنيين.

وثورة الإمام الحسين كان من نتائجها أنَّها أسقطت الحكم السُّفياني، وتولَّى بني مروان الحكم، وهم الجناح الثَّاني من بني أمية.

وثورة زيد أسقطت الحكم المرواني، فلولا ثورة الإمام الحسين لإسقاط الحكم السُّفياني، وثورة زيد لإسقاط الحكم المرواني لامتدَّت حكومة بني أمية إلى مئات

---

(١) المصدر نفسه: ٩٣ ـ ٩٦.

السِّنين وقرون، ولكن كان من عطاء الإمام الحسن (عليه السلام) واعتزاله الأثر الكبير في تحريك الأمّة الإسلامية، ونشوء هذه الثَّورات المتتالية فكانت ثورة الإمام الحسين ثم ثورة زيد فسقطت الدَّولة الأموية، وكانت المناداة لإسقاط الدَّولة الأموية باسم آل محمَّد.

فلمّا أسقطوا الدَّولة الأموية كانت شعاراتهم المرفوعة هي (الرِّضا من آل محمَّد)؛ لأنَّ المسلمين كانوا يتوقَّعون أنَّ الحكم سيعود لآل البيت مرَّة أخرى؛ لأنَّ الحُكم من حقِّهم وهذا يكشف واقعًا كان موجودًا آنذاك، ولكن **الإمام الصادق** (عليه السلام) رفض أن يتولَّى الحكم بعد الثورات، وقد أرسل الخراساني (ت: ١٣٧هـ) **للإمام الصادق** رسالة بذلك، ولكن **الإمام الصادق** أجابه بجواب مختصر: (**ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني**)[1]؛ لأنَّه كان يعلم أنَّه لا يستطيع أن يتولَّى الخلافة، وأيضًا العباسيين لن يتركوا الخلافة له، وستعود المعارك الطَّاحنة مرَّة أخرى بين المسلمين.

**الإمام الصادق** كان يريد أن يتفرَّغ لتثبيت مذهب أهل البيت عن طريق نشر فكرهم.

وبهذا استطاع **الإمام الصادق** (عليه السلام) أن ينجح النَّجاح الكبير بكل ما كتب من هذه الثَّروة الهائلة التي لا توجد عند المذاهب الإسلامية الأخرى.

وكلّ هذا كان ـ أعود وأقول ـ بفضل اعتزال **الإمام الحسن** (عليه السلام)، وبفضل تغيير خطَّته السِّياسية من خطَّة مجابهة إلى خطَّة تحريك للواقع.

وأكتفي بهذا المقدار، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل ١: ١٥٤.

# محور الخلاف بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية(*)

(*) أُلقيت في منتصف شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٣هـ في مهرجان ذكرى مولد الإمام الحسن (عليه السلام)، في بلدة المنصورة بمدينة الأحساء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطيّبين الطَّاهرين.

محور الخلاف بين الإمام الحسن (ت: ٥٠هـ) (عليه السلام) ومعاوية (ت: ٦٠هـ) ليس هو الخلافة وتولّي السُّلطة، كما يذكر الكثير من المؤرخين، وإنَّما هو الخلاف في المبدأ وحول المبدأ.

من هذا المنطلق سوف أقف عند بندين من البنود التي ذُكرت ضمن ما أُطلقَ عليها بصلح الحسن مع معاوية:

**البند الأول**: هو دعوى من الذين ذكروا هذه البنود من المؤرِّخين، أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) تنازل لمعاوية عن الخلافة، أو بايع معاوية بالخلافة.

**والبند الثاني**: هو دعوى هؤلاء المؤرِّخين أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) - من خلال فحوى ما ذكروه - يُقرّ التَّوزيع الطَّبقي لأموال المسلمين.

## واقع التأريخ الإسلامي المدوّن

وقبل أن أُناقش هاتين النّقطتين، أودّ أن أُشير إلى واقع التأريخ المدون والمتداول بين أيدينا أمثال: (تأريخ الطبري) و(تأريخ ابن الأثير) و(تأريخ ابن خلدون) و(تأريخ ابن كثير).

هذا التأريخ لو رجعنا إليه لخرجنا بنتيجة لا مجال للشَّك فيها أو الخلاف حوله، وهي أنَّ هذا التأريخ تأريخ الحكَّام لا تأريخ الشُّعوب، هذا من ناحية المادَّة.

ومن ناحية المنهج، التأريخ المذكور في هذه الكتب هو رواية وليس دراية.

وهنا لابدّ من إيضاح هذا المبدأ: أعني بالرِّواية هنا أنَّ المؤرِّخ يدوِّن ما يسمعه من الرُّواة، أو يكتب ما يراه في الكتب التي سبقت كتابه، من دون أن يحلِّل أو ينقد، وهو يعتمد الحكاية المرويّة والوثيقة المنقولة من دون الوقوف على واقع سند هذه الحكاية المرويّة، وسند هذه الوثيقة المنقولة، وكذلك من دون التَّوثق من صحَّة دلالة الحكاية المروِّية أو دلالة مضمون الوثيقة المنقولة.

### التَّحليل والنَّقد التاريخيين، خطوط اساسيّة

التَّحليل والنَّقد بالنِّسبة للتأريخ لم يكن في القديم، وإنَّما أخذناه حديثًا بعد فتح الجامعات في بلداننا، وبعد ابتعاث البعثات للدِّراسات إلى الجامعات الأوروبية؛ ولهذا الكثير من التَّحليل ما كان يقوم على أساس إسلامي، وكما أشار أخونا العزيز الشَّيخ حبيب الهديبي إلى ما ذهب إليه الدكتور طه حسين (ت: ١٩٧٣م)؛ وأعطى بعض الأمثلة لما كتبه المحدثون وفيه شيء من التَّحليل والنَّقد، وانْتُهِيَ من خلال التَّحليل والنَّقد إلى نتائج جيدة.

## السَّبئية، والسَّعي إلى نفي الأسطورة

كمثال على هذا أذكر كتاب (عبد الله بن سبأ) للسَّيد مرتضى العسكري (ت: ١٤٢٨هـ).

فمن (تأريخ الطبري) ـ يعني من القرن الرابع ـ حتى عصرنا هذا والمؤرِّخون يتناقلون قصة عبد الله بن سبأ، وهناك تركيز وتأكيد على هذه القصة، لماذا؟ لأنَّ القصة تُشير إلى أنَّ التَّشيع انبثق من اليهودية، فعبد الله بن سبأ كان يهوديًا ـ كما يقول التأريخ ـ ثم أسلم أو تظاهر بالإسلام، ونشر اليهودية عن طريق التَّشيع.

وأوَّل من ألمح إلى كذب هذه القصة، وأنَّها موضوعة وأنَّ عبد الله بن سبأ شخصية خيالية لا واقع لها هو فيما احتَمله المستشرق مارجليوث (ت: ١٩٤٠م) ـ وهو أستاذ الدكتور طه حسين في جامعة السربون ـ والدكتور طه حسين تأثَّر بمنهج المستشرقين في دراساته التأريخية، وفي كتابه (الفتنة الكبرى: علي وبنوده)[١]، تبنَّى رأي هذا المستشرق وإن لم يُشر إليه، وأكَّد على أنَّ عبد الله بن سبأ شخصية خيالية لا واقع لها.

ثم جاء الدكتور علي الوردي (ت: ١٩٩٥م) أُستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة بغداد، وذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور طه حسين مع اختلاف في تحديد الشخصية، وحاول أن يوجِّه هذا إلى أنَّه عمَّار بن ياسر[٢].

ثم السَّيد مرتضى العسكري الذي أشرتُ إلى كتابه والموسوم (عبد الله بن سبأ)، حاول أن يواصل البحث فيما أثاره الدكتور طه حسين حول شخصية عبد

---

(١) في الفصل (٢٤): السبيئة في صفين.

(٢) الدكتور علي الوردي، وعّاظ السلاطين: ١٧٢، ١٧٧ ـ ١٨١.

الله بن سبأ، ورجع إلى الطبري، وهو أقدم مَن ذكر عبد الله بن سبأ، ورأى أنَّ الرِّوايات التي تروي قصة عبد الله كلّها ترجع إلى راوٍ واحد هو سيف بن عمر التميمي.

وسيف بن عمر ـ كما ينصّ المحدِّثون من السُّنة ومن الشِّيعة ـ كان من الرّواة الكذَّابين والوضَّاعين، وهذا يساعد على أنَّ قصة ابن سبأ أسطورة مكذوبة لا واقع لها.

من خلال التَّحليل والنَّقد استطعنا أن نكشف عن هذه المفارقة التي استمرّت أكثر من ألف عام، وإلى جانبها الاتّهام بأنَّ التَّشيع انبثق من اليهودية.

## حادثة الغدير وحديثها، من الآحاد إلى التَّواتر

مثال آخر ـ لئلا أطيل ـ: الغدير؛ حديث الغدير وحادثة الغدير.

كانت هناك محاولات من كثير من المؤرِّخين في إثبات أنَّ حديث الغدير حديث آحاد، ومعنى حديث آحاد: أنّه لا يرقى إلى مستوى الاعتماد عليه والاحتجاج به، وبخاصّة في مجال العقيدة، واستمرّ الوضع على هذا إلى بدايات عصرنا هذا، فذهب السَّلفيون إلى إنكار حديث الغدير من أساسه، وادَّعوا أنّه مكذوب وموضوع من قبل الشِّيعة لتدعيم مذهبهم، ولكن هيّأ الله تعالى الشَّيخ الأميني (قدس سره) (ت: ١٣٩٢هـ) فتابع دراسة هذا الحديث، واستطاع بعد فترة استمرَّت خمسة عشر عامًا وهو يقلِّب في بطون الكتب ويتقلَّب في بطون المكتبات إلى أن يأتي بإحصائيات لِمن روى حديث الغدير من الصحابة، ولِمن روى حديث الغدير من التَّابعين وتابعي التَّابعين، ثم من العلماء على مرِّ العصور حتى عصرنا هذا، بما يرتفع بمستوى هذا الحديث إلى فوق التَّواتر.

وكان يوثّق ما نقله، وهذه ميّزة (كتاب الغدير) عن كثير من الكتب التي كتبت في أمثال هذه المجالات، وحتى الآن لم يستطع أيّ باحث له موقف معيَّن من رفض حديث الغدير أن يقول أيّ شيء فيما وثّقه الشّيخ الأميني.

التّحليل والنّقد قضى على مفارقة استمَّرت سنين طويلة.

ولا أريد أن أذكر أمثلة أخرى في هذا المجال، وهي كثيرة في الواقع.

## بنود الصلح، تحليل ونقد

والآن أريد أن أشير إلى المفارقتين اللَّتين ذكرتُهما في بداية حديثي هذا، وذُكرتا في بنود ما عُرف بالصلح بين الحسن (عليه السلام) ومعاوية.

### البند الأوّل، استعراض ومناقشة

البند الأول من هذا الصلح يقول: إنَّ **الإمام الحسن (عليه السلام) بايع معاوية بالخلافة**، أو تنازل لمعاوية عن الخلافة[1].

الخلافة في رأي الإماميّة هي بالنَّص، والخلافة عند الإمامية تعني الإمامة، والإمامة هي بالنَّص من الله تعالى، والأدلة دائمًا تسمعونها من العلماء والخطباء، ولا حاجة إلى ذكرها هنا.

الإمامة عندنا كالنبوة، كما أنَّ النبوة هي بالنَّص من الله تعالى على شخص معيَّن بأنَّه نبي، كذلك الإمامة هي بالنَّص من الله تعالى على شخص معيَّن بأنَّه إمام؛ وكما لا يكون للنبي أن يتنازل عن نبوَّته لشخص آخر، كذلك لا يكون للإمام أن يتنازل عن إمامته لشخص آخر. لماذا؟ لأنَّ النبوة حقّ الله ولأنَّ الإمامة حقّ الله، ولله فقط التَّصرف في حقّه، وليس للنبي أن يتصرَّف في هذا الحقّ، وليس للإمام أن يتصرَّف في هذا الحقَّ.

**الإمام الحسن** (عليه السلام) من ناحية عقيدتنا هو إمام، ويَفهم معنى الإمامة، فلا يُبايع **معاوية** بالخلافة ولا يتنازل عن إمامته أو خلافته **لمعاوية**، هذا من جانب عقيدتنا.

---

(١) الشيخ راضي آل ياسين، صلح الحسن (عليه السلام): ٢٥٩.

ومن جانب عقيدة إخواننا من السُّنة وأيضا نحن نلتقي معهم في هذه النقطة، وهو أنَّ (الطَّليق) ليس له حقّ الخلافة، ولا يُعطى الخلافة، وسأشير إلى الوثائق وقد نقلت بعضها.

**الإمام أمير المؤمنين** (عليه السلام) في كتاب له إلى **معاوية** يشير إلى هذا، وكذلك **عمر بن الخطاب** فيما نُقل عنه يشير إلى هذا.

نحن نفهم أنَّ **الإمام عليًا** (عليه السلام) هو رأسُ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وأنَّ **عمر** هو رأس مدرسة الصحابة، ومعنى هذا أنَّ هناك اتّفاقًا بين المدرستين على أنَّ (الطَّليق) ليس له حقّ في الخلافة، **ومعاوية** من الطُّلقاء ولا يختلف في هذا اثنان من المسلمين، والتأريخ يؤكِّد هذا ويُثبته.

فنحن إذا أخذنا بمبدأ النَّص بأنَّ الإمامة تَثبت بالنَّص، **فمعاوية** ليس له حقّ فيها. وإذا أخذنا بمبدأ الشورى والاختيار ـ كما هو رأي إخواننا أهل السُّنة في الخلافة ـ **فمعاوية** ليس له حقّ في الخلافة، **والإمام الحسن** (عليه السلام) يفهم هذا ويُدرك هذا، فليس من المعقول أن يتحدَّى **الإمام الحسن** (عليه السلام) أو يتخطَّى هذا المبدأ، وهو رأس مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ورأس المعصومين (عليهم السلام) آنذاك، ويتنازل عن الخلافة **لمعاوية**.

## وثائق إثبات عدم حقّ معاوية في الخلافة

أشير الآن إلى الوثائق لأجل التَّأكيد ولئلا يُقال ما يُقال:

١. من كتاب **لأمير المؤمنين** (عليه السلام) بعثه إلى **معاوية** يدعوه إلى بيعته، والكتاب موجود في كتاب (وقعة صفين) لـ(نصر بن مزاحم)، وهو كتاب طويل نقلت الفقرة التي ترتبط بالموضوع فقط، يقول: **(واعلم أنَّك من الطُّلقاء الذين**

**لا تحلّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى)**(١).

يقول: حتى لو أنّك أخذت بمبدأ الشورى، أيضًا أنت لا تُرشَّح للخلافة؛ لأنّك من الطُّلقاء.

**٢. كلمة عمر بن الخطاب، موجودة في كتاب (طبقات) ابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) وفي (أسد الغابة): يقول عمر: (هذا الأمر [يعني الخلافة] في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أُحد، ثم في كذا وكذا وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء)**(٢).

عمر يضع مبدأ، وهذا اجتهاد من عمر، واجتهاد عمر عند إخواننا من السُّنة محترم ويؤخذ به، ويُقدَّم على أيّ اجتهاد سواه، وكان هذا المبدأ مفهوم عند الصحابة ومفروغ منه.

**٣. في (الأغاني) للأصفهاني ينقل عن شعبة أنّه قال لمعاوية: (...لأنّك كنت ميت الحقّ في الجاهلية، وميّته في الإسلام، أمّا في الجاهلية فقاتلت النبي (صلى الله عليه وسلم) والوحي حتى جعل الله (عزّ وجلّ) كيدك المردود، وأمّا في الإسلام فمنعت ولد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الخلافة، وما أنت وهي! وأنت طليق ابن طليق!...)**(٣).

فهذا المبدأ مفهوم لديهم ومفروغ منه.

**٤. في (مروج الذهب) يقول: حبس معاويةُ صعصعةَ بن صوحان العبدي**

---

(١) نصر مزاحم المنقري، وقعة صفّين: ٢٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣: ٣٤٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة ٤: ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ٣: ٩٢.

وعبدَ الله بن الكوّاء اليشكري ورجالاً من أصحاب علي مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية يوماً فقال: نشدتكم بالله إلاّ ما قلتم حقًا وصدقًا، أيَّ الخلفاء رأيتموني؟ [يفترض نفسه خليفة، وطبعًا من أيّ نوع من أنواع الخلفاء يريد أن يقولوا له! تكلَّم بعضهم] ثم تكلَّم صعصعة فقال: تكلمت يا ابن أبي سفيان فأبلغت، ولم تقصّر عمّا أردت، وليس الأمر على ما ذكرت، أنّى يكون الخليفة من ملك الناس قهرًا، ودانهم كبرًا، واستولى بأسباب الباطل كذبًا ومكرًا؟ أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى[يشير إلى رأي عمر بن الخطاب في المسألة]، وما كنتَ فيه إلاّ كما قال القائل: لا حُلّي ولا سيري، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنَّفير ممن أجلَبَ على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإنَّما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فأنّى تصلح الخلافة لطليق!)[1]، فهو مبدأ مفروغ منه.

في ضوء هذا، على رأي إخواننا أهل السُّنة لا يكون هناك تنازل من الإمام الحسن (عليه السلام) عن الخلافة أو مبايعة منه لمعاوية بالخلافة، فالبند الأوَّل من الصلح من غير شك أنّه مكذوب وموضوع.

وإذا رجعنا إلى الأحاديث المكذوبة والموضوعة، وإلى سلسلة الوضّاعين سنقف على شيء كثير من هذا، والشَّيخ الأميني في (الغدير) أشار إلى شيء كثير من هذا[2].

الإمام الحسن (عليه السلام) يُشير إلى أنَّ هذا الشيء ـ يعني التَّنازل والمبايعة ـ

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣: ٤١.

(٢) لاحظ: الغدير، الجزء الخامس.

مكذوب، ففي خطبة في اجتماع في الكوفة قال: (أيّها الناس! إنَّ معاوية زعم أنّي رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية، أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله، وعلى لسان نبيّ الله...)[١].

يشير إلى أنَّ الخلافة بالنَّصّ من الله، وعن طريق الرسول (صلى الله عليه وآله).

## البند الرَّابع، استعارض ومناقشة

البند الرَّابع وهو في توزيع الأموال: الإمام الحسن (عليه السلام) يطلب من معاوية أن يُفاوت في توزيع الأموال[٢].

كانت الأموال التي تأتي إلى بيت مال المسلمين وتعود للمسلمين توزَّع في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) بالسَّواء، وكذلك وُزِّعت في عهد أبي بكر بالسَّواء، وفي بدايات تولّي عمر للسُّلطة وزَّعها بالسَّوية، ثم ارتأى عمر لمصلحة سياسية أن يُفاوت في التَّوزيع؛ فقسَّم المسلمين إلى طبقات[٣]، وعندما جاء عثمان سار على مبدأ عمر مع تغيير في الطَّبقات، فجعل بني أمية وهم عشيرة عثمان الطَّبقة الأولى، وهو السَّبب الذي دعا عائشة أن تثور عليه؛ لأنَّه أخَّر زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) في الطَّبقة الرَّابعة[٤].

---

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج ٢: ٨.

(٢) الشيخ راضي آل ياسين، صلح الحسن (عليه السلام): ٢٦٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣: ٢٩٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٥.

وعندما جاء أمير المؤمنين (عليه السلام) عاد بالوضع إلى ما كان عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واحتجَّ طلحة والزبير[1]؛ لأنَّهما كانا من السَّابقة في الإسلام، وكانا من الطَّبقة الأولى في عهد عمر، كيف يساويهما بخادميهما؟!

وأصرَّ الإمام (عليه السلام) على ذلك؛ لأنَّه لا يستطيع أن يخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الإمام الحسن عليه السلام ـ وكما أشار الشَّيخ الهديبي ـ ليس من المعقول أن يُخالف جدَّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو يخالف أباه أو يخالف الإسلام بأيِّ شكل أو آخر.

فليس من المعقول أن يطلب من معاوية أن يُفاوت في توزيع المال ويوزِّع المال على أساس طبقي.

(١) الشَّيخ الطوسي، الأمالي: ٧٢٩

## واجبانا تجاه مذهب أهل البيت عليهم السلام

من هنا أودّ أن انطلق إلى شيء، وسيكون خطابي للجميع ثم إلى الإخوة العلماء هنا:

١. إنّنا بحاجة إلى أن يكون منّا من يتخّصص بالتأريخ، ويدرس التأريخ وفق منهج تحليلي نقديّ؛ لنكشف الكثير من هذه الأخطاء وهذه المفارقات، والتي لا تزال ـ مع الأسف ـ تُستغل كلّما دعت الحاجة إلى استغلالها.

٢. واقتراح آخر كنت قد طرحته في حسينية السادة في التّويثير، وأطرحه الآن؛ لأنّ مناسبته موجودة، أطرحه بين يدي إخواني العلماء وبخاصّة العلاّمة الحجّة **السّيد محمّد علي العلي**: أودّ في كلّ خميس وجمعة أن يوزّع الطلبة من طلاب الحوزة على القرى والأرياف والمحلاّت، أعني الحسينيات والمساجد ليقوموا بدور التّبليغ والإرشاد وتعليم الناس الأحكام، ونحن مررنا بتجربة في العراق والتي بدأها **السّيد محسن الحكيم** (قدّس الله سره) (ت: ١٣٩٠هـ)، وتبنّاها بعده **الشهيد الصدر** (ت: ١٤٠٠هـ)، ثم **السّيد الخوئي** (ت: ١٤١٣هـ) (رحمهم الله).

في يومي الخميس والجمعة كان يوجه عددًا كبيرًا من الطَّلبة إلى القرى والأرياف وإلى المدن في المحلاّت وأماكن مختلفة؛ ليقوموا بدور تبليغ الناس الأحكام وتعليم الناس العقيدة، وتعليم الناس الأحكام.

والآن الظرف يوجب علينا ـ وأركز على كلمة (يوجب) ـ أن ننتشر ونبلّغ الناس مذهب أهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنّ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) أمانة في أعناقنا، ونحن وَضَعْنا أنفسنا كعلماء وكطلبة في موضع مسؤولية الحفاظ على هذا المذهب، فينبغي علينا أن نَخرج من عُهدة هذه المسؤولية أمام الله وأمام الناس وأمام الأجيال الآتية، ولا يتحقّق لنا هذا إلاّ بأن

نقوم بدورنا بأن ننتشر أيّام العُطل وأيّام الإجازات بين الناس، نحمل إليهم هذا الفكر الإسلامي الأصيل.

وأسأل الله تعالى التَّوفيق لإخوتي العلماء والطلبة ولكم ولي ولجميع المؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

# الفصل الرّابع : الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

كيف أحيا الحسين عليه السلام الإسلام من جديد؟

ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، مشروعيّة العَبرة وتأريخ العِبرة

ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، ظواهر روحانيّة وشعرية من الواقعة

# كيف أحيا الإمام الحسين الإسلام من جديد(*)

(*) أُلقيت في برنامج النَّهضة الحسينيّة، في حسينية الشهاب بمدينة سيهات.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

ذكـراكَ تَنطفـئ السِّـنينَ وتغـرُبَ ... ولَهـا علـى كَـفِّ الخلـود تلَهُّـبَ
لا الظُّلم يلوي من طماح ضـرامها ... أبداً ولا حقـدَ الضَّـمائرِ يحجـبَ
ذكـرى البطولـة لَيلُهـا كنَهارهـا ... ضـاحٍ تـَوَهّجَ بـه الـدماءَ وتلهـبَ
ذكرى العقيدة لـم ينـؤْ مـتنٌ لهـا ... بالحادثـات ولـم يَخنْهـا منكَـبَ
ذكرى الإباء يَـرى المنيَّـةَ ماؤهـا ... أصْفى منَ النَّبـع الـذَّليلِ وأَعـذَبَ
ذكـراكَ مدرسـةَ الَّـذين تعرَّضـوا ... للسوط يَحكم في الشَّعوب فأَرعبوا
ومَحجَّة الشُّـهَداء يخشـاهم وهـم ... صَرعىً به السَّيفَ اللَّئـيم ويرهـبَ
مَـولاي دَربَ الخَالـدين منَـوَّرٌ ... بالذُكرَيات الغـرُّ سَـمْحٌ مَخْصَـبَ
تَهفُـو لرَوعتِـه المُنَـى لكنَّـه ... ممَّا يَحـيطَ بـه الفجـائعَ مَتعَـبُ[1]

---

(١) السَّيد مصطفى جمال الدِّين، الديوان: ٥٠٣.

# المجتمع الإسلامي ومقتضيات الثَّورة

أعطيتُ في المحاضرة السَّابقة صورة عن واقع مجتمع المسلمين، منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (ت: ٣٥هـ) حتى ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

## الفساد المالي، مَعْلَمة الواقع الإسلامي

كان هذا الواقع المظلم الذي عاشه المسلمون مدَّة النِّصف الأخير من خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان وأيَّام معاوية (ت: ٦٠هـ) ثم بداية عهد يزيد (ت: ٦٣هـ)؛ كان هذا الواقع هو الذي اقتضى أن تنبثق ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)؛ فكان هناك فساد إداري متفشٍّي في الدَّوائر الإسلامية على امتداد الرّقعة الجغرافية لبلاد المسلمين؛ في العراق وفي الشام وفي مصر وفي اليمن وفي الحجاز، وكان هناك سوء توزيع للثَّروة الإسلامية التي ترد إلى بيت المال من مختلف البلدان التي فُتحت، وأعطيتُ أرقامًا لتكدّس هذه الثَّروة عند أفراد من أبناء المجتمع من بني أمية ومن الآخرين المقرَّبين للأمويين، وبلغ أعلى رقم من النَّماذج التي ذكرتُها أكثر من ثلاثين مليونًا[١] في تركة الزبير بن العوام (ت: ٣٦هـ)، ونُقل عن ثروة عبد الرحمن بن عوف (ت: ٣٣هـ) وقد فقيرًا في بداية حياته يتعيَّش من صنع العِقال الذي يُعقل به البعير، وإذا به في أيَّام عثمان يكسّر الذَّهب بالفؤوس[٢].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) المصدر السابق ٣: ١٣٦ ـ ١٣٧.

## الاستيراد الفكري، (الجبر الإلهي) أنموذجًا

ومن جانب آخر، في المجال العقائدي والفكري قلتُ أنَّ الأمويين استوردوا نظرية (الجبر الإلهي)، من الفكر المسيحي عن طريق المسيحيين الذين كانوا يعملون في بلاطات الحكّام الأمويين، وكان هناك من النَّصارى مَن يعمل في قصور الأمراء الأمويين كأطباء وكمستشارين وكموظفين يديرون بعض الوظائف أو بعض الشؤون الأخرى، فهؤلاء استوردوا نظرية (الجبر الإلهي) التي تعني أنَّ الله تعالى سلَّط بني أمية على رِقاب العباد، فليس للعباد أن يعترضوا على تصرّفات الأمويين؛ لأنَّها من الله تعالى، وأيّ شخص يعترض يُحاسب الحساب العسير.

## أخلاقيات المجتمع، والتّوظيف السِّياسي

أيضًا ما كنتُ أريد أن أشير إليه في المحاضرة السابقة، وقد لا أرغب أن أُشير إليه في هذه المحاضرة لكن طبيعة الموضوع؛ ولأستكمله من كل أطرافه وأبعاده لابدّ من الإلماح لهذا الشيء الذي أريد أن أُلمح إليه:

كانت المدينة المنورة في عهد رسول الله (ت: ١١هـ) (صلى الله عليه وآله) وكذلك في عهد أبي بكر (ت: ١٣هـ) وعهد عمر (ت: ٢٣هـ) وبداية أيام عثمان وأيام معاوية هي مركز الثِّقل لأهل البيت وللصحابة، فكانت تمثِّل العاصمة الفكرية للإسلام وللمسلمين، ومنها كان يشعّ الفكر الإسلامي على مختلف أنحاء البلاد الإسلامية.

أراد معاويه أن يتخلَّص من مواقف أهل المدينة اتجاه سياسته التي اتَّسمت

بالظلم والجور، وكيف يتخلَّص والمدينة هي مركز ثقل لأهل البيت ولصحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قام بعمل قد لا يخطر على أذهاننا لما للمدينة من قدسية في نفوس المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون هذا جاء نتيجة استشارة النَّصارى واليهود الذين كانوا يعملون في بلاطات الأمويين، أراد معاوية أن يشغل أهل المدينة عن أن يتابعوا ويلاحقوا سياسته، فاستورد مغنِّين من خارج البلاد الإسلامية، ومِن هؤلاء المغنِّين المغنِّي معبد[1] (ت: ١٢٦هـ)، وكذلك جلب إلى المدينة من المخنَّثين ومِن أشهرهم طويس (ت: ٩٢هـ)[2]، ومما يُؤسف له أنَّ التأريخ يحفظ أسماء هؤلاء ويترحَّم على هؤلاء، ويكتب عن حياة هؤلاء ويذكر الأغاني التي كانوا يغنّونها، والأعمال الفنّية الأخرى التي كانوا يقومون بها، ويستعرض مجالس اللَّهو التي كانت تُعقد لهؤلاء المغَنين في المدينة المنورة التي تحتضن جثمان الرسول (صلى الله عليه وآله).

أشاع هؤلاء اللّهو في المدينة وأشاعوا شيئًا من الفساد الجنسي في المدينة، فمن الطبيعي أن يكون هناك احتجاج.

قلتُ: إنَّ معاوية جلب مجموعة من المغنين والمخنَّثين والرَّاقصات والألوان الأخرى لأهل الفن، وأشاع مجالس اللَّهو في المدينة المنورة؛ ليُلهي فتيان وفتيات المدينة، ومن ثم يسكِّت أهل البيت والصحابة أن يعترضوا عليه، ومن الطبيعي أن يثير هذا ثائرة المسلمين عليه، فالمدينة لها احترامها وقدسيتها في نفوس المسلمين فالمفروض أن تبقى محلّ عبادة لا أن تتحوَّل إلى ملهى للغناء.

---

(١) أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني ١: ٦٣.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، الأغاني ٣: ٢١.

هذا من الأسباب التي ساعدت أن تنبثق ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

## الإمام علي عليه السلام ، محاولات لعلاج الفساد المالي

ونتيجة ما ذكرتُه من سياسة عثمان في السنوات السّت الأخيرة من خلافته وحياته[١]، كانت هناك الثّورة التي قادها رجالات من العراق ومن اليمن ومن مصر تجمَّعوا في المدينة المنور، وألقى بعض الصحابة كثيرًا من الاحتجاجات على الخليفة لأن يغيِّر من سياسته[٢]، ولكن مما يبدوا أنَّ المرحلة وصلت إلى طريق مسدود ليس باستطاعته أن يقوم بأيّ تغيير مما طُلب منه لما ذكرتُه سابقًا، ولأشياء أخرى لا أريد أن أذكرها، بالإمكان الاطّلاع عليها في بعض الكتب التأريخية، وأشير إلى كتاب صدر حديثًا تحت عنوان (وضوء النبي (صلى الله عليه وآله))[٣] استعرض كثيرًا من الأعمال التي كانت سببًا في الهجوم على الخليفة وقتل الخليفة.

وجاء علي للخلافة وما كان علي راغبًا بالخلافة، وأشار إلى هذا في خطبته المعروفه بـ(الشَّقشقيَّة)، ولكن أُجبر عليها من قبل الثُّوار إجبارًا فتقبَّلها، وبدأ خطبته الأولى التي يعبَّر عنها سياسيًّا بالبيان الأول للحُكم، بأن ذكر خطَّه في السِّياسة التي سيترسَّمها أيام خلافته، ولخصَّها بأنَّه سيسير بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٤].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٣: ٦٤.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة ١: ٣٥.

(٣) لعل مقصوده كتاب السَّيد علي الشهرستاني، الصادر في سنة ١٤١٥هـ.

(٤) الشَّيخ الطوسي، الأمالي: ٧٢٩.

جاءه طلحة والزبير ـ هؤلاء الذين أثروا في أيام عثمان بن عفان ثراءًا فاحشًا، بلغ ثروتهم الملايين أو عشرات الملايين ـ جاؤوه وطلبوا منه أن يسير بسيرة مَن قبله من الخلفاء، ونصّوا على سيرة عمر بن الخطاب[١]، لماذا؟ لأنَّ عمر بن الخطاب ـ كما قلت في أكثر من محاضرة ـ هو أوّل مَن غيَّر في نظام توزيع أموال بيت المسلمين[٢]، التي كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) توزَّع بالسَّواء، فرسول الله كان هو رئيس المسلمين وقائد المسلمين يأخذ هو بمقدار ما يأخذه أقلّ فرد في المسلمين، لا يفرِّق بين كبير وصغير ولا بين شريف وغير شريف، واستمرَّ هذا النِّظام أيام أبي بكر وأوائل خلافة عمر، ولكن في أواخر أيام عمر غيَّر في نظام التَّوزيع وقسَّم المسلمين إلى طبقات وجعل الطَّبقة الأولى: أهل السَّابقة في الإسلام، الذين منهم الزبير وطلحة، وكان يُعطيهم أكثر مما يُعطي الطَّبقة الثانية، ويُعطي الطَّبقة الثانيه أكثر مما يُعطي الطَّبقة الثَّالثة، وهذان أكَّدا على سيرة عمر بالذات[٣]، يعني أنّهم يقولون لعلي التزم بنظام الطَّبقات في التَّوزيع، ولكن عليًا لا تأخذه في الله لومة لائم[٤]؛ فقال لهم أسير بسيرة رسول الله، وأخذا يناقشانه ويحاورانه في الموضوع، وأخيرًا رأوه لم يقتنع.

وأيضًا قال أنَّ الأموال التي أُخذت عن طريق نظام الطَّبقات سوف

---

(١) المصدر نفسه: ٧٣٢.

(٢) أحمد بن يحيى البلاذري، فتواح البلدان ٣: ٥٥٠.

(٣) الشَّيخ الطوسي، الأمالي: ٧٣٢.

(٤) وحقيقة ـ أنا لا أقول هذا لأنّي شيعي أدين لعلي بالولاء ـ مَن يقرأ سيرة الإمام علي يجده النّسخة الفريدة في العالَم من حيث العدالة، الشيء الرهيب في التزامه بالعدالة، فلم يسجِّل عليه التأريخ أنّه انحرف عن الاستقامه أو العدالة ولو بمقدار قليل أبدًا. (منه)

أسترجعها؛ حتى لو رأيتها قد تُزوج بها النِّساء، ومُلكت بها الإماء[1] فهذا حقّ المسلمين، وهو أؤتمن على هذا الحقّ فالمفروض أن يسترجع هذا الحقّ ويعطيه للمسلمين.

## الجمل وصفّين والنهروان: مواجهات لتبعات الفساد

فكانت نتيجة العلاجات السابقة أن حدثت معركة الجمل، وجاءت بعدها معركة صفّين عندما تمرَّد معاوية ولم يخضع لخليفة المسلمين وهو أمير المؤمنين (عليه السلام).

وأودّ أن أقول كلمة وأودّ أن أكون صريحًا: الذين امتنعوا عن دفع الزكاة للخليفة أبي بكر عندما استُخلف بعد رسول الله (صلى اله عليه وآله) حَكَمَ عليهم فقهاء المسلمين بالرِّده، وقالوا هؤلاء مرتدّون؛ يعني خرجوا عن الإسلام؛ لأنَّهم لم يدفعوا الزكاة لأبي بكر، وليس لأنَّهم لم يُخرجوا الزكاة، بل هم أخرجوا الزكاة لكن امتنعوا عن أن يدفعوها لأبي بكر، فحكم عليهم فقهاء المسلمين إلى يومنا هذا بأنَّهم مرتدون، لماذا؟ لأنَّهم خرجوا في رأيهم على خليفة المسلمين وتمرَّدوا.

معاوية وجماعة معاوية من أهل الشام تمرَّدوا على علي وهو خليفة المسلمين، فإذا كنَّا فقهاء موضوعيّين فالمِلاك واحد ـ كما يقولون ـ، فإذا حكمنا هناك بالرِّده المفروض أن نحكم هنا بالرِّده؛ لأنَّ المقياس كان هو التَّمرد على خليفة المسلمين،

---

(١) نهج البلاغة، (ومن كلام له (عليه السلام) فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان) رقم (١٥).

هنا أيضًا تمرّدٌ على خليفة المسلمين.

كانت واقعة صفّين ثم تلتها واقعة النَّهروان.

أراد الإمام قبل وفاته أن يجهّز جيشًا لمحاربة **معاوية** فأرسال ولديه **الحسن والحسين** إلى النُّخيلة(١) التي كانت معسكرًا للجيش، والناس كانت تخرج إليها حتى يكتمل الجيش؛ ولكنّه لم يكتمل، فقد أُنهك المسلمون في هذه الحروب الثَّلاثة المتوالية، فاستغلّ **معاوية** هذا الأمر وأخذ يرسل الأموال إلى العراق وإلى اليمن وإلى مصر ليغري بها المسلمين؛ ويستميل شخصيات المسلمين إلى جانبه ليبعدهم عن علي وآل علي، وفي شهر رمضان أُغتيل الإمام (عليه السلام)(٢) ولم تتم الحرب.

## الإمام الحسن عليه السلام ، وواقع الأمّة المتفرّق

اعتزال **الإمام الحسن** (عليه السلام) السَّاحة ولم يصالح معاوية، ومايذكره الخطباء، وما أُلِّف من بعض الكتَّاب في أنَّ **الإمام الحسن** صَالَحَ هذا من وضع **معاوية**.

---

(١) وهي الآن تُسمَّى خان الرُّبع بين النجف وكربلاء. (منه)

(٢) أودّ أن أنبه إلى شيء هنا، والخطباء للأسف يردِّدون ويقولون أنَّ الإمام أغتيل والحسن نائم بالبيت، الحسن لم يكن نائمًا بالبيت وكذلك الحسين لم يكن كذلك، إنَّما كانوا في النُّخيلة معسكِرَين هناك ليتجمّع بقيّة الجيوش، الحسن إمام ليس كبقيّة الناس الذين يمكن أن يناموا في هذه الأوقت، هذا إمام، وهذه ليالي شهر رمضان حيث كان يحييها بالعبادة، يخرج أبوه إلى المسجد وهو يظل نائمًا؟! هذا كلام لا يُقبل ولا ينبغي أن يُقال، والتأريخ يذكر أنّه كان في النُّخيلة وأرسل الرسول إليهم بعد أن ضُرب الإمام (عليه السلام) وجاءوا ـ الإمام الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ـ ودخلوا على أبيهم. (منه)

نحن تتبّعنا وآخرين تتبّعوا ورأينا أنَّ هذا الصُّلح مكذوب، والإمام لم يصالح معاوية ولم يعطِ أيّ شرط لمعاوية، إنَّما اعتزل في المدينة لأنّه لم يجد له أنصارًا فاعتزل، وهذا الاعتزال أيضًا ساعد معاوية على أن يتحرَّك أكثر.

بعد أن أشاع معاوية في المدينة اللّهو، وزع فيها الجواسيس والعيون بشكل فضيع، فتستطيع أن تقول أنّ كلّ اثنين ثالثهم جاسوس، حتى أنَّ الناس وخوفًا من هؤلاء العيون يتهيَّبون الدُّخول إلى بيت الإمام الحسن، ويتهيَّبون السَّلام عليه عندما يريد الخروج لزيارة قبر جدِّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وتستطيع أن تكتشف هذا عن طريق الأحاديث التي رُويت عن الإمام الحسن، فهو أقلّ من رُويت عنه الأحاديث من الأئمة الإثني عشر، ونسبة حديثه ضئيلة جدًّا إذا قيست بالبقية.

الشَّيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ) (أعلى الله مقامه) عنده إحصائية للأحاديث التي رُويت عن الأئمة (عليهم السلام)، ومن خلال الإحصائية نجد أنَّ النِّسبة الأقل عند الإمام الحسن[1]؛ نتيجة الرَّقابة المشَدَّدة التي كانت عليه.

هذه العوامل وعوامل أخرى ولَّدت في المجتمع الإسلامي شيئًا كبيرًا من الخمول والرّكود فتحوَّل المجتمع الإسلامي إلى طبقات:

١. طبقة يُطلق عليهم بالمعتزلة[2]، هؤلاء اعتزلوا الحياة، وهم مجموعة من الصحابة لا يودّون أن يكونوا مع معاوية، وفي نفس الوقت لا يستطيعون أن يكونوا مع أهل البيت؛ لأنَّهم سيقتلون فاعتزلوا هذه الحياة بشكل عامّ.

---

(١) الشَّيخ الطوسي، الرجال: ٩٣ ـ ٩٦.

(٢) ليس المقصود بالمعتزلة أصحاب المذهب العقائدي. (منه)

٢. وطبقة كانت مع أهل البيت، ولكن على خوف، ويستعملون التَّقية في أبعد ما لها من حدود.

٣. وطبقة كانت مع بني أمية، وما أكثر هؤلاء، ويمكن أن تتعرَّف على هذا من دخول مسلم (عليه السلام) إلى الكوفة وكيف قُتل، والشَّاعر يقول:

إن كنت لا تدرينَ ما الموت فانظري ... إلى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشَّم السَّيف أنفه ... وآخر يهوي من طمار قتيل[(١)]

يُجرّ جثمان مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ـ الذي كان زعيمًا كبيرًا من زعماء القبائل الكبيرة ـ في الأسواق والناس تنظر ـ ولا يستطيع أحد قول شيء.

تقرأ في المقاتل وتسمع من الخطباء: أنَّ الذين كانوا قد خرجوا لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء كانوا يتسلَّلون في الليل وعن طريق النَّخيل حتى لا يُرى أحدهم، والذين خرجوا معه عدد قليل جدًّا إذا قيس بالنِّسبة للذين خرجوا عليه أو بالنِّسبة للذين لم يخرجوا.

هذا يكشف عن الخمود الذي وصل إليه المجتمع، وعادة إذا وصل المجتمع إلى حالة خمود يستسيغ الذُّل، ويعيش الذُّل.

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما الجرح بميت إيلام[(٢)]

إذا وصل الشَّعب إلى مرحلة الجمود والخمود يستمري الذُّل ويختار حياة الذُّل.

---

(١) قيل إنَّها قصيدة للفرزدق، وقيل إنّها لعبد الله بن زبير الأسدي، وقيل إنَّها لسليمان الحنفي؛ لاحظ: السَّيد ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف: ٣٧.

(٢) من قصيدة المتنبي التي مطلعها: (لا افتِخارٌ إلاّ لِمَن لا يُضامُ).

## الطبقات الاجتماعية، الدّور الفاعل في تخدير الأمة

في عهد معاوية هناك من يبرِّر هذا الذُّل:

**فهناك طبقة من المجتمع تُسمَّى بالقُرّاء،** وهم الذين يقرؤون القرآن، هؤلاء جباههم سود، ومظهرهم مظهر الزهّاد، لكنَّهم في واقعهم أنتن من النَّتن؛ كانوا يبرِّرون لمعاوية كلّ تصرفاته، وكانوا يدفعون الناس إلى تقبّل هذا اللون من الذُّل، يسمِّيهم الدكتور الوردي (ت: ١٩٩٧م) بـ(وعَّاظ السَّلاطين)، هؤلاء تأتيهم الفتاوى جاهزة تخرج من قصر الخليفة أو البلاط وليس عليهم إلاّ أن يختموها.

**وهناك طبقة أخرى وهم سماسرة السَّلاطين،** فيهم من رجال الدِّين وفيهم من غير رجال الدِّين، هؤلاء يذهبون لمعاوية ويمتدحونه بأنّه خليفة المسلمين، وقائد المسلمين ووو...، هؤلاء أيضًا يقومون بتخدير الناس وويجعلونهم يستمرّون في هذا اللون من الحياة.

الخلافة ـ كما ذكرتُ ـ تحوَّلت إلى مَلَكِيّة حتى أنَّ كثيرًا من فقهاء أهل السُّنه يرون أنَّ الخلافة انتهت بالحسن (عليه السلام)، وتحوَّلت عن طريق معاوية إلى مَلَكِيَّة.

نتيجة هذا الوضع الذي كان سائدًا في المجتمع الإسلامي، هذا الوضع بما فيه من فساد مستشري كان يتطلَّب الثَّورة، فلا مجال لمن يرى في نفسه القدرة على الإصلاح أن لا يتحرَّك، والإمام ـ كما يقول في إحدى خطبه ـ (**...ألا وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد وعطَّلوا**

الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحقّ مَن غيَّر...)[١].

(١) أبو مخنف الأزدي، مقتل الحسين (عليه السلام): ٨٥.

## الثَّورة، الوسائل المتّبعة

عرفنا الآن الأسباب التي دعت للثَّورة، فما هي الوسيلة التي اتَّبعها الإمام الحسين (عليه السلام) في الثَّورة على هؤلاء ليغيّر من هذا الواقع؟

الثورة تأتي عن ثلاثة أساليب:

**الأسلوب الأوّل: عن طريق الانتفاضة الشَّعبيه**، وتُسمَّى الثَّورة الشَّعبيه، فالشَّعب ينتفض ويغيّر هذا الواقع؛ كما حدث في إيران فالشَّعب كلّه ثار وخرج، إلى أن جاء **الإمام الخميني** (ت: ١٤٠٩هـ) (قدِّس سرّه).

**الأسلوب الثاني: الانقلاب العسكري**، الجيش يثور ويغيّر الحكام ويستولي على مقاليد الأمور، ثم تأتي بعد هذا الدَّولة أو الحكومة المدنيّة وتقوم بالتَّغيير.

**الأسلوب الثَّالث:** التَّضحية.

إمّا الانتفاضة الشَّعبيه فما كان يمكن أن تكون كخيار للإمام الحسين (عليه السلام)؛ والحال أنَّ الشَّعب أصبح في حالة خمول وخمود وركود، واستمرى الذُّل والحياة الذَّليلة، **ومعاوية** سلَّط عليهم وعّاظ السَّلاطين وسماسرة السَّلاطين.

ولم يكن الانقلاب العسكري ممكنًا؛ فالإمام الحسين (عليه السلام) ما كان يملك أيّ جيش. قد تقول أنَّ أهل الكوفة كاتبوه لكنّهم تركوه، ومعنى هذا أنَّه لا يملك الجيش الذي يستطيع أن يُحدث فيهم انقلابًا عسكريًا ويُطيح هذا الحاكم.

إذًا ليس هناك إلاّ التَّضحية وأن يضحّي بحياته، وفرق بين الجهاد وبين التَّضحية:

في الجهاد يدخل الإنسان المعركة وأمامه احتمالين: احتمال أنَّه ينتصر فيرجع

حيًّا ويخرج من المعركة حيًّا، واحتمال أنّه يُقتل ويموت شهيدًا.

في التَّضحية ليس فيها احتمالين، فيها مصير واحد متيقَّن: وهو الموت؛ ولذلك قال الإمام الحسين في أوّل خطبة له: (**خُطَّ الموت على وِلد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة**)[١] ثم تحدَّث ببقيّة خطبته، وكان يقول أنا مُقدم لكنَّه يُسمّي هذا الموت (الفتح)، (**ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح**)[٢].

وهناك شعر للشّاعر المسيحي بولس سلامة (ت: ١٩٧٩م) يقول:

**يا أبا الـذّر يـوم موتـك عيـد　　　إن موت الشهيد فجر انتصاره**[٣]

(١) الشّيخ المجلسي، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦.

(٢) ابن قولويه، كامل الزيارات: ١٥٧.

(٣) بوليس سلامة، عيد الغدير: أوّل ملحمة عربية: ١٥٧.

# عطاءات الثّورة الحسينيّة

كيف يتحقّق الانتصار؟ بالتّضحية، عندما يموت هذا الإنسان، فإنّ هذا القتل هو انتصار، أن يضحّي بحياته ويُقتل؛ هذه التّضحية وهذا القَتل هو الانتصار، هذا القَتل يبقى يحتّج أمام الناس على هؤلاء الحكّام، ويخلق رأيًا عامًّا ضدّ هؤلاء الحكّام، وهذا الذي حصل بالنِّسبة إلى ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)؛ فيزيد لم يستمر مدة طويلة بعد واقعة الطَّف، وجاء ابنه معاوية بن يزيد (ت: ٦٤هـ) وحكم لثلاثة شهور ومات[١].

## الثّورة في عطاءاتها السّياسية

في مدَّة سنوات قليلة استطاعت هذه الثَّورة أن تُطيح بالحكم السُّفياني، وجاء بعده الحكم المرواني الذي بدأ بالطَّريد ابن الطريد مروان بن الحكم (ت: ٦٥هـ)[٢]، فعارٌ على لمسلمين أن يكون طريد رسول الله خليفة، والمفروض أن لا يُقبل هذا في حال من الأحوال.

ثم جاءت ثورة الإمام زيد بن علي بن الحسين (ت: ١٢٢هـ) حفيد الإمام الحسين (عليه السلام) فأطاحت بالحكم المرواني، فثورة كربلاء ولّدت ثورات، ثورات الحسينيين أوَّل مرة، ثورة زيد ثم ثورة ابنه يحيى بن زيد (ت: ١٢٥هـ) الذي قُتل في الجَوْزَجان (جمهورية بخارى) أو سمرقند، في ما كان يُسمَّى بالاتحاد السوفيتي، وله ضريح الآن فيها.

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٥: ٣٩.

(٢) المصدر نفسه ٥: ٤١.

ثم جاءت ثورات الحسنيين بعد ثورات الحسينيين، واستطاعت أن تحرّك المجتمع.

ومن النَّتائج التي أعطتها هذه الثورة أنَّها كشفت عن واقع الحكَّام، فبعد قتل الإمام الحسين (عليه السلام) تساءل الناس لماذا ضحّى الإمام الحسين؟ فهذه التَّضحية كشفت واقع الحكَّام، ودائمًا الأحداث تكشف الواقع للناس، وإلى الآن أيّ حدث من الأحداث في البلاد الإسلامية يكشف عن واقع كبير لشخصيات ولمؤسسات.

## الثَّورة في عطاءاتها الاجتماعية

أيضًا من عطاء ثورة الإمام الحسين أن بعثت الشُّعور بالمسؤوليه عند الناس، فقد حرَّكت الشُّعور عند الناس، وكانت حركة التَّوابين التي دلَّلت على أنَّ ثورة الإمام الحسين حرَّكت الشَّعور بالمسؤولية عند الناس، وأنّه يجب عليهم أن يتحرَّكوا وينقذوا المجتمع من هذا المآل الذي انتهى إليه إلى ما هو أفضل، أو إلى ما يتمشَّى مع الخطّ الإسلامي.

## الثَّورة في عطاءاتها الفكريّة

نظرية (الجبر الإلهي) التي لعبت دورًا كبيرًا جدًّا، هذه أيضًا انتهت؛ لأنَّ العلماء في المدينة بدأوا يتنفَّسون، فيزيد قام بأعمال لم يقم بها أيّ حاكم دكتاتوري في الدنيا، طلب من أهل المدينة بما فيهم كبار الصحابة أن يبايعوه رقيقًا وعبيدًا له باستثناء علي بن الحسين (ت: ٩٥هـ) (عليه السلام) هذا بعد معركة الطَّف[1]،

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤: ١١٨ ـ ١٢٠.

كان يخشى أن يأخذ منه البيعة وكلّ النتائج لا تكون في صالحه.

لمّا أُعطيت هذه البيعة من أهل المدينة دفعهم هذا إلى محاربة هذه النظرية، والبعض كان يتقبَّل والبعض كان ساكتًا، ولكن هذه النظرية رُفضت وانتهت.

كان هناك شيئًا يُسمَّى (اجتهاد الرَّأي) فقد وقف الإئمة (عليهم السلام) وحاربوا هذا الاجتهاد، وبخاصة الإمام الباقر (١١٤هـ)؛ حيث هاجمهم هجومًا عنيفًا.

أيضًا ثورة الإمام الحسين حدَّدت قبول الفتوى، فأصبح ليست كلّ فتوى تصدر من الحكَّام تُقبل، ولا كلّ رأي يطرحه الحاكم يُقبل؛ كان يرفض ويُرد وكان يناقَش.

من أهم العطاء الذي أعطته ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) أن فتحت الباب لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن ينطلقوا في الذِّكر، الذي يوجد فيه فكر كبير جدًّا؛ فدعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السلام) فيه من الفكر الشيء الكثير، عن العقيدة وعن التَّوحيد، وكذلك أدعية الصَّحيفة السَّجادية للإمام زين العابدين (عليه السلام) فيها فكر إسلامي كبير يرتبط بالعقيدة ويرتبط بالتَّشريع وبالإداره وبالاجتماع وبالاقتصاد، لكن مع الأسف لم تُدرس الدِّراسة التي تكون بمستوى ما فيها من فكر.

الإمام الباقر (عليه السلام) كان في المدينة يمثِّل جامعة وكان يدرِّس الفقه والتفسير والحديث وعلم الرجال، كما يدرِّس الطب أيضًا والجغرافيا والتأريخ، ما كان هذا مألوفًا عند المسلمين أبدًا في عهود الخلفاء السَّابقين، وحتى من العلماء الذين سبقوا الإمام الباقر عمرًا وزمنًا؛ فلم تكن عندهم هذه الموسوعيّة في التَّدريس، وهو أوَّل من أحدث هذه الموسوعيّة في التَّدريس عند المسلمين؛

ودرَّس في مختلف الحقول المعرفية التي كانت موجودة آنذاك، وهذا أيضًا من تأثيرات ثورة الإمام الحسين (عليه السلام).

كان هناك تيارات فكريّة تتنقم من الإسلام، وكان هناك حركة الزَّنادقة وحركات مختلفة، وكان من قاوم هذه الحركات هو **الإمام الباقر** في البداية ومن بعده **الإمام الصادق** (ت: ١٤٨هـ) (عليه السلام)، وقفا موقفًا مشرِّفا.

**والإمام الصادق** هو الذي وضع الفلسفة الإسلامية وأسسها، وطبعًا كانت هذه التَّيارات كلّها تحمل فكرًا فلسفيًّا، وبالفلسفة الإسلامية قاوم **الإمام الصادق** هذه التَّيارات.

ويكفينا ـ حقيقة ـ أنَّ ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت مدرسة للناس المظلومين، وللناس الذين يضطهدون، يقول الشاعر:

| | |
|---|---|
| **وتَركـتَ للأجيـال حـينَ يلزّهـا** | **عَنت السّرى ويضيقَ فيها المهربَ** |
| **جَثثَ الضَّحايا من بَنَيـكَ تَـريهمَ** | **أنَّ الحقوقَ بمثل ذلـك تَطلـبَ**[1] |

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) السَّيد مصطفى جمال الدِّين، الديوان: ٥٠٣.

الإمام الحسين بن علي (٢)

# ثورة الإمام الحسين عليه السلام

# مشروعيّة العَبرة، وتأريخ العِبرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

خشوع وتقديس لتلك القرابين المطهَّرة التي وسَّدتها ثرى كربلاء مشاعل هداية تنير الطريق أمام الأجيال إلى الهدى إلى الحق إلى الكرامة.

يا كاتبًا أحرف الإيمان في دمـه حتَّـى بـزغن فلـم يبقـين ديجـورا
حملت شعلة نور الحقِّ منصرعًا وسرت تهدي بهـا الأجيـال مقبـورا
قد قبَّلتك المواضي وهي خاشعةٌ لما تراجـع عنـك المـوت مـذعورا
رآك فكرة حـقٍّ لـم تـزل أبـداً يسمو بها العقل تمحيصًا وتفكيـرا[1]

وهكذا سيبقى الحسين حديث الدَّهر، الحسين عَبرة وعِبرة؛ (عَبرة) هو ما نحصل عليه من ثواب بسبب البكاء أو التَّباكي في أمثال هذه المناسبات التي تحصل في أيام عاشوراء. عندما يجلس النَّاعي وينعى الحسين تخشع قلوب المستمعين، هذا الخشوع سواء تبعه دمع أو لم يتبعه دمع يثاب عليه الإنسان.

و(عِبرة) بما هنالك من وسائل تدور في فلك حديث كربلاء؛ من خطابة

---

(١) من قصيدة (شعلة الطّف التي لن تنطفئ)، للشاعر أحمد بدران، لاحظ: عبد الرزاق العائش، يوم الحسين.

وتأليف وكتابة وما شاكل، كلّ هذه عِبرة يستفيد منها المستمع والقارئ فيما يعرّفه بأحكام دينه.

الحديث عن كربلاء متشعّب الأطراف ويتجدَّد كلَّما مرَّ الزَّمان، لم يهدأ ولن يهدأ، وسيبقى متجدِّدًا مع الأيام واللَّيالي.

## مشروعيّة المآتم الحسينيّة، استعراض إجمالي للأدلّة

ولا أريد أن أُطيل الآن في مقامي هذا، وسأختار قضية واحدة وسأؤكّد عليها في حديثي وهي: لماذا تُعقد هذه المآتم وهذه المجالس؟ لماذا في كل سنة يقيم أتباع أهل البيت هذه المجالس؟ هل ترتبط بمشروعية دينيَّة أو أنَّها ترتبط بعاطفة إنسانية؟

### مصادر التشريع، التَّحديد والتَّعريف

مصادر التشريع: وهي المصادر التي نأخذ منها الأحكام؛ فكلّ سلوك من سلوك الإنسان محكوم بحكم الشَّريعة الإسلامية، يعني جلوسك وقيامك وحركاتك وسكناتك، في كلّ أنواع وأنماط سلوكك هو محكوم بحكم الدِّين، ولذلك هناك كلمة معروفة عند الفقهاء من الفريقين السُّنة والشِّيعة: (**لله في كلّ واقعة حكم**)؛ أيّ سلوكٍ يسلكه الإنسان له حكم؛ إمَّا أن يكون واجبًا أو مستحبًا أو مكروهًا أو حرامًا أو مباحًا، صحيح أو باطل، لابدّ أن يكون هناك حكم.

من أين نأخذ هذه الأحكام؟ هذه الأحكام تُؤخذ في الدَّرجة الأولى من القرآن الكريم وفيه ٥٠٠ آية مختصَّة بالأحكام الشَّرعية.

وبعد القرآن الكريم تأتي السُّنة الشَّريفة وهي: حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحديث الرسول له طريقان عند المسلمين:

**الطريق الأول**: هو طريق أهل البيت.

**الطريق الثاني**: هو طريق الصحابة.

الشِّيعة يأخذون أحاديث الرسول عن طريق أهل البيت، والسُّنة يأخذون

أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) عن طريق الصحابة، من هنا قد نجد بعض التَّعبيرات في بعض كتب أصول الفقه سُنة أهل البيت، سُنة الصحابة؛ نعني بهذا أنَّ أهل البيت طريق إلى رسول الله، وأنَّ الصحابة طريق آخر إلى رسول الله.

كيف يكون أهل البيت طريق إلى رسول الله؟ يعني عن طريق أهل البيت نأخذ الأحكام التي جاء بها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لنرى هل أنَّ أهل البيت قالوا شيئًا في مثل هذه المعطيات أو عملوا شيئًا من هذه المعطيات؟

والسُّنة عندنا هي قول المعصوم وفعله وتقريره، إمَّا أن يقول هذا حلال أو هذا حرام، أو يقول هذا واجب أو يقول هذا منبوذ، أو يقول هذا مكروه أو يقول هذا مباح، أو يقول هذه المعاملة باطلة أو هذه المعاملة صحيحة.

أو هو يفعل الفعل أمامنا؛ وعندما يفعل الفعل نفهم أن الفعل غير محرَّم لأنَّه لا يفعل الحرام.

أو أنَّ بعض الناس يفعل الفعل أمام المعصوم، والمعصوم لم ينهَ ذلك الإنسان عن هذا العمل يعني يقرّه على ذلك العمل، فنفهم أنَّ هذا العمل جائز في الشَّريعة الإسلامية.

## السُّنة القوليّة والفعليّة والتَّقريريّة أدلّة

لو رجعنا إلى التأريخ لنتعرَّف هل أنَّ أهل البيت قالوا شيئًا في مثل هذه المناسبة يدلّ على مشروعية عاشوراء؟ أو فعلوا شيئًا في مثل هذه المناسبة يدلّ على المشروعية؟

عندما نرجع إلى التأريخ نرى أنَّ المؤرخين يقولون أنَّ **الأئمة** (عليهم السلام) تجدهم في هذه الأيام ـ أيام عاشوراء ـ يستدعون الشّعراء أمثال **الكميت بن زيد الأسدي**(١) (ت: ١٢٦هـ) **والسّيد الحميري**(٢) (ت: ١٧٣هـ)؛ فكان **الإمام الصادق** مثلاً عندما يأتون إليه في داره يضرب ستارًا، ويدعو الحرم فيجلسون خلف السّتار، ثم يقول للشاعر هاتِ ما عندك في رثاء الحسين (عليه السلام)، ويبدأ الشاعر يقرأ ما عنده من شعر في رثاء الحسين، **والإمام الصادق** يستمع، والحرم في داخل الدَّار أيضًا يستمعن، وعندما يصل إلى ذكر مصرع الإمام الحسين يبكي **الإمام الصادق**، وتبكي نساؤه من وراء السّتار(٣).

ثم إنَّ **الإمام الرضا** (عليه السلام) أيضًا ـ كما يُذكر في التأريخ ـ في مثل هذه الأيّام كان يستدعي الشّعراء ويقومون بإلقاء الشّعر ويبكى هو(٤).

هذه الحوادث التي تُذكر تنطوي على قول من المعصوم وعلى فعل المعصوم، ونحن نريد أن نتعرَّف على مشروعيّة مثل هذه المعطيات، **فالإمام الصادق** إمام، والأئمة عندنا معصومون؛ فعلهم حجة وقولهم حجة وتقريرهم حجة، فاستدعائهم لهؤلاء الشّعراء، والطَّلب من هؤلاء الشّعراء أن يقولوا شعرًا في الحسين (هذا قول)، وجلوسهم في هذا المجلس لاستماع الشّعراء (هذا فعل)، وإقرارهم لفعل الشعراء (هذا تقرير)، إذًا كلّ أنماط السُّنة الشَّريفة اجتمعت في هذه المعطيات، وهذا ممّا يدلّ على مشروعيتها.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ٣: ٢٢٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ٧: ١٧٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢: ٢٩٤.

الفقهاء يستخلصون الحكم من هذه المجالس التي عُقدت في دور أهل البيت (عليهم السلام)؛ نقول أنَّ الأئمة (عليهم السلام) عندما عقدوا هذه المجالس لم يكن دافعهم العاطفة اتّجاه الإمام الحسين (عليه السلام) فقط ـ وإن كانو هم أولاد الحسين (عليهم السلام) ولديهم عاطفة اتجاهه (عليه السلام) ـ ولكن لم يكونوا يعقدوا المجالس للعاطفة فقط، وإنَّما كانوا يعقدون المجالس لبيان مشروعيتها وأنَّها مندوبة ومستحبّة؛ أي أنَّها محبوبة عند الله (عز وجل) والشّيء المحبوب عند الله يثيب عليه، وعندما يفعله الإنسان يثاب عليه ـ مثلاً لو توضَّأتُ وضوءًا مستحبًا في غير وقت الفريضة، وقمتُ صلَّيتُ ركعتين استحبابًا، فإنَّ الله يثيب على هذا الفعل؛ لأنَّ الوضوء والصلاة أمران مستحبَّان ومندوبان، وأيّ شيء مندوب عند الله فهو يثيب عليه.

فالفقهاء يستخلصون من عقد هذه المجالس من قِبل الأئمة (عليهم السلام) أنَّها محبوبة من قِبل الله؛ لذا نجد في بعض الرَّسائل العملية عند بعض الفقهاء، أنَّ صاحب المجلس أو الذي يبذل لعقد المجلس ـ مثل أن يفتح بيته لعقد المجلس ـ يقول الفقهاء أنَّه عند انتهاء الخطيب من القراءة يُستحب لصاحب المجلس أن ينوي في قلبه أنَّه يهدي ثواب هذا المجلس إلى الإمام الحسين (عليه السلام). إذًا عَقْد هذه المجالس له ثواب وهذا الثواب يمكن أن يستفيد منه صاحب المجلس، ويمكن له أن يهديه إلى من يريد.

# المآتم الحسينيّة، التأسيس والتّطوّر

هذه المجالس بدأت بهذا الشَّكل عن طريق إلقاء شعر النَّدب في دور أهل البيت (عليهم السلام)، ثم تطوَّرت إلى قراءة المقاتل، يوجد لدينا مقاتل كثيرة مكتوبة أومؤلَّفة في واقعة الطف تتضمن ما يسمَّى بالسِّيرة الحسينية، أي الحوادث التي جرت منذ خروج الحسين من المدينة المنورة حتى رجوع السَّبايا إلى المدينة المنورة مرة أخرى. هذه المقاتل كثيرة كـ(مقتل أبي مخنف) المشهور والمعروف، وهناك مقاتل أخرى كثيرة تعدّ بالعشرات.

إذًا تطوَّرت هذه المجالس من قراءة الشعر إلى قراءة المقاتل، إذ يجلس مجموعة من أصحاب أهل البيت ويقرأون المقتل. وهذا شي موجود حتى عند أهل السُّنة فإنَّهم يقرأون المقتل في يوم عاشوراء، وإلى فترة قريبة كانت المقاتل تُقرأ بمكة والمدينة المنورة؛ ولعله حتى الآن موجود، ولكن بشكل غير واضح.

ثم تطوَّرت المجالس من قراءة المقاتل ـ الخطيب أو الناعي يأتي فيقرأ المقتل بأكمله إلى مصرع الإمام الحسين (عليه السلام) ـ إلى قراءة المقتل بشكل موزَّع على عشر ليالٍ: اللَّيلة الأولى نقرأ كذا، اللَّيلة الثانية نقرأ كذا، وقد أُلِّفت كتب بناءًا على هذا التَّوزيع كـ(كتاب منتخب الطريحي)، تبدأ هذه الكتب بشعر ثم حديث حول حادثة عاشوراء؛ مثلاً اللَّيلة الأولى شعر ثم حديث حول خروج الإمام الحسين، ليلة أخرى شعر وحديث عن نزول الحسين بكربلاء، وليلة أخرى عن مصرع العباس (عليه السلام)، ومن هذه الكتب كتاب يُطلق عليه ـ باللغة الفارسية ـ (روزاخون)، وهذه التَّسمية جاءت بسبب كتاب اسمه (الروضة)، هذا الكتاب اسمه الروضة وبالفارسي لا ينطقون حرف الضاد

فيقول بدلاً منه حرف (الزّاي) فتكون (روزا) وكلمة (خون) معناها بالفارسي (قراءة)، لّما نقول (روزا خون) فيكون معناها قراءة في كتاب (الروضة)، هذا القارئ كان يصعد المنبر ويفتح كتاب (الروضة) ويقرأ المجلس الأوّل في اليوم الأوّل، المجلس الثّاني في اليوم الثّاني، وهكذا إلى أن يُكمل عشرة مجالس.

ثم سُمّي هذا القارئ بعد ذلك (خطيب)؛ لأنّه كان يخطب بالناس، وتطوّرت الخطابة أيضًا من القراءة في الكتاب إلى حفظ المجلس الموجود بالكتاب كاملاً، ثم يصعد على المنبر ويُلقي.

ثم بعد ذلك تطوَّرت الخطابة لتُصبح محاضرة في عدّة مجالات، كأن يبدأ الخطيب بآية قرآنية، ثم يشرح تفسير الآية، ثم ما يدور حول مضامين هذه الآية من قضايا دينية أو قضايا وعظية أو أيّ قضايا أخرى لها ارتباط بالآية القرآنية، أو يبدأ بخطبة من خطب (نهج البلاغة).

الجيل الذي كان قبل جيل **الشَّيخ الوائلي** (ت: ٢٠٠٣م)، جيل **اليعقوبي** (ت:١٣٨٥هـ) مثلاً كانوا يبدأون بقصيدة ثم شعر نبطي (شعر شعبي) ـ ويسمّيه الخطباء (نعي) ـ بعد ذلك يبدأون بخطبة من (نهج البلاغة) ويشرحون مضامين هذه الخطبة، ثم ينتهي الخطيب إلى موضوع كربلاء.

ثم تطوَّرت الخطابة في عصرنا الآن فأصبحوا يبدأون بآية قرآنية ويقومون بتفسيرها، ويعلّقون على هذا الآية القرآنية. والخطابة عادة لا تكون بشكل واحد ـ ليست كالمحاضرة التي تكون بشكل موحّد ـ الخطابة تتنوَّع فيها الأساليب لكي لا يملّ المستمع ويبقى مشدودًا إلى هذا الخطيب.

والخطابة تشتمل على أشياء كثيرة: فيها بيان حكم شرعي، وفيها موعظة، وفيها ذكر قصة تأريخية، وفيها ذكر لحديث وشرح لهذا الحديث، أو آية مع

تفسيرها، وبالتَّالي الخطابة تُعطينا ألوانًا مختلفة من الثَّقافة.

فعندما نقول: إنَّ الحسين (عليه السلام) عِبرة: بمعنى فائدة؛ والخطابة من الفوائد التي نجنيها من إقامة هذه المجالس.

وقلنا أنَّ إقامة هذه المجالس مشروعة بفعل وتقرير وقول أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا يعني أنَّ هذه المجالس مستحبّة؛ أي أنَّ القارئ وصاحب المجلس والمستمع لهم ثواب، وفي نفس الوقت نستفيد من الجانب الثَّقافي في هذه المجالس، ونستطيع أن نقول عن هذه المجالس أنَّها جانب من جوانب العِبرة إلى جانب كونها عَبرة.

ومن هنا يقول الشاعر:

هَتَفَتْ لك الأملاك والعلـــ ... ـــياء تصـــفق باليـــدين

ذَهَّبــتَ سِــفر الحــقِّ مــن ... دمك المخضب يا حسين[1]

اللَّهم ارحمنا بالحسين وبآله، واجعلنا من المتمسِّكين بهم دنيا وآخرة.

و السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) جزء من قيصدة للسيد عبّاس شبّر (ت: ١٣٩١هـ)، لاحظ: السيد جواد شبّر، أدب الطّف أو شعراء الحسين (عليه السلام): من القرن الأوّل الهجري حتى القرن الرّابع عشر ٢: ٢٧٦.

# ثورة الحسين عليه السلام

# ظواهر روحانيّة وشعريّة من الواقعة(*)

(*) محاضرة ألقيت في سنة ١٤٠٩هـ.

...[1]وهذا مما يدعونا أن نتخذ من هذه الليلة ليلة العَبرة؛ ولأربط ما بدأتُ به في أوَّل هذه العشرة، حينما قلتُ: إنَّ الحسين (عليه السلام) عَبرة وعِبرة، وتحدَّثنا كثيرًا خلال هذه الليالي عن جانب العِبرة، واستعرضنا بعض النَّظريات التي قالها الحسين في موضوع التَّوحيد.

ننتقل الآن الى جانب العَبرة:

هذه اللَّيلة ليلة الدُّموع؛ سأستعرَّض لبعض النقاط أو بعض الظَّواهر التي هي من معطيات الحب لأهل لبيت (عليهم السلام) وبعض الظَّواهر الرَّوحانية في هذه الواقعة، وبعض أشكال المأساة.

تميّزت الطَّائفة الشِّيعية عن بقيّة طوائف المسلمين بعمق حبها لأهل البيت (عليهم السلام)، وحب أهل البيت من الواجبات الإسلامية، ولا يختلف فيه اثنان من المسلمين؛ فالكلّ يذهبون إلى أنَّ حب أهل البيت واجب، يعني على كلّ مسلم أن يحب أهل البيت، والآيات القرآنية التي تدلّ على هذا كثيرة، والأحاديث النبوية أيضًا التي تدلّ على هذا كثيرة.

وإلتزام الشِّيعة بحب أهل البيت في الواقع مفخرة وقربى وزلفى لرسول الله

---

(١) بداية المحاضرة ساقط من التّسجيل.

(صلى الله عليه وآله)، هذا الحب إنعجن بالعاطفة تجاه مأساة الطَّف؛ فحوَّل الشِّيعي إلى عاطفة ملتهبة عند ذكريات أهل البيت (عليهم السلام) المأساوية، حب أهل البيت يرتضعه الشِّيعي من ثدي أمِّه وينشأ معه وينمو، ثم يُقبر معه في لحده ليكون نورًا له في ذلك القبر، وكلّنا قد سمع البيتين اللَّذين قالهما أحد شعراء الشِّيعة؛ وفي الواقع هما كشِعار لكلّ شيعي، يقول الشاعر:

**لا عـذَّب الله أمّـي إنهـا شـربت ... حبَّ الوصيِّ وغذَّتنيـه فـي اللـبن**

**وكـان لـي والـدٌ يهـوى أبـا حسـنٍ ... فصِرتُ من ذِي وذا أهوى أبا حسـنِ**

فيقول: حب أهل البيت كان مع الرِّضاع؛ يعني بدأ مع أوَّل لحظة يتفاعل فيها الإنسان مع هذه الحياة، ويبقى مع الشِّيعي كما قلنا حتى النهاية.

أنا لا أريد أن أُطيل حتى أفسح المجال للإخوة الآخرين الذين يريدون أن يشاركوا.

# الظَّواهر الرّوحانيّة

أُشير إلى بعض الظَّواهر التي تنبع من الحبّ ومن تأثير العاطفة، هذه اللَّيلة تُسمَّى بليلة الوداع؛ ونسميها بليلة الوداع لأنَّ العوائل التي كانت مع الحسين (عليه السلام) كانت تقوم بدور الوداع، فكلّهم يعلمون بأنَّ غدًا هو المصير النّهائي للحسين وآل الحسين وأصحاب الحسين (عليهم السلام)، من هنا تُسمَّى هذه الليلة ليلة الوداع.

١. من الظَّواهر التي كنا نشاهدها في كربلاء، وكربلاء في مثل هذه الأيام موسم للعزاء، في ليلة عاشوراء؛ يعني في مثل هذه اللَّيلة تخرج مواكب مختلفة، ربما يصل عدد من يشارك في هذه المواكب أكثر من مليون شخص، ومن جملة هذه المواكب موكب طلاّب الجامعات والثانويات، موكب تبدأ مسيرته من مشهد الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مشهد أخيه العباس (عليه السلام)، يستغرق الموكب حوالي أربع ساعات مع أنَّ المسافة قصيرة ـ ليست بطويلة ـ بين المشهدين الشريفين؛ لكن لكثرة مَن يشارك فيه من طلاب الجامعات وطلاب الثانويات، وجميعهم يبدأون مسيرتهم بنشيد، ومطلع النَّشيد الذي أُريد أن أقوله هنا هو الذي يكشف لنا عن بُعد العاطفة الموجودة لدى هؤلاء المثقَّفين.

يقولون بداية النَّشيد أو المجموعة الأولى، والمجموعات الأخرى توالي المقاطع الأخرى من النَّشيد:

ليلة العاشر طَولي والبسي ثوب الظَّلام ودَعي تقضي وداعًا آلَ طه في الخيام

٢. في لون آخر أيضًا يُنقل عن أحد العلماء (رحمه الله): اليوم الثالث عشر يُسمَّى يوم الدَّفن، الحسين وأصحابه بَقوا في العراء ثلاثة أيام؛ وفي اليوم الثالث

عشر دُفنوا، الذين قاموا بالدَّفن هم بنو أسد، وهم قبيلة من القبائل العربية الشَّهيرة، كانوا يسكنون في أطراف كربلاء، وهؤلاء يَعتبرون قيامهم بالدَّفن مفخرة ومجدًا يُفاخِرون به، وحقَّ لهم أن يُفاخروا بهذا، أن يكونوا هم من قاموا بدفن الإمام الحسين (عليه السلام)، ويحافظوا على هذا المجد، من سنة ٦١هـ السَّنة التي استُشهد فيها الإمام الحسين وحتى الآن ونحن في سنة ١٤٠٩هـ في اليوم الثالث عشر تخرج كلّ أطراف قبيلة بني أسد نساءًا ورجالاً، الرجال في المقدمة والنساء بعدهم، وهي تبلغ عشرات الآلاف تبعد أماكنهم في خارج كربلاء حوالي ٤٠ أو ٥٠ كيلو عن كربلاء، هؤلاء يتوجَّهون من الصباح الباكر سيرًا على الأقدام إلى كربلاء، كلّهم متربِّين ويحملون معهم آلات الدَّفن (المسحاة والزنبيل)، فإذا اقترب الظهر يصلون إلى كربلاء فتموج شوارع كربلاء بهؤلاء.

العشائر الأخرى ـ كمواساة لهذه العشيرة ـ تدخل أيضًا فتتحوَّل كربلاء كلّها إلى صرخة واحدة (يا حسين)، وأمواج تتلاطم في شوارع كربلاء، ومن جملة هذه العشائر التي تُشارك بني أسد في هذا العمل عشيرة تُسمَّى (الجريبات) وهو ليس اسم العشيرة، وإنَّما هذه العشيرة تقوم بعمل، فكلّ فرد من أفراد هذه العشيرة يحمل معه جرابًا صغير فيه شيء من الدَّقيق، لماذا؟ لأنَّ الحسين وآل الحسين بقوا عدَّة أيام بلا ماء وبلا زاد، وكأنَّهم يريدون أن يعوِّضوا، فكلّ فرد منهم يحمل على كتفه جرابًا فيه شيء من الطعام يدخلون إلى كربلاء كبقية العشائر وكل عشيرة معها هتافها الخاص.

يقول هذا العالِم: أنا كنت أُريد أن أرى هذا المشهد ـ مشهد دخول أهل الجريبات ـ فحضرت كربلاء، دخلوا كربلاء؛ وكربلاء لها عدَّة طرق، وكان عددهم كبير وفي المؤخرة ـ يقول ـ هناك شيخ كبير حتى حواجبه بيضاء، لا

يستطيع المشي ويتعكَّز على عكَّاز، وأفراد العشيرة انطلقوا أمامه بمسافة، يقول رأيته من بعيد يتكلم لكن صوته ـ لأنَّه كبير السِّن ـ ضعيف، ويبكي ودموعه تنحدر على خدَّيه، فاقتربت منه أُريد أن أسمع ما يقول هذا ـ انُظر ماذا يقول هذا حتى تعرف مدى عمق العاطفة تجاه الحسين عند الشِّيعة الموالين للحسين ـ كان يقول على عجزه، ويتعكَّز لا يستطيع المشي باللَّهجة العراقية: (يا حسين اشرب ماي عيوني)، يريد أن يقول: الحسين مات عطشانًا، فلابدّ أن تسقيه بماء العين، وتسقيه بالدمع، كلَّما مرَّ على مجموعة ويسمعونه يتعالى الصُّراخ والبكاء والعويل.

هذا يكشف لنا أنَّ هذا الرجل الكبير على ضعفه يقوم بهذا الشيء! ما هو الدَّافع له؟ ما هو إلاَّ حب الحسين، ولا شيء آخر؛ لأنَّه لا توجد أموال ينتظر أن تُعطى له، ولا توجد مكاسب دنيوية أخرى سيحصل عليها، ليس هو إلاّ حب الحسين (عليه السلام)، وقد لا يكون مفكِّرًا في الثواب أيضًا؛ وإنَّما العلاقة بينه وبين الحسين علاقة الحب.

هذه العلاقة القويّة التي بينه وبين الحسين (عليه السلام) هي التي تدفعه لأن يسقي الإمام الحسين (عليه السلام) بدموع عينيه بدلاً من الماء الذي لم يُسْقَه الإمام الحسين (عليه السلام).

٣. من الجوانب الرَّوحانية في حادثة كربلاء أيضًا: في هذه اللَّيلة كلّ أصحاب الحسين (عليه السلام) يعلمون أنَّهم غدا سيُقتلون، وغدًا هو الموت وعادةً فأيّ إنسان عندما يفهم أنَّه غدًا سيموت يبقى مضطربًا قلقًا غير مستقر، بينما هؤلاء كانوا مستبشرين وفرحين لأنَّهم سيفدُون مولاهم بأنفسهم، وقضوا ليلتهم كما ـ ذكر الأخ ـ بالتَّهليل والتَّكبير والتَّسبيح والتَّحميد والدُّعاء وتلاوة القرآن

والصلاة؛ يعني أنَّ كلّ حركتهم عبادة، وكان يوصي بعضهم بعضًا في أن لا يقصِّر بواجبه اتجاه الحسين.

هذا يكشف لنا عن عمق الإيمان الموجود في نفوس هؤلاء، ولو كان الإيمان ضعيفًا لضطربوا، فالإمام الحسين قال لهم: (**وإنّي قد أذنت لكم جميعًا، فانطلقوا في حلٍّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا اللّيل قد غشيكم فاتّخذوه [جملاً]، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي. فجزاكم الله جميعًا خيرًا، ثم تفرَّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرِّج الله، فإنَّ القوم يطلبوني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري**)[1]، فأبوا، لو كانوا ضعاف الإيمان فسيغتنمونها فرصة ويتركون الإمام الحسين لوحده؛ لأنّه هو المطلوب لبني أمية، لكن عمق الإيمان وتجذّر الإيمان في نفوس هؤلاء جعلهم يرفضون، ويبقون إلى أن يضحّوا هذه التَّضحية التي حفظت للإسلام كيانَه كما أشرت في أوَّل ليلة على ما أظن.

٤. جانب آخر من الجوانب الرَّوحانية في هذه المعركة: نحن نسمع من الخطباء وفي المقاتل ومن النّعاة أنَّ زينب عندما قُتل الحسين، أخذت تلطم وجهها وشقّت صدرها وإلى آخر ما يقال هناك.

الواقع ليس هكذا، طبعًا زينب إنسانة وتحزن وتبكي وتتألَّم، لكن هناك شيء هو أهمّ من الحزن وأهم من البكاء وأهم من الدُّموع؛ هو أنَّ الحسين قدَّم نفسه قربانًا للعقيدة وضحيّة لهذا الدِّين، زينب (عليها السلام) المفروض أن تسجِّل هذا، فعندما احتُزَّ رأس الحسين (عليه السلام) وابتعد القوم عنه، جاءت زينب بكلّ رباطة جأش وقلب ثابت وشقَّت الصفوف إلى مصرع الإمام الحسين، وإلى

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤: ٥٧.

المكان الذي وقع فيه الإمام الحسين، وجاءت إلى الجثمان الطَّاهر وأزالت ما عليه من رماح وكسر سيوف وحجارة، وقلبها لم يضطرب أبدًا، جلست ووضعت يديها تحت الجثمان الطاهر ورفعته وهي تقول: (**اللّهم تقبَّل هذا القربان.. اللّهم تقبَّل هذا القربان.. اللَّهم تقبَّل هذا القربان**).

لتُسجل أنَّ الإمام الحسين ضحَّى بنفسه قربانًا إلى الله وحفاظًا على دينه، وسجَّلت هذا ثم عادت إلى المخيَّم، وكان ما كان مما يذكره الخطباء وأرباب المقاتل.

# الظَّواهر الشِّعريّة

الشِّعر ساهم مساهمة كبيرة، سواء كان الشِّعر العربي أو الشِّعر باللغات الأخرى؛ الفارسية والتركية والألبانية والإنجليزية، ساهم مساهمة كبيرة في حادثة كربلاء، وفي النَّظم حول حادثة كربلاء، ولو جُمع الشِّعر الذي قيل في كربلاء فلن تجد حادثة في العالَم ـ من لدن أن وُجد العالَم على وجه هذه الأرض حتى الآن ـ قيل فيها من الشِّعر بالكمّية التي قيلت في الإمام الحسين؛ يعني مئات الألوف من القصائد التي قيلت في حادثة كربلاء.

الشاعر بعض الأحيان قد يكون بارعًا وعبقريًا في مجاله كالسَّيد حيدر الحلي (ت: ١٣٠٤هـ)؛ فكيف أنّ المصور الآن لما يكون بارعًا ومعه الكاميرا يلتقط الصورة الفنية التي لها معطيات ولها تأثير على الناس، السَّيد حيدر له من الشعر ـ وهكذا بعض الشعراء الآخرين ـ ما كان له تصوير جميل لموقف الإمام الحسين (عليه السلام)، يدعُنا ننظر للإمام الحسين بأنَّه بطل الكرامة ما ذُلّ في لحظة من اللَّحظات، لماذا؟ لأنَّه صاحب مبدأ، وصاحب المبدأ لن ينهار ولن يخور ولن يُذل يقول:

وسامته يركب إحدى اثنتين     وقد صرّت الحرب أسنانها
فإما يرى مذعنًا أو تموت     نفس أبى العز إذعانها
فقال لها اعتصمي بالإباء     فنفس الأبي وما زانها[1]

ثم يقول السَّيد حيدر:

كريم أبى شمّ الدنية أنفه     فأَشْممه شوك الوشيج المسدَّد

---

(١) ديوان السَّيد حيدر الحلّي ١: ٤٤.

وقال قفي يا نفس وقفة وارد حياض الردى لا وقفة المتردِّدِ
رأى أن ظهر الذّل أخشن مركبًا من الموت حيث الموت منه

ويقول أيضًا:

فتلقى الجموع فردا ولكن كل عضو في الروع منه جموع
زوّج السيف بالنفوس ولكن مهرها الموت والخضاب النجيع[٢]

يصوّر لنا إباء الحسين وكرامة الحسين وعزّة الحسين، التي وصلت إلى القمّة فيما يمكن أن يصل إليه إنسان كريم عزيز أبيّ، أيّ أنّه متيقّن أنّه على الحقّ وأنّه سيصل إلى الهدف الذي من أجله يضحّي.

ثم يلتقط ظاهرة أخرى تهم العسكريين بالدّرجة الأولى هم الذين يفهمونها يقول:

عفيرًا متى عاينْته الكماة يختطف الرّعب ألوانها
فما أجلت الحرب عن مثله صريعًا يجبّن شجعانها[٣]

يريد أن يقول؛ أنَّ الحسين (عليه السلام) لمّا سقط من على ظهر جواده إلى الأرض، وهو لا يزال حيًّا وكان يمكن للذين يريدون قتله لنيل الجائزة من الأمير أن يهجموا عليه ويقتلوه، لكن كانوا يهابونه، (عفيرًا متى عاينته الكماة)، الشّجعان إذا نظروا إليه يأخذهم الخوف والرّعدة ويتراجعون ويتهيّبون؛ لا يستطيعون القدوم على قتله إلاّ بعد الإلحاح الذي حصل.

هذا الجانب أيضًا ما وُجد عند شجاع من الشّجعان أو بطل من الأبطال على

---

(١) المصدر نفسه ١: ٣١.

(٢) المصدر نفسه: ١: ٣٦.

(٣) المصدر نفسه ١: ٤٤.

مدى التأريخ، فلم يُذكر إلاّ عن الحسين (عليه السلام) أنّه كان يولِّد الرّعب في قلوب الأبطال وفي قلوب الشّجعان وهو صريع معفّر بالتّراب، لمّا يقع الإنسان في التّراب ويكون معفّرًا ومثخنًا بالجراح من السهولة الهجوم عليه، لكن الحسين سُجِّلت هذه الظاهرة له، وسجّلها الشّعر له.

بعد أن قُتل الحسين (عليه السلام) سجّل الشّعراء أيضًا ظواهر ما كانت موجودة في غير الحسين (عليه السلام)، ويقول الحاج هاشم الكعبي (ت: ١٢٢١هـ) شاعر الثأر:

ومجرّح ما غيّـرت منـه القنـا حسنًا ولا أخلقن منه جديداً[1]

والشّيخ كاظم الأزري (ت: ١٢١١هـ) يقول:

قد غيَّر الطّعن منهم كلّ جارِحة إلاّ المكارم في أمن مِن الغِيَـرِ[2]

ماذا يريد أن يقول هذان الشاعران؟ إنّ الحسين (عليه السلام) جُرح ضربًا بالسيوف وبالرماح، وعادةً أيّ إنسان يُجرح بجروح كثيرة ويطعن بطعون كثيرة يتشوّه ويصبح منظره مشوّهًا وتتقزّز النفوس من النّظر إليه إلاّ الحسين (عليه السلام) بقي نورًا يشعّ، لم تُأثّر فيه الجراح، و(مجرح ما غيّرت منه القنا حسنًا)؛ فالجمال الذي كان يشعّ من جسم الحسين لم تؤثّر فيه السيوف، ما تشوّه أبدًا وبقي محبوبًا إلى النُفوس ومقرّبًا إلى النُفوس، بعد هذا بقي ثلاثة أيام ثم دُفن.

يأتي الشّريف الرضي (ت: ٤٠٦هـ) وهو من ذرّية الإمام الحسين (عليه السلام) يقول:

---

(١) السّيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ١٠: ٢٣٨.

(٢) ديوان الأرزي الكبير: ٣٠١.

لله مَلقى على الرَّمضاء غصَّ به      فم الرَّدى بين إقدام وتشمير[(١)]

ثم يقول:

تهابه الوحش أن تدنو لمصرعه      وقد أقام ثلاثًا غير مقبورِ[(٢)]

العادة أنّ الوحوش عندما ترى إنسانًا مقتولاً تعتبره فريسة، وتقدم على أن تأكله وتنهش من لحمه؛ إلاّ الحسين (عليه السلام) هابته الوحوش، فما استطاع وحش من الوحوش أن يقترب من جسد الحسين.

هذه ظواهر أحببت أن أذكرها، الآن وحتى أفسح المجال للإخوة الآخرين، قلت كما يقول أحد الشعراء المعاصرين:

هَتَفَتْ لـك الأمـلاك والعــ      ــلياء تصـفق باليــدين

ذهَبــتَ سِــفْرَ الحــقُّ مــن      دمك المخضب يـا حسين[(٣)]

---

(١) ديوان الشريف الرضي ١: ٥١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جزء من قيصدة للسيد عبّاس شبّر (ت: ١٣٩١هـ)، لاحظ: السيد جواد شبّر، أدب الطّف أو شعراء الحسين (عليه السلام): من القرن الأوّل الهجري حتى القرن الرّابع عشر ٢: ٢٧٦

# الفصل الخامس: الإمامان علي بن الحسين، وجعفر بن محمَّد عليهما السلام

الآثار المدوَّنة للإمام زين العابدين عليه السلام

مدرسة الإمام الصادق والحضارة الإسلامية: إسهامات في البناء

# الآثار المدوَّنة للإمام زين العابدين عليه السلام (*)

(*) يبدو أنّها أُلقيت سنة ١٤١٢هـ في الأحساء؛ لأنّه أشار إلى محاضرة (نهج البلاغة) والتي كانت في سنة ١٤١١هـ في حسينية المنتظر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطَّيبين الطاهرين.

لأجل أن أربط بين موضوع المحاضرة في المناسبة، ومحاضرة أظنّها كانت هنا في السَّنة الماضية تدور حول (نهج البلاغة)[1] **للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)**؛ ولأجل أن أربط بين الموضوعين ليأتيا حلقتين من سلسلة واحدة، سوف أتحدَّث معكم في هذه الأمسيّة عن **(الآثار المدوَّنة للإمام زين العابدين (عليه السلام))** ومن منطلق المسؤوليّة التي تُناط شرعًا بالإمام.

(١) لاحظ محاضرة (الآثار المدوّنة للإمام علي (عليه السلام): القسم الأوّل).

## منطلق مسؤوليات الإمامة

نحن نعتقد، وكذلك بقيَّة المسلمين يعتقدون بأنَّ خليفة الرسول لا بدَّ وأن يقوم بوظيفة الرسول باستثناء النّبوة.

كانت وظيفة الرَّسول (صلى الله عليه وآله): التَّعليم والتَّربية والقيادة، مضافًا إليها تبليغ الرِّسالة وهي من اختصاص الرَّسول (صلى الله عليه وآله)، فإذا استثنينا التَّبليغ الذي هو من خصائص الرَّسول يبقى لدينا في المسؤولية: التَّربية والتَّعليم والقيادة.

فوظيفة النبي (صلى الله عليه وآله) هي:

تعليم الأمّة الأحكام الشَّرعية، مما يرتبط بالعقيدة وبما يرتبط بالنِّظام.

ووظيفته أيضًا التَّربية وهي تعني هنا: تكوين شخصيات إسلامية، وشخصيات قيادية، وشخصيات تربوية، وشخصيات تعليميّة.

ومسؤولية القيادة هي: رعاية شؤون الأمّة اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا.

وكلّ هذه الأدوار قام بها النبي (صلى الله عليه وآله) على أفضل ما يُقام به من مسؤولية.

بعد النبي وامتدادًا لمسؤوليته ووظيفته تنتقل هذه الأدوار للإمام من بعده.

ونحن نعتقد بأنَّ الإمام من بعد الرسول هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم تتسلسل الإمامة في أبناء علي، كما هو معروف لديكم.

ومن هؤلاء الأئمة هو الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وفترة القيام بمسؤولية علي بن الحسين كإمام تبدأ من بعد وقعة الطف حتى وفاته؛ أي من سنة (٦١هـ) حتى سنة (٩٥هـ)، في هذه الفترة يتحمَّل هو مسؤولية الإمامة، هو

إمام من قبل هذه الفترة؛ ففي عقيدتنا هو إمام منذ الولادة، والنبي نبي منذ الولادة؛ لكن تحمّل المسؤولية تأتي للإمام اللاّحق بعد الإمام السَّابقة، فتَحَمُّل المسؤولية بالنِّسبة إلى الإمام علي بن الحسين تكون بعد الإمام الحسين، وكانت مسؤولية الإمامة بعد وقعة الطَّف.

## مسؤولية الإمامة وتأثرات الظرف التاريخي

### الأمويّون وتشديد الرّقابة على أئمة أهل البيت(عليهم السلام)

إنّ القيام بالمسؤولية يرتبط بواقع الظروف التي يعيش فيها الإمام، الظروف التأريخية التي كان يعيش فيها الإمام.

الإمام (عليه السلام) عاش في فترة عنف الاضطهاد السِّياسي من قِبل الأمويين لأهل البيت ولأتباع أهل البيت؛ وعندنا مؤشرات علميّة من خلال هذه الموشرات العلميّة نستطيع أن نفهم مدى ضغط الرَّقابة على أئمة أهل البيت وعلى أتباع أهل البيت.

والهدف من هذه الرَّقابة المشدَّدة على الإمام وعلى أتباع الإمام هو أن لا يُنشر فكر أهل البيت؛ فليس العداء عداءًا شخصيًا، فليس هناك عداء شخصي بين علي ومعاوية، وليس هناك عداء شخصي بين الحسن ومعاوية، وليس هناك عداء شخصي بين الحسين ويزيد، وإنّما هو صراع بين مبدأين، وصراع بين خطَّين متوازيين لا يلتقيان.

الأُمويون يدركون أنَّ انتشار فكر أهل البيت سوف يقوِّض المُلك العضوض لبني أمية؛ فلئلا ينتهي هذا المُلك وقفوا أمام فكر أهل البيت.

فكر أهل البيت يمثِّل الإسلام تمثيلاً كاملاً، ونحن نفهم وكلّ المسلمين يفهمون أنَّ الإسلام لا يرضى بالظلم، ولا يرضى بمخالفة الشَّريعة من قِبل الحاكم بأيِّ شكل من الأشكال، والأمويون كان لديهم شيء كثير من المخالفات؛ فنَشْر الفكر ـ فكر أهل البيت ـ يعني أنَّ الناس سيفهمون واقع الإسلام، وسيحاسِبون هؤلاء الحكَّام على ضوء هذا الواقع المفهوم للإسلام من خلال

مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فوقفوا أمام فكر أهل البيت؛ لئلا ينتشر بين المسلمين.

كان الأُمويون يضغطون على الأئمة لئلا يقوموا برسالتهم من التَّعليم والتَّربية، أمّا القيادة والسّلطة السّياسية فقد أُبعدوا بسبب تولِّي الأمويين على السُّلطة، فبقيت من رسالتهم مسؤولية التَّعليم ومسؤوليّة التَّربية.

المؤشر العلمي الذي أردت أن أطرحه هنا، يكشف لنا عن مدى شدَّة الرَّقابة من الأمويين على أئمة أهل البيت وعلى أتباعهم.

## كتب (الفهارس) و(الرجال)، إلماحة عامّة

هناك إحصائيات في كتب الفهارس وفي كتب الرجال يستفاد منها في هذا المجال، وسأوضّح لكم ماذا يُراد من كتب الفهارس وكتب الرجال، فهذه من المعلومات التي ينبغي أن تُفهم كثقافة عامّة وثقافة مذهبيّة أيضًا.

**كتب الفهارس**، هي كتب تتضمَّن ذكر أسماء الكتب المؤلَّفة من قِبل الناس، إمَّا من قِبل طبقة معيَّنة من الناس، وفئة معيَّنة من الناس، أو بشكل عامّ.

مثلاً: الكتب التي أُلِّفت من سنة كذا إلى سنة كذا؛ يُذكر اسم الكتاب ويُذكر اسم المؤلِّف، وقد تُضاف بعض الملاحظات على الكتاب، أو على المؤلِّف، هذه نسمّيها فهارس.

عندنا نحن الشِّيعة أقدم فهرست هو كتاب (الفهرست) **لشيخ الطائفة الطوسي** (ت: ٤٦٠هـ) كان في القرن الخامس الهجري، وأيضًا فهرست معاصره وهو **أبي العباس النجاشي** (ت: ٤٥٠هـ) وهو (فهرست أسماء مصنّفي الشِّيعة).

كان **الشَّيخ الطوسي** وكذلك **الشَّيخ النجاشي** يذكران الكتب والرَّسائل التي

أُلِّفت من قِبل الرّواة والعلماء من عصر أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عصرهما الذي يتوفيا فيه؛ يعني إلى القرن الخامس، وكلٌّ منهما ذكر الكتب التي استطاع أن يقف على عناوينها أو على ذكرٍ لها، فيذكر المؤلِّف ثم يوثِّق صحة نسبة الكتاب لمؤلِّفة عن طريق الرِّواية، وكان التَّوثيق قديمًا عن طريق الرِّواية.

بعد **الطوسي والنجاشي** جاء **الشَّيخ منتجب الدِّين ابن بابوية** (ت: ٥٨٥هـ) وأكمل المسيرة بكتابه (الفهرست) فسجَّل فيها ما أُلِّف من قِبل علماء الشِّيعة من أدباء شيعة وشعراء شيعة ومثقَّفي شيعة من وفاة الشَّيخ الطوسي إلى مئة سنة تقريبًا.

من بعده جاء **الشَّيخ ابن شهرآشوب** (ت: ٥٨٨هـ) فألَّف كتاب (معالم العلماء) تكملةً للكتب التي تقدّمت عليه.

وتواصل التَّأليف، وآخر مؤلَّف لكتب الشِّيعة هو (الذَّريعة إلى تصانيف الشِّيعة) **للشَّيخ آغا بزرك الطهراني** (ت: ١٣٨٩هـ)؛ حاول أن يوجِد إحصائية شبه كاملة ـ طبعًا لا نستطيع أن نقول كاملة؛ لأنَّه ليس من المتيسّر للإنسان أن يأتي على إحصائية كاملة في هذا المجال ـ لكن استطاع أن يأتي بما يشبه الإحصائية الكاملة في كتابه الذي بلغ ٢٥ مجلّدًا في طبعته الأخيرة.

والكتاب يقيَّم ـ مع الأسف ـ في أوربا وأمريكا والبلدان الرّوسية أكثر مما يقيَّم عندنا نحن الشِّيعة؛ فهم يُكبرون **الشَّيخ آغا بزرك الطهراني** جدًا، ويمكن أن تُلقي نظرة على كتاب (تأريخ الأدب العربي) **كارل بروكلمان** (ت: ١٩٥٦م) الألماني، والكتاب بالألمانية وتُرجم قسم من الكتاب إلى اللغة العربية، وترى كيف يرجع إلى (الذَّريعة)، وكيف يُكبر صاحب الذَّريعة، ويمكن أن نرجع أيضًا إلى (تاريخ التُّراث العربي) **للدكتور فؤاد سزگين**، وقد طُبع مؤخَّرًا في

الطبعة الأخيرة في الرياض، وكان من أهم مصادره (الذَّريعة).

كتاب (الذَّريعة) يُعتبر من الكتب العالميّة، فانتشر في كلّ مكتبات العالَم سواء مكتبات الجامعات وغير الجامعات، وأصبح مصدرًا من مصادر التّراث الإسلامي.

يُعدّ فهرست الشَّيخ الطوسي هو من أقدم الفهارس، فالشِّيعة أقدم من ألَّف في الفهارس (فهارس الكتب)، والسُّنة أيضًا يعترفون بهذا ويمكن أن ترجعوا إلى (مجلة الدَّارة) تصدر في الرياض من دارة الملك عبد العزيز في أحد أعدادها في موضوع تحدَّث عن الفهارس (فهارس الكتب)، ويذكر أنَّ الشَّيخ الطوسي أقدم من ألَّف في الفهارس.

طبعًا هناك أسبق من الطوسي وهو ابن النديم (ت: ٤٣٨هـ) هو شيعي، ولكن لم يقصر تأليفه على الشِّيعة؛ إنَّما ذكر إلى جانب الشِّيعة السُّنة، وإلى جانب المسلمين غير المسلمين؛ يعني كان الفهرست عامًّا.

هذا في جانب الفهارس.

في جانب (الرجال)، ويراد بـ(الرجال): الرّواة الذين يروون حديث أهل البيت، هؤلاء اصطُلح عليهم في لغة الحديث بالرجال، قد تجد نساءًا لكن الاصطلاح صار هكذا (الرجال).

هذه الكتب تَذكر الرّواة، تقول مثلاً: فلان روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتعطي نبذة عن حياته في الحدود التي يمكن أن يُتعرَّف عليها، وهذا الرَّاوي روى عن الإمام الحسين، وهذا الرَّاوي روى عن الإمام الصادق ويعطي توثيقًا له، وإذا كان هناك جرح بالنِّسبة له يُذكر الجرح.

كتب الرجال يُعتمد عليها في وثاقة الرَّاوي وعدم وثقاته، فكيف نفهم أنَّ هذا

الرَّاوي موثوق وروايته صحيحة؟ عن طريق كتب الرجال، فنرجع إلى هذه الكتب فتعرّفنا عليها.

وأقدم كتب الرجال التي تُترجم للرّواة عندنا هو (كتاب الكشي)؛ وهذا الكتاب لم يصل إلينا بكامله، وإنَّما وصل إلينا ما انتخبه **الشَّيخ الطوسي**، وكذلك فيما بعد **السَّيد ابن طاووس** (ت: ٦٧٣هـ) اختار من هذا الكتاب، ونُشر عن طريق (الاختيار).

وأيضًا من أقدم الكتب (رجال البرقي).

وبعد **الشَّيخ الكشي** (القرن ٤) يأتي كتاب (الرجال) **للشَّيخ الطوسي**، وهو أيضًا من أقدم من أَلَّف في الرجال، فقسَّم كتابه إلى الرّواة عن **رسول الله**، الرّواة عن **أمير المؤمنين**، الرّواة عن **الحسن** عن **الحسين** إلى **الإمام العسكري**، طبعًا المهدي لم يكن له رواة مباشرين، وإنَّما كانت التَّوقيعات تصدر منه عن طريق وكلائه.

وتوالت كتب الرجال بعد (رجال الشَّيخ الطوسي) (رجال العلامة الحلي) و(رجال ابن داوود) و(رجال بحر العلوم)؛ وهي تعدّ بالعشرات عند الشِّيعة.

وأوسع كتاب رجال عند الشِّيعة قد يبلغ ٤٥ مجلدًا ـ ولا يوجد موسوعة رجالية بهذا العدد ـ هو (تنقيح المقال) **للشَّيخ المامقاني** (ت: ١٣٥١هـ) في القرن ١٤ الهجري.

## تحديد شدّة الرّقابة من خلال المؤشّر العلمي

بعد أن أخذنا فكرة عن كتب الفهارس وكتب الرجال، أعود إلى الموضوع وهو المؤشّر العلمي الذي يعطينا عن مدى شدَّة الرَّقابة على أهل البيت.

لورجعنا إلى كتاب (رجال الشَّيخ الطوسي) الكتاب مطبوع أكثر من مرّة ومتداول، ورجعنا إلى إحصائية الشَّيخ الطوسي فهو يذكر رواة كل إمام يضع رقم واحد ويذكر فلان، رقم اثنين فلان، رقم ثلاثة فلان، لو رجعنا إلى هذه الأرقام وجمعنا هذه الأرقام واستخرجنا إحصائية لكلّ إمام؛ كم راوي روى عن الإمام؟ ومعنى روى عن الإمام يعني: كم شيعيًا اتَّصل بالإمام، ودخل على الإمام المسجد أو دخل على الإمام في بيته وسمع حديثه وروى عنه؟ فإذا كانت هناك رقابة سيكون من الصّعوبة الوصول إلى الإمام؛ يعني عدد الرواة يكون قليلاً؛ لأنَّ الرّاوي يخاطر بنفسه أمام الضَّغط السّياسي والرَّقابة، وإذا كانت لا توجد رقابة وكان هناك حرّية فالرّواة يكثرون.

في إحصائية الشَّيخ الطوسي يذكر مثلاً الرواة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ٤٤٨ راويًا[١]، ومتى مكان هذا؟ أيّام تولِّي الإمام للسُّلطة، فعندما تولَّى السُّلطه وهو رأس السُّلطة لا تكون رقابة عليه، ومن السهولة الوصول إليه في المسجد أو في البيت وفي أيّ مكان ليُسمع حديثه.

الرواة عن الامام الحسن ٤٠ راويًا فقط[٢]؛ لأنَّ الإمام الحسن أكثر من رُوقب من الأئمة، وكانت الرّقابة عليه مشدَّدة جدًّا؛ يعني كان يخرج إلى المسجد ليزور جدَّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويصلّي ويعود، في البيت مراقب، وعند خروجه إلى المسجد كذلك، وهؤلاء الرّواة الأربعون ربما كانوا في الكوفة، وعندما تولَّى السُّلطة بعد أبيه في هذه الفترة القصيرة والأشهر المعدودة، معنى

(١) الشيخ الطوسي، رجال الطوسي: ٥٧ ـ ٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ٩٣ ـ ٩٦.

هذا أنَّ الضغط السَّياسي شديد جدًا؛ لذا العطاء الفكري عن الإمام الحسن (عليه السلام) عطاء قليل بالنِّسبة إلى العطاء من الأئمة الآخرين.

الرواة عن الإمام الحسين أكثر إلى حدّ ما، فعددهم ٨٩ راويًا[١] وهذا يعني كان هناك انفراجًا إلى حدٍّ ما بالنِّسبة إلى الحسين (عليه السلام).

بالنسبة إلى الرواة عن الإمام زين العابدين ـ وهو موضوعنا الآن ـ ١٧٠ راويًا[٢]؛ يعني أنَّه كان هناك انفراجًا أكثر بالنِّسبة له.

كيف حصل هذا الانفراج؟

(...أنَّ بني أمية بعد قتل الحسين (عليه السلام) لما رأوا نقمة الناس عليهم كفوا عن المجاهرة بظلم أهل البيت شيئًا ما، ففُسح لهم المجال في نشر علومهم، وقد أمنوا أيضًا بعض الأمن من مطالبتهم بالخلافة والخروج عليهم، ويدلّ على ذلك أيضًا أنَّ أهل المدينة وفدوا على يزيد بن معاوية بعد ما بُويع بالخلافة وقتل الحسين فبالغ في إكرامهم؛ لكنَّهم لَّما رأوا فسقه وسمعوا عن قبيح أعماله مقتوه، ولما عادوا إلى المدينة قالوا جئناكم من عند (أكفر الناس) وخرجوا عليه وأخرجوا بني أمية من المدينة، فكانت (وقعة الحَرَّة) التي بايع مسلم بن عقبة أهل المدينة على أنَّهم عبيد رقّ ليزيد بن معاوية إلاَّ علي بن الحسين فإنَّه بايعه على أنَّه أخوه وابن عمَّه بوصية من يزيد، فلذلك كثُرت تلاميذ زين العابدين والآخذون عنه في أنواع العلوم...)[٣]

(١) المصدر نفسه: ٩٩ ـ ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٩ ـ ١٢٠.

(٣) السَّيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ١: ٩٨.

وهذه هي الانفراجة التي جاءت للإمام السجاد.

فأخذ يخرج من المسجد ويجلس على سارية من سواري المسجد، ويتحلَّق الناس حوله ويروي أحاديث جدِّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويدخل إلى بيته بعض الشِّيعة ويروون عنه، هذا مع وجود الرِّقابة؛ فلم يوجد مجال لأكثر من ذلك.

الرّوايات عن الإمام الصادق (ت: ١٤٨هـ) تجاوزت الآلاف؛ لأنّه عاش فترة الانتقال، وفترة الانتقال تكون فترة ضعف الدَّولتين: الدَّولة المبادة والدَّولة الجديدة، بينما الإمام علي بن الحسين عاش في قوَّة عنف الدَّولة الأُمويّة، ففي نفس الفترة التي عاشها الإمام السجاد كان هناك الحجاج بن يوسف الثقفي (ت: ٩٥هـ) وكان هو والي الأُمويين في العراق، وكان تركّز الشِّيعة في العراق وفي الكوفة بالذَّات فالبيوتات الشِّيعية كانت كثيرة ومعروفة، والحجاج ضغط ضغطًا قويًّا على الشِّيعة، هوكان في في مدينة واسط لكن الكوفة كانت تحت سيطرته، أمّا الشِّيعة في المدينة فقلائل.

ولّما نرجع إلى تأريخ الحجاج نجده كان طاغية، وهو ضرب رقمًا قياسيًّا في الضغط، مات بعد أن قتل ١٢٠ ألفًا في ذلك الوقت كثير جداً ما كانت النفوس بالملايين، ولا يوجد فيهم من يستحق القتل كلّه كان قتلاً سياسيًا، مات وفي سجنه ٥٠ ألف رجالاً و٣٠ ألف امرأة[١]، فحتى الدّول التي عُرفت بالعُنف السِّياسي وبالشَّراسة وبالشِّدة لا أظن قد بلغ عدد النساء في سجونها ٣٠ ألفاً، هذا النَّوع من الضعط الذي كانت تضغط به بنو أُمية على الشِّيعة، وحتى على

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف: ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

الصحابة كانوا يضغطون إلاّ الذي يسير معهم.

لماذا هذا الضغط الشديد على الشِّيعة في الكوفة؟ حتى لا يتحرَّك الشِّيعة من الكوفة ويكونوا على اتِّصال مستمر بالإمام زين العابدين (عليه السلام)، ويقوموا بنشر فكر أهل البيت.

## (الصَّحيفة السَّجاديّة) وسيلة لنشر الفكر

ماذا يعمل الإمام زين العابدين بعد هذا الضغط السِّياسي وهذه الرَّقابة المشدَّدة، وهذا العُنف في المعاملة من الرَّاعي على الرَّعية، ماذا يعمل حتى يقوم بمسؤوليته كإمام؟

لم يرَ أمامه إلاّ أن يستعمل وسيلة الدعاء؛ فرأى أنَّ وسيلة الدعاء هي الوسيلة التي يمكن أن توصل فكر أهل البيت إلى الشِّيعة. فأنا أُريد أن أُوصل شيئًا إليك لكن أخشى من السُّلطة أن تعرف هذا الشَّيء، أضع هذا الشَّيء داخل شيء آخر مسموح به؛ نفترض أنَّ جزء من كتاب أو ورقة ممنوعة، يُجعلها داخل الرّز وهو غير ممنوع، أو في وسط كيلو من الشَّعير، وهو غير ممنوع.

الإمام رأى أنَّ الدعاء لا يُمنع؛ لأنَّ الدعاء لا يوجد فيه شيء يُخشى منه، فأنت تطلب من الله العافية وتطلب من الله العفو وتطلب من الله الرزق، وهذا لا يتعارض مع سياسة الدَّولة؛ فاتَّخَذَ من الدعاء وسيلة لنشر الفكر.

كانت أدعيته التي جُمعت من قِبله (عليه السلام) في صحيفة وكتاب سُمِّيت (الصَّحفية السَّجادية)، كانت تُعرف بالصَّحيفة في أيام السَّجاد (عليه السلام)، ثم سُمِّيت بالصَّحيفة السَّجاديّة، والصَّحيفة الكاملة.

### ١ . شروح الصَّحيفة السَّجاديّة:

هذه الصَّحيفة فيها أربعة وخمسون دعاءًا، وشُرحت هذه الصَّحيفة في أكثر من ستين شرحًا، ذُكرت في كتاب (الذَّريعة)[1] تحت عناوين شروح الصَّحيفة

(١) لاحظ: ١٣: ٣٤٥_٣٥٩.

السَّجاديّة، من هذه الشّروح:

**ـ رياض السَّالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين، للسَّيد علي الخان المدني** (ت: ١١٢٠هـ)؛ وهو شرح موسّع لكنّه شرح لغوي، ويهتم بتوضيح معنى الكلمة.

**ـ شرح الصَّحيفة، للفيض الكاشاني** (ت: ١٠٩١هـ) صاحب كتاب (الوافي) أيضًا مطبوع.

**ـ شرح الصَّحيفة، للمحقّق الدَّاماد** (ت: ١٠٤٠هـ) وهو من أكابر فلاسفة الشِّيعة، أيضًا هذا الشّرح مطبوع.

## ٢. محتويات الصَّحيفة السَّجاديّة:

لو ألقينا نظرة على هذه الأدعية سنرى أنّ هذه الأدعية تحمل فكرًا وهو الفكر الإسلامي الذي نادى به أهل البيت، لا أقول كلّه لأنَّ الدعاء لا يتحمَّل ذلك، ولكن كثير من هذا الفكر موجود في أدعيتها، مثلاً: (دعاء مكارم الأخلاق) فيه الشَّيء الكثير، (دعاء الإمام لأهل الثُّغور) هو دعاء سياسي وفيه فكر سياسي، (دعاء الإمام في الصَّباح والمساء) هذا تجد فيه كلّ ما يرتبط بسلوك الإنسان من الصباح إلى المساء، من يقضة الإنسان وما يرتبط الإنسان، (دعاؤه في الصَّلاة على محمَّد وآل محمَّد) في هذا الدعاء يبيِّن حقّ أهل البيت وكيف اغتُصب هذا الحق من خلال الدعاء، وهكذا بقية الأدعية.

## ٣. نُسخ الصَّحيفة السَّجاديّة:

كان للصَّحيفة السَّجاديّة في أيام الإمام (عليه السلام) نسختان، نسخة

أودعها عند ابنه الباقر (ت: ١١٤هـ)، ونسخة أودعها عند ابنه زيد (ت: ١٢٢هـ) صاحب الثَّورة المعروفة.

النُّسخة التي كان عند الإمام الباقر تداولها ابناء الإمام من الإمام الصادق ومَن بعده من الأئمة (عليهم السلام)، وانتشرت بين الشِّيعة عن طريق الأئمة من ذرية الإمام الباقر.

والنُّسخة التي كانت عند الإمام زيد أعطاها إلى ابنه يحيى؛ لأنَّه خشي عليها مما سيجري عليه كما أخبر الإمام الصادق (عليه السلام) عن ثورته والتي ستنتهي باستشهاده[1]، فقد قُتل في الكوفة في المعركة مع الأُموين، وبعد أن قُتل صُلب في جذع نخله، وبعد هذا حُرق جثمانه.

وهذه النُّسخة التي كانت عند ابنه يحيى والذي قام بثورة أيضًا في الجوزجان ـ فيما يُسمَّى بالاتحاد السوفيتي ـ فقد كان هناك في منطقة ما وراء النهر بعض الشِّيعة.

يقول متوكِّل بن هارون لقيت يحيى بن زيد بن علي (عليه السلام) وهو متوجِّه إلى خراسان، فسلمت عليه، فقال لي: (من أين أقبلت؟)

قلتُ: من الحج.

فسألني عن أهله وبني عمّه بالمدينة، وأحفى [أخفى] السّؤال عن جعفر بن محمَّد (عليه السلام)، فأخبرته بخبره وخبرهم، وحزنهم على أبيه زيد بن علي (عليه السلام)...

قال[يحيى]: (فهل سمعته يذكر شيئًا من أمري؟)

---

(١) الشَّيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ١: ٢٢٥.

قلتُ: نعم.

قال: (بم ذكرني، خَبِّرني؟).

قلت: جعلتُ فداك ما أحب أن أستقبلك بما سمعته منه.

فقال: (أبالموت تخوّفني؟ هاتِ ما سمعتَه).

فقلت: سمعته يقول: إنَّك تُقتل وتُصلب كما قُتل أبوك وصُلب...

...ثم دعا [يحيى] بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة، فنظر إلى الخاتم وقبَّله وبكى، ثم فضَّه وفتح القُفل، ثم نشر الصَّحيفة ووضعها على عينه، وأمرَّها على وجهه، وقال: (والله يا متوكل لولا ما ذَكرتَ من قول ابن عمّي إنَّني أُقتل وأُصلب لما دفعتُها إليك، ولَكنتُ بها ضنينًا؛ ولكنّي أعلم أنَّ قوله حقّ، أخذه عن آبائه، وأنَّه سَيَصُحّ، فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أُميَّة فيكتموه ويدَّخروه في خزائنهم لأنفسهم، فاقْبَضها واكفنيها وتربَّص بها، فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاضٍ، فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابني عمّي محمَّد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي (عليهما السلام) فإنَّهما القائمان في هذا الأمر بعدي)[1].

وبقيت الصَّحيفة عندهم، وانتشرت عن طريقهم.

## ٤ . عناية الشِّيعة بالصَّحيفة السَّجاديّة:

تسالم الشِّيعة على صحَّة الصَّحيفة[2]، واعتنوا بها اعتناءًا شديدًا ليس كالشِّيعة

(١) لاحظ: أوّل الصَّحيفة السَّجاديّة.

(٢) آغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٥: ١٨.

الآن الذين يعتنون بـ(ضياء الصَّالحين) وكاتبه شخص عامّي، ويعتنون بـ(مفاتيح الجنان) ومؤلِّفه عالِمٌ ورجل خيِّر، فيه مرويات صحيحية لكن فيه مرويات ضعيفه ليست بصحيحة.

كان من الاعتناء بها قديما أن يضعونها في سجادة الصلاة، ويقرأونها أدعيتها بعد الصلوت الخمس (الصبح، الظهر، العصر، المغرب، العشاء)، ويحفظون أدعيتها، وكانت تُخطّ وتُزخرف بماء الذهب، وإلى الآن في مكتبات العالَم توجد نُسخ منها تعتبر تُحف نادرة، الآن مع الآسف فقدت هذه العناية.

ينبغى أن نعود إلى (الصَّحيفة السَّجاديّة) فنقرأ أدعيتها لأمرين:

١. لأنّها صحيفة منقولة بالتَّواتر عن الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وعلماؤنا يهتمّون اهتمامًا كبيرًا بروايتها خاصَّة أصحاب الإجازات[1]، فممَّا يجيزونه في الرّواية هي رواية (الصَّحيفة السَّجاديّة) لأهميتها عند الشِّيعة، ونتيجة لذلك رُويت بالتَّواتر فلا يوجد شكّ في أنَّها صادرة عن الإمام، لهذا ينبغي أن نهتم بأمر (الصَّحيفة السَّجاديّة).

٢. الاهتمام بصاحب الأدعية في هذه الصَّحيفة وهو زين العابدين (عليه السلام)، انَّما دعى بهذه الأدعية لا نفسه، فهو إنسان معصوم ومُخلِص في عبادته لله ومقرب عند الله، إنَّما أعطانا هذه الأدعية لنستفيد منها فنتقرَّب بها إلى الله، والمفروض أن نعود إليها حتى نكون عمليين في هذا الشيء.

---

(١) إجازة الرّواية: هي شهادة يعطيها العالِم إلى شخص آخر يطلب منه أن يجيزه في رواية الحديث، فيكتب له إجازة ويذكر له الكتب التي يجيزه في روايتها. (منه)

## ٥. استدراكات على الصَّحيفة السَّجاديّة:

الصحيفة المعروفة الآن هي (الصَّحيفة السَّجادية الكاملة) وهي التي تحدَّثنا عنها، والتي تحتوي على ٥٤ دعاءًا وهي الأدعية التي كانت في النّسخة الموجودة عند الإمام الباقر والنسخة الموجودة عن الشهيد زيد وتناقلها الشِّيعة عن هذين الطريقين.

لكن هناك أدعية للإمام زين العابدين غير مذكورة في هذه الصَّحيفة، حاول بعض علمائنا استدراكها منهم:

١. **الصّحيفة السّجاديّة الثانية**: للشَّيخ الحرّ العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، من علمائنا المتأخرين ومن علماء الحديث وجمع أحاديث الأحكام (الأحاديث الفقهية) في كتب أسماه (وسائل الشِّيعة)، هذا الكتاب يرجع اليه المجتهدون في معرفة الأحاديث المروية عن أهل البيت لاستفادة الأحكام من هذه الأحاديث.

هذا الرجل قام باستدراك بعض الأحاديث، جمعها في صحيفة أسماها (الصَّحيفة الثانية)، لم يجمع بين الصَّحيفة الأولى والثانية وإنَّما جمع ما عنده من أدعية مروّية عن الإمام زين العابدين موجودة في كتب أخرى غير الصَّحيفة الكاملة التي تحدثنا عنها.

٢. **الصّحيفة السّجاديّة الثَّالثة**: جاء من بعده عالِم آخر من علمائنا هو الميرزا عبد الله الأفندي (ت: ١١٣٠هـ) صاحب كتاب (رياض العلماء) من كتب التَّراجم المهمة عند المسلمين والعرب، يرجع إليه السُّنة والشِّيعة وحتى غير المسلمين ينقلون عنه، كان مخطوطًا إلى فترة قريبة وطُبع الآن وانتشر في العالَم[1]،

(١) طُبع سنة ١٤٠١هـ بتحقيق السَّيد أحمد الحسيني الأشكوري، وبتقديم السَّيد المرعشي النَّجفي.

خاصَّة العالَم الغربي.

هذا الرجل استدرك على الأحاديث التي لم يستطع أن يصل إليها الحر العاملي، استطاع أن يصل إليها من المخطوطات.

**٣. الصّحيفة السّجاديّة الرّابعة:** وجاء من بعده الميرزا حسين النوري (ت: ١٣٢٠هـ)، صاحب (مستدرك الوسائل) الذي جمع فيه الأحاديث التي لم يذكرها الحر العاملي في كتابه (الوسائل) وأسماه (مستدرك الوسائل)، طُبع مؤخّرًا في أكثر من عشرين مجلدًا.

جمع في الصّحيفة الرّابعة من الأحاديث التي فاتت الحر العاملي وفاتت الميرزا عبدالله الأفندي وأسماها (الصَّحيفة الرّابعة).

**٤. الصّحيفة السّجاديّة الخامسة:** جاء من بعد هؤلاء السَّيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ)، صاحب كتاب (أعيان الشِّيعة) الكتاب المعروف الذي يقع في حوالي خمسين مجلدًا، يترجم فيه لرجالات الشِّيعة من علماء وأدباء وشعراء وأطباء ومهندسين ومثقفين، وهو أوسع موسوعة تراجم عند المسلمين، فلا توجد موسوعة تراجم بحجم (أعيان الشِّيعة).

هذا جمع كلّ الأحاديث التي تُروى عن الإمام زين العابدين، وجاء بالصُّحف السَّابقة كلّها وضمَّها إليها وأصبح المجموع مئة واثنين ثمانين دعاءًا، وهذه الصَّحيفة الخامسة هي أوسع الصُّحف.

(الصَّحيفة السَّجاديّة الأولى) التي تحدَّثنا عنها وهي الصَّحيفة الكاملة تُرجمت إلى اللغة الفارسية، وأخيرا تُرجمت إلى اللغة الإنجليزية، وهناك ترجمات إلى لغات أخرى موجودة الآن.

هذا أثر من الآثار التي تركها الإمام زين العابدين (عليه السلام).

## (رسالة الحقوق) وسيلة أخرى لنشر الفكر

كتاب آخر للإمام زين العابدين اسمه (رسالة الحقوق)، أيضًا اتَّخذ من هذه الرِّسالة وسيلة لإيصال فكر أهل البيت إلى الشِّيعة، كما اتَّخذ الدعاء وسيلة لإيصال فكر أهل البيت إلى الشِّيعة.

وعَنْوَنَها بـ(رسالة الحقوق) وهي تشتمل على خمسين حقًّا، يبدأ بحقّ الله وبذكر (حقّ الله) وينتهي إلى (حقّ أهل الذِّمّة).

هذه الرِّسالة كأنَّها بنود قانونيّة تمامًا، كما أنّ هناك حقوق وواجبات في القانون، هذه الرّسالة تذكر بنود قانونيّة كيف تتعامل مع الله؟ يجب عليك كذا وكذا، كيف تتعامل مع صديقك؟ يجب عليك أن تلتزم بهذه القوانين كذا وكذا، كيف تتعامل مع جارك؟ كيف تتعامل مع أبيك؟ كيف تتعامل مع أمّك؟

توضِّح كيفيّة تعامل الإنسان مع حقوق مَن يتعامل معه من الله إلى آخر مَن يتعامل معه.

هذه الرِّسالة أيضًا توجد في كتب الشِّيعة:

- مروية في كتاب (الخصال)[1] للشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ) من أعلام علماء الشِّيعة.

- وفي كتاب (تُحف العقول)[2] لابن شعبة الحراني (ت: ق٤) من علماء الشِّيعة المعروفين.

---

(١) الخصال: ٥٦٤ وما بعدها؛ ولاحظ أيضًا: كتاب من لا يحضره الفقيه ٢: ٦١٨، رقم (٣٢١٤)، والأمالي: ٤٥١ وما بعدها، المجلس (التاسع والخمسون).

(٢) تحف العقول عن آل الرسول: ٢٥٥ وما بعدها.

ـ وأوردها السَّيد محسن الأمين (ت: ١٣٧١هـ) في كتابه (أعيان الشِّيعة)[١].

بعد هذا طُبعت مستقلة في بغداد سنة (١٩٥٠م) بتحقيق عبد الهادي المختار، استخرج الرِّسالة من الكتب المطبوعة الموجودة ضمنها، وحقَّقها وعلَّق عليها وقدَّم لها مقدّمة جيِّدة، وطُبعت ضمن سلسلة كانت تصدر باسم (سلسلة حديث الشهر) رقم (٦)[٢].

---

(١) أعيان الشيعة ١: ٦٣٨.

(٢) مهم أن تأخذو فكرة عن هذه النوع من الإصادارات، أنا أذكر هذه الأشياء لأنّ هذه تأريخ ما لم يدوِّنه التأريخ، مع الأسف لم يكتب عن هذه الفترات شيء.

كانت تصدر في مصر كُتب صغيرة سريعة التَّناول وسهلة الهضم، تُعطي ثقافة مبسَّطة منها: (سلسلة إقرأ) صدر منها أكثر من مئتين كتيِّب صغير في موضوعات مختلفة، منها مثلاً (سلسلة المكتبة الثَّقافية) وكانت تصدر في مصر أيضًا، (سلسلة كتابي)، (سلسلة الكتاب الذَّهبي) وسلاسل أخرى وكلّها كتيبات صغيرة تُعطي ثقافة مبسَّطة بسهولة يفهمها الإنسان، والغاية منها نشر الثَّقافة العامَّة بين أبناء البلاد العربية.

وهذه السَّلاسل التي كانت تصدر ما كانت تُعنى بفكر أهل البيت ولا بالشِّيعة ولا بما يرتبط بالشِّيعة، فأراد الشِّيعة أن يُوجدوا سلاسل غيرها، فكانت هناك (سلسلة حديث الشهر) ففي كلّ شهر يصدر منها كتابًا، صدر منها على ما أتذكر: (خديجة أم المؤمنين) للشَّيخ عبدالله العلائلي، صدر منها (أم سلمة) لزكي بيضون، (فاطمة الزهراء) للسَّيد محمَّد جمال هاشمي، (شاعر العقيدة: السَّيد الحميري) للسَّيد محمَّد تقي الحكيم، (الأخلاق عند الإمام الصادق) للشَّيخ محمد أمين زين الدِّين، (أباة الضَّيم) للشَّيخ جعفر النَّقدي، (المختار من كتاب الأغاني) للفقيه المرجع الشَّيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، وهناك الكثير ولكن لا أتذكرها الآن. (منه)

الحقيقة أنَّ هذه السَّلسلة قامت بدور كبير في إعطاء الثَّقافة سهلة التناول مثل الطعام الذي يأكله الإنسان ويسهل هضمه هذه السلاسل هكذا، تعطي ثقافة تُفهم بسهولة وتُهضم بسهولة، هذه كانت تصدر في الكاظمية، وفي كربلاء صدرت (سلسلة ينابيع الثَّقافة ⇐

أوّل ما طبعت (رسالة الحقوق) مستقلّة في هذه السلسلة، ثم قام بشرحها أحد خطبائنا وهو السَّيد حسن القبانجي (ت: ١٩٩١م) شيخ كبير وشاعر معروف، واستعان بجملة من الأطباء لشرحها لأنَّ فيها حقوق مجموعة من الأعضاء؛ حقّ لسانك وحقّ عينك وحقّ يدك وحقّ رجلك، شاركوا معه في شرح هذه الرِّسالة.

الإمام زين العابدين ترك لنا غير هذين الكتابين أحاديث فيها أحكام وفيها عقيدة، وفيها وصايا ومواعظ وأمثال وعبر، وتوجد هذه الأحاديث في الكتب الأربعة المعروفة(١).

هذا ما أردت أن أقوله عن الآثار المدوَّنة للإمام زين العابدين (عليه السلام).

والحمد لله ربِّ العالمين.

---

الإسلامية)، وفي النجف صدرت أيضًا أكثر من سلسلة. (منه)

(١) الكتب الأربعة الأولى لأحاديث أهل البيت هي: (الكافي) للكليني وهو على قسمين، القسم الأول: في أصول الدِّين، والقسم الثاني: في فروع الدِّين (الأحكام الفقهية)، وكتاب (التَّهذيب) للشَّيخ الطوسي، وهذا كلّه في فروع الدِّين، وكتاب (الاستبصار) للشَّيخ الطوسي، وأيضًا في فروع الدِّين، وكتاب (من لا يحضره الفقيه) للشَّيخ الصدوق، وأيضًا في فروع الدِّين.

بعد هذا جاءت الكتب الأربعة المتأخرة: كتاب (البحار) وهو أوسع كتاب في الأحاديث للشَّيخ لمجلسي وهو يُعتبر أوسع موسوعة أحاديث ١١٠ مجلدات، وكتاب (الوافي) للفيض الكاشاني الذي جَمَعَ الكتب الأربعة كلّها في كتاب واحد، وكتاب (الوسائل) للشَّيخ الحر العاملي، و(مستدرك الوسائل) للشَّيخ حسين النوري.

إذًا هذه الكتب الثمانية هي التي تجمع أحاديث الشِّيعة، الآن في إيران يُوضع كتاب اسمه (جامع أحاديث الشِّيعة) يحوي جميع أحاديث الشِّيعة فهو موسوعة الأحاديث الشِّيعية، والآن هناك عمل جاد لإنزال الأحاديث في الكمبيوتر عن طريق (سكانر) ليسهل الرجوع إليها للباحثين وللعلماء وللمراجعين. (منه)

الإمام جعفر بن محمَّد (١)

# مدرسة الإمام الصادق والحضارة الإسلامية

# إسهامات في البناء

## (المدرسة)، المعنى اللّغوي والتَّطور الدِّلالي

أيدري بناة المجد إذ يرفعونه　　بأنّك كنت الباني المتقدّما
تؤدّي على مرِّ العصور رسالةً　　كانت أعزَّ على هذي الحياة وأكرما
فهل كان منك النيّران تعلّما　　هداية هذا الخلق أم كنت منهما[1]

موضوع محاضرتنا لهذه الأمسيّة: مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) وهي من أقدم المدارس الإسلامية، ومن أوسع المدارس الإسلامية، ومن أكثر المدارس الإسلامية عطاءًا ونتاجًا.

وكفائدة وتمهيد للموضوع نحاول أن نعرف معنى (المدرسة)، ماذا يُراد بكلمة مدرسة؟

كلمة (مدرسة) في اللغة العربية كانت تُستعمل قديمًا ويراد بها: البناء الذي يُعدّ للتَّعليم والتَّدريس ـ كما هو موجود الآن ـ المدرسة الإبتدائية أو مدرسة فلان الثَّانوية هي بناء فيه غُرف تُعدّ للدِّراسة والإدارة.

بهذا المعنى كانت تستعمل كلمة (مدرسة) قديمًا.

حديثا أُضيف إليها معنى آخر، وجاء نتيجة التَّرجمة من الإنجليزية للعربية؛ فكلمة (School) بالإنجليزية تعني معنيين: المبنى الذي يُعدّ للتَّدريس والتَّعليم، و(المذهب)؛ ويراد به الطَّريقة في التَّفكير، وطريقة البحث، وطريقة التَّفكير والطَّريقة في إعطاء الآراء، وهذا الذي يُسمَّى في اللغة العربية (المذهب).

لكن باللغة الإنجليزية كلمة (School) تستعمل للمبنى وللمذهب (الطَّريقة)، وإذا أردنا أن نُترجم هذه الكلمة في العلوم الإنسانية لأنها أكثر ما

---

(١) للشاعر النجفي صالح مهدي الجعفري آل كاشف الغطاء (ت: ١٩٧٩م).

تستخدم هذه الكلمة في العلوم الإنسانية، في الفلسفات وعلم التَّربية وعلم الاجتماع وعلم النَّفس، المفروض عندما نريد ترجمة هذه العلوم فإن أُريد المبنى من كلمة (School) في اللغة الإنجليزية يعرّبها أو يُترجمها إلى (مدرسة)، وإذا أُريد من الكلمة المذهب (الطَّريقة في التَّفكير وفي البحث) المفروض أن يُترجمها ويعرّبها إلى (مذهب)؛ لكن في الغالب أنَّ المترجمين كانوا ضِعاف في اللغة العربية فتَرْجَمَ الكلمة ترجمة حرفية، فمثلاً في علم النَّفس (مدرسة التَّحليل النَّفسي)و (المدرسة السُّلوكية) (مدرسة الهيئة)، هذه في الواقع ليست مباني للتَّدريس وإنَّما هي مذاهب في هذا العلم، فعندما نقول (مدرسة التَّحليل النَّفسي) نعني مذهب التَّحليل النفسي، أو نقول (المدرسة السُّلوكية) نعني المذهب السلوكي.

مثلاً عندنا الآن في الفقه المذاهب الأربعة: المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشَّافعي والمذهب الحنبلي، قد نستعمل وفق الاستعمال الحديث فنقول: مدرسة أبي حنيفة ومدرسة مالك، فالمترِجم لم يترجم الكلمة بمعناها المقصود منها في اللغة الإنجليزية، وإنَّما ترجمها ترجمة حرفية فأصبحت كلمة (مدرسة) الآن في اللغة العربية تستعمل بمعنيين: معنى قديم وهو المبنى المُعدّ للتَّدريس والتَّعليم، أو (مذهب) الذي هو طريقة في التَّفكير.

والكلمات اللّغوية دائمًا تطرح معنى وتحمل معنى؛ قد تُضيف لمعناها معنى آخر، وقد تنزع من معانيها معنى آخر هذه طبيعة اللغة، فطبيعة اللغة كائن حيّ تتأثر بعوامل الزمان وعوامل المكان.

فهنا عندما نقول: مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) نعني بها المعنيين معًا: المكان الذي كان يدرِّس فيه الإمام الصادق (عليه السلام)، يُدرِّس تلامذته

وطلابه ويُحدِّث الرواة الذين يأتون إليه أو يفدون عليه. ونعني بها أيضًا (المذهب) وهو الطَّريقة التي اتَّبعها **الإمام الصادق** (عليه السلام) في التَّفكير وفي البحث وفي إعطاء الآراء والأفكار.

## محور الخلاف بين (أهل البيت) و(البيت الأموي)

الإمام الصادق عاش في أواخر الدَّولة الأُموية وفي أوائل الدَّولة العباسية، فعادة هذه المدَّة التي تكون في آخر دولة وبداية دولة تليها تُسمى في علم السِّياسة بـ(فترة الانتقال)، الانتقال من دولة إلى دولة أخرى، دولة انتهت ودولة أخرى ابتدأت.

فترة الانتقال من خصائص ومن فوائدها أن تكون الدَّولتان ضعيفتي ن: الدَّولة التي أشرفت على النِّهاية ضعيفة بطبيعة الحال؛ لأنَّها لو كانت قويَّة لا تنتهي، والدَّولة الأخرى في بدايتها بعدُ لَّما تستقر، يعني ذيول الدَّولة السَّابقة لا تزال موجودة، والدَّولة اللاَّحقة تُطارِد هذه الذُّيول وتريد أن تركِّز نفسها، فهي بعدُ لَّما تستقر.

فهذه الفترة تُغتنم عادة من قبل المفكرين الذين عاشوا في أدوار ضغوط ومراقبة مشدَّدة.

الإمام الصادق والأئمة الذين كانوا قبله من عهد الإمام الحسن (٤٠هـ ـ ٥٠هـ) إلى الإمام زين العابدين (٦١هـ ـ ٩٥هـ) وأوائل إمامة الإمام الباقر (٩٥هـ ـ ١١٤هـ) (عليهم السلام) عاشوا تحت رقابة مشدَّدة من قِبل الأُمويين، وعاش الشِّيعة في تلك الفترة تحت ضغط رهيب من قِبل الأُمويين، لكن لماذا ضغط الأُمويين هذا الضغط؟ هل لأنَّ أهل البيت يريدون أن يتولَّوا السُّلطة كما نفهم مما يُلقى من بعض الخطب؟ الواقع ليس هذا، فالصِّراع بين أهل البيت وبين الأُمويين ليس حول الكرسي وإنَّما حول المبدأ، أهل البيت يمثِّلون الامتداد الطَّبيعي لجدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويحملون مبدأ النبي (صلى الله عليه وآله) بشكل كامل لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه، عندهم القرآن

وتفسير القرآن، وعندهم الحديث وتأويل الحديث، والقرآن والحديث هما مصدرا التَّشريع الإسلامي ومصدرا الفكر الإسلامي ومصدرا الحضارة الإسلامية.

الأمويون كانوا امتدادًا لمن قبلهم، وحاولوا أن يبتدعوا خطًّا أو مصدرًا ثالثًا للتَّشريع وهو ما يُعرف في علم الفقه بـ(اجتهاد الرَّأي) والذي تفرَّع منه (القياس) و(الاستحسان) وما إليهما من القواعد الأخرى.

## (اجتهاد الرَّأي) في خدمة السَّاسة

ما هو معنى هذا الذي يُعرف باجتهاد الرَّأي؟

اجتهاد الرَّأي يَترك للفقيه تقدير المصلحة، فالفقيه يدرس الظَّرف ويُقدِّر المصلحة ويعطي الحُكم على أساس من فهمه وتقديره للمصلحة، فلا يرجع إلى الآيات القرآنية ويأخذ منها الحُكم ولا يرجع إلى الأحاديث المرويَّة عن النبي (صلى الله عليه وآله) ويأخذ منها الحُكم.

هذا اللون من الاجتهاد يتمشَّى مع طبيعة السَّاسة الذين يريدون أن يتصرَّفوا حسب ما يريدون، فالحكم الشَّرعي إذا كان مأخوذًا من القرآن ومأخوذًا من الحديث فهو يقيِّد الحاكم في التَّصرف، فلا يستطيع الحَاكم أن يتصرَّف إلاّ وفق الحُكم، وإذا لم يتصرَّف وفق الحكم يُعتبر مخالفًا؛ فاجتهاد الرَّأي جاء مَنْفَذ ويعطي مجالاً للحاكم أن يبرِّر تصرّفاته، أيّ تصرُّف يرجع فيه إلى فقيه من الفقهاء ويُعطي الحكم الذي يرغب فيه، فإذا كان يريد منه أن يقول هذا حلال فيقول هذا حلال! وإذا كان يريد منه أن يقول هذا حرام فيقول هذا حرام! هذا النَّوع من العلماء يُسمِّهم علماء الاجتماع بـ(المثقَّفون الأذناب)؛ لأنَّهم وراء الحكَّام،

ويسمّيهم الدكتور علي الوردي (ت: ١٩٩٧م) ـ وهو من أساتذة علم الاجتماع في بغداد ـ بوعَّاظ السَّلاطين لأنَّهم دائمًا تحت إمرة الحُكَّام والسَّلاطين.

فالصِّراع كان بين أهل البيت (عليهم السلام) والأُمويين ليس حول الكرسي وإنَّما حول المبدأ، فأهل البيت يريدون تطبيق الإسلام كما جاء في الكتاب والسُّنة، وكما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله)، بينما الأُمويون يريدون أن يغيِّروه وفق ما يتمشَّى مع مصلحتهم في الحُكم والسِّياسة، من هنا ضغطوا على أهل البيت وسلّطوا الرَّقابة الشَّديدة أو المراقبة الشَّديدة لأن لا يُفهِّموا الناس واقع الإسلام، فلو فهموا واقع الإسلام سوف يحاسبوا الحكَّام على تصرفاتهم.

فهم ما أرادوا للنَّاس أن يفهموا هذا، من هنا كانت الرَّقابة مشدَّدة جدًّا إلاّ في أواخر حياة الإمام الباقر (عليه السلام) عندما بدأت الدَّولة الأُموية تضعف بسبب الثَّورات المتتالية من الحسينيين والحسنيين، وثورات الحسنيين كانت أكثر من ثورات الحسينيين، بدءًا بثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وثُنِّيت بثورة زيد بن علي بن الحسين، ثم من بعده ثورة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين وهذه هي الثَّورات الحُسينية ثم بدأت الثَّورات الحَسنية تتتالى، هذه الثَّورات أضعفت الدَّولة الأُموية.

## أهل البيت، مضاعفة العطاء في ظلّ الضعف السِّياسي

في أواخر أيام الإمام الباقر (عليه السلام) أصبحت الدَّولة الأُموية تعيش في ضعف، لذا استطاع الإمام الباقر (عليه السلام) أن يعطي العطاء الفكري، وينقل عن أحد تلامذته ومن المقرَّبين لديه وهو جابر بن يزيد الجُعفي (ت: ١٢٨هـ) أنَّه روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) وحدَه خمسين ألف حديثًا وقيل

سبعين ألف حديثًا[١]، ولم يقدر لعالمٍ من علماء المسلمين ولا لمحدِّث من محدِّثي المسلمين لا من الشِّيعة ولا من السُّنة أن أعطى هذه الكمّية الكبيرة من الأحاديث[٢]، لا توجد مدرسة من مدارس الفكر تُعطي هذا العطاء ومن قِبل فرد واحد.

**الإمام الصادق** كان له الانفراج أكثر؛ لأنَّ الدَّولة الأُموية بدأت تلفظ أنفاسها والدَّولة العباسية بعدُ لمّا تستقر، فاغتنم الإمام (عليه السلام) هذه الفرصة فأخذ يُعطي العطاء الفكري.

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ١٩٤، رقم (٣٤٢) ورقم (٣٤٣).

(٢) (وهذا الشّيء ليس مذكورًا في كُتب الشّيعة فقط، وإنّما هو موجود أيضًا في كُتب السُّنة، والحافظ في كتابه (المستدرك على الصحيحين) يُشير إلى رواية تقول أنّه روى عن الإمام الباقر خمسين ألف حديثًا، وفي رواية أخرى أنّه روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) سبعين ألف حديثًا). لم أجد هذا في المستدرك.

## بين عالَم السِّياسة والعطاء العلمي، وأسباب التّرجيح

لو أردنا أن ندرس **الإمام الصادق** كما يُدرس الآن في ضوء المناهج الحديثة، يعني لا ندرسه كإمام كما هو معروف عند الشِّيعة ومن خلال الغيبيات والأحاديث التي تُذكر، وهذا لون من الدِّراسة.

وهناك لون آخر من الدِّراسة ومنهج مختلف من الدِّراسة، فلو أردنا أن ندرس **الإمام الصادق**، حياة الإمام الصادق وشخصية الإمام الصادق في ضوء هذا المنهج وهو المناهج الحديثة، نرى أنَّ هذا الإنسان كان عبقريًا وفي قمَّة العبقريّة، لا لأنَّه إمام ونحن نعتقد بذلك، ولكن لو تجرَّدنا عن اعتقادنا ودرسناه كإنسان وكعالم من العلماء وكعظيم من العظماء سنجده كان عبقريًا في قمَّة العبقريَّة.

والعبقري لا يتحرَّك إلاّ عندما يدرس الواقع الذي يتحرَّك فيه، وهذا أهم شيء ينبغي أن يكون في الدَّاعية الذي يدعو إلى مبدأ، فأيّ إنسان يريد أن يدعو إلى مبدأ من المبادئ لابدّ له من أن يتعرَّف على الواقع الذي يُريد أن يدعو فيه، ويريد أن يتحرَّك فيه.

الإمام بعد دراسة معمَّقة لواقع المسلمين في تلك الفترة ـ فترة الانتقال ـ رأى لأجل أن يُعطي الفكر الإسلامي بواقعه ولأن يبني الحضارة الإسلامية على الأُسس التي وضعها جدّه **رسول الله** وجدَّه **أمير المؤمنين (عليه السلام)**، لهذا رأى أنَّه يبتعد عن السِّياسة ويبتعد عن الحُكم ولا يفكِّر في استلام الحُكم ويبتعد كلّ الابتعاد عن السِّياسة، والوثائق التأريخية تُشير إلى هذا؛ **فأبو مسلم الخراساني (ت: ١٣٧هـ)** الذي قام بالثَّورة ضدّ الأُمويين وأطاح بالدَّولة الأموية، أطاح بها باسم الدَّعوة لآل محمَّد.

كان الإمام الصادق في المدينة وأبو مسلم في العراق فكاتب الإمام وبعث برسالة إلى الإمام يقول له في مضمون الرسالة: (إنّي قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت؛ فإن رغبت فيه فلا مزيد عليك) فكان جواب الإمام الصادق (ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني)[١] يعني أنا أفهم من خلال دراستي لواقع المسلمين أنَّ الزَّمان غير مؤاتي معي لأكون حاكمًا على المسلمين، ولا أنت من الرجال الذين أستطيع أن أعتمد عليهم. وهذا أوَّل شيء دعى الإمام الصادق إلى أن يتفرَّغ إلى الجانب العلمي.

والأمر الثاني الذي دعى الإمام الصادق (عليه السلام) أن يتفرَّغ إلى الجانب العلمي هو دخول الحضارات الأجنبية، والتي كان منها الحضارة اليونانية الإغريقية المعروفة، فقد دخلت بفلسفتها المعروفة وبعلومها المعروفة، والحضارة الهندية كذلك، والحضارة الفارسية، والحضارة الرومانية، والأفكار العبريّة، والأفكار السِّريانية كلّ هذه دخلت إلى البلاد الإسلامية. وما يُذكر ـ في التأريخ ويُذكر أيضًا في بعض الدِّراسات الاجتماعية الحديثة ـ من طبيعة الحضارات عندما تقوم في مكان ما يكون هناك صراع بين الحضارات الوافدة وحضارة البلد، فالحضارات الوافدة تريد أن تغزو هذا المجتمع وتريد أن تؤثِّر على هذا المجتمع وتغيِّر من واقع المجتمع لأنْ يأتي وفقًا لهذه الحضارة الوافدة، والحضارة الموجودة في البلد ـ بطبيعة الحال ـ مادام المجتمع مجتمعهم تريد أن تأخذ وتدافع تلك الحضارات لتبقى هي تؤثِّر على هذا المجتمع من أن يتغيَّر.

في مجتمعنا كانت في ذلك الوقت الحضارة الإسلامية، وإن كانت الحضارة

---

(١) أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل ١: ١٥٤.

الإسلامية في الواقع دخلها شيء من الدَّاخل لكن كانت هي الحضارة الإسلامية، والحضارات الأخرى عندما جاءت بدأ الصِّراع بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارات الوافدة والمسلمين في تلك الفترة ـ فترة الخلافة الأموية ـ ما كان عندهم مدارس فكرية وما كان هناك تعليم، فلم يكن المسلمون مزوَّدين بالمناعة التي تمنعهم من التَّأثر بالحضارات الوافدة، فرى **الإمام الصادق** أن يتفرَّغ ويُعطي للمسلمين الحضارة الإسلامية التي تعطيهم المناعة من أن يتأثَّروا بهذه الحضارات الوافدة.

هذان السَّببان اللذان دعيا **الإمام الصادق** (عليه السلام) لأنْ يتفرَّغ للجانب الفكري وللجانب العلمي.

# مدرسة الإمام الصادق، إطلاله عامّة

## (المدرسة) مكانًا للتّعليم والتّدريس

مدرسة الإمام الصادق كانت في مكانين هما: المدينة والكوفة؛ يعني الأماكن التي درَّس فيها الإمام الصادق تلامذته وأتباعه وأصحابه والنَّاس الآخرين كانت في المدينة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي بيته، وبيته ليس بعيدًا عن المسجد النَّبوي هو قريب منه، فكان من الصّباح يدخل المسجد ويستند إلى سارية من سواري المسجد ويتحلَّق النَّاس حوله ويبدأ يدرِّس، وسنتحدث عن الموادّ العلميّة التي كانت تُدرَّس في مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) إلى وقت الظهر، ثم بعد هذا ينتقل إلى بيته ويتحوَّل البيت إلى مدرسة.

في الكوفة كان درسه في المسجد وفي البيت الذي يسكن فيه؛ لأنَّ الإمام الصادق أستُدعي للعراق من قِبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (ت: ١٥٨هـ) لتهمة كانت توجَّه للإمام الصادق أنَّه كان يجمع الأموال ويحرِّض المسلمين للثَّورة ضدّ الحُكم العباسي[1]، وهذا لم يحصل من الإمام الصادق وما كان الإمام الصادق يتناول أيّ مال من المسلمين، كان يعيش من كَدّ يمينه، فلم يأخذ من الأموال لا زكوات ولا أخماس ولا شيء آخر، كان عنده بستان للنخيل وبنفسه هو كان يعمل في هذا البستان، بنفسه كان يذهب ويعمل في هذا البستان، وقد قرأتُ في حياة الإمام الصادق أنَّ كثيرًا من العلماء والعظماء كانوا يلتقونه في الطَّريق راجعًا من بستانه والعرق يتصبَّب منه نتيجة الجهد الذي كان يبذله في

---

(١) الشَّيخ المجلسي، بحار الأنوار ٤٧: ١٨٧.

العمل. وهذه تهمة موجّهة في غير موضعها، وإذا كانت هناك أموال تأتي فهي توزَّع رأسًا على الفقراء والمساكين، حتى جرايات الطلاب ـ الرواتب التي تُدفع للطلاب ـ ما كان الإمام الصادق يعطي، إنَّما الطلاب هم الذين كانوا يلاحقون الإمام الصادق للاستفادة منه.

فكان يجُلب من قِبل المنصور بهذه التُّهمة إلى العراق، فيأتي في الكوفة وفي مسجد الكوفة يدرِّس، وفي الحيرة القريبة من الكوفة وأيضًا يدرِّس، وفي البيت الذي يُنزَّل فيه أو يسكن فيه يدرِّس.

هذا من ناحية المدرسة كمكان للتَّعليم وللتَّدريس.

## (المدرسة) مذهبًا وفكرًا

المواد العلميّة التي كانت تدرَّس من قِبل الإمام الصادق في مدرسته كان فيها توسّع كبير جدًّا، فمَن كان قبل الإمام الصادق (عليه السلام) من العلماء المسلمين ـ سواء من السُّنة أو من الشِّيعة ـ يدرِّسون الفقه والحديث والتفسير، وكان يُدرَّس شيئًا من القراءات القرآنية لكن لا بشكل موسع، فلم تكن الفلسفة موجودة، وما كان هناك علم الكلام موجودًا، وما كان هناك طب إلاّ الطِّب عربي الذي هو في الواقع ليس بمستوى العلم، وما كان هناك علوم طبيعية (الفيزياء والكيمياء وعلم الفلك)، والعلوم التي تدرَّس كانت مقصورة على العلوم الشَّرعية فقط والتي تدرَّس في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وكذلك في مسجد الكوفة.

### ١ . الكشف عن المعالم الأساسية للفلسفة الإسلامية:

الإمام الصادق رأى أنّه ليقاوم هذه الحضارات الوافدة ويقارع الفكر بالفكر

لابدّ وأن يتوسَّع في مواد التَّدريس، فأضاف الفلسفة وأخذ يدرّسها إلى جانب تدريسه للفقه الحديث والتَّفسير.

المسلمون ما كان عندهم آنذاك فلسفة، كانت الفلسفة يونانية التي وفدت مع الحضارة اليونانية، رأى **الإمام الصادق** أن يؤسِّس فلسفة للمسلمين مستقلةً غير متأثرة بأفكار الفلسفة اليونانية.

ما هو العمل الذي قام به الإمام الصادق هنا؟ ما قام به هو عمل ضخم في الواقع، ففي حساب العلم والعلماء يعتبر من أضخم الأعمال التي قام بها عالِم إسلامي هو ما قام به **الإمام الصادق** في هذا المجال.

دَرَسَ الفلسفة اليونانية دراسة كاملة من فلسفة سقراط (ت: ٣٩٩ ق.م) وأرسطو (ت: ٣٢٢ق.م) وأفلاطون (ت: ٣٤٧ ق.م) درس هؤلاء وأفكارهم دراسة كاملة، ورأى هناك مفارقات موجودة في هذه الفلسفة وبقيت قائمة والناس يدرسونها ولم يلتفتوا إلى أنَّها أخطاء، من عهد الإغريق ـ ما قبل السَّيد المسيح ـ إلى عهد الإمام الصادق هذه الفترة الطويلة جدًّا والناس لم ينتبهوا إلى الخطأ الموجود.

أنا الآن أُشير إلى شيئين فقط، ومَن يدرس فلسفة الإمام الصادق يجد أشياء كثيرة:

**الأوّل**[1]: **ما كان العلماء والفلاسفة يفرِّقون بين الفلسفة والعلم، جاء الإمام الصادق** وفرَّق بينهما، والواقع هو أن يُفرَّق بينهما، كيف؟ الفلسفة تدرس علل

(١) مجموعة من الباحثين، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب: ٣٦٧.

الأشياء، أوضح ذلك بمثال: أنا الآن أمامك (إنسان موجود) شيء من الأشياء، الفلسفة لا تدرس العناصر التي تكوَّن منها جسمي أو عقلي أو روحي، وإنَّما تدرس السَّبب الذي أوجدني، وما هي العلَّة التي أوجدتني؟ هناك مَن يقول الله، وهناك من يقول شيء آخر؛ فالفلسفة تدرس علل الأشياء والأسباب التي أوجدت الأشياء. بينما العلم يدرس العناصر التي يتكوَّن منها الشَّيء.

الآن العلوم الطبيعة مثلاً لا تَدرس مبدأ الكون ونهاية الكون، لا تدرس بداية الإنسان ونهاية الإنسان، إنّما تَدرس العناصر التي يتكوَّن ويتركَّب منها الشَّيء.

هذه التَّفرقة لم تكن موجودة، فجاء الإمام وفرَّق وأعطى الفلسفة استقلاليَّتها عن العلم، وأعطى العلم استقلاليته عن الفلسفة. وهذا الشيء مهم في مجال الدِّراسات وقد يكون في مجال الكلام لا أهمّيّة له، ولكن في مجال البحث والدِّراسات له أهمية كبرى جدًّا.

**الثاني: الذي قام به الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا المجال: هو أنَّه في الفلسفات الأخرى كالفلسفة الإغريقية اليونانية أو الفلسفة الهندية وحتى الفلسفة الفارسية ما كانت تقوم على أساس عقيدة التَّوحيد الخالصة**، فكانت مشوبة بالشَّك والوثنية وعقائد أخرى غير موحِّدة، والأفكار الفلسفية كانت تنطلق من هذه القاعدة ـ قاعدة العقيدة ـ فالفلسفة اليونانية كانت في أشياء كثيرة لا تلتقي مع الإسلام؛ لذا جاء **الإمام الصادق** وبدأ فلسفة جديدة قائمة على عقيدة التَّوحيد.

ويعتبر بهذا **الإمام الصادق** هو مؤسِّس الفلسفة الإسلامية، وهي من المواد التي أضافها **الإمام الصادق**.

## ٢. إقرار العلوم الطبيعية كمواد علميّة:

ومن المواد الأخرى التي أضافها أيضًا العلوم الطبيعية من الكيمياء والفيزياء والفلك وهذه ما كانت تُدرس، فقط كانت هناك أفكار مبعثرة فقط.

**أ. علم الكيمياء[١]:**

تبنّى الإمام الصادق (عليه السلام) تلامذة، ومن أبرز تلامذته في الكيمياء جابر بن حيان الكوفي (ت: ١٩٤هـ) وقد أملى الإمام الصادق لجابر بن حيان كتابًا في الكيمياء والطّب ألف ورقة[٢]، وفي ذلك الوقت ألف ورقة شيء كبير جدًّا، ذُكر فيه الآراء والأفكار والنَّظريات التي ترتبط بهذا العلم، ولا تزال آراء جابر بن حيان تدرَّس وإلى فترة قريبة في الجامعات الأوربية إلى أن توسّع وتطوَّر هذا العلم وأصبحت كتب جابر بن حيان الآن يُرجع إليها كمراجع في هذا العلم.

**ب. علم الفيزياء:**

أعطى الإمام الصادق نظريات في الفيزياء حول الضوء[٣].

**د. علم الفلك:**

وأعطى في الفلك حول حركة الأرض[٤]، حيث كان النَّاس يعتقدون قديمًا أنَّ الشمس هي التي تتحرَّك والأرض هي ثابتة، بينما الإمام الصادق (عليه السلام) رأى أنَّ الأرض هي التي تتحرَّك، والشمس تتحرَّك في مجرى معيَّن.

---

(١) يقال أنَّ خالد بن يزيد قد ترجم بعض الكتب في هذا المجال؛ ولكن هذا غير واضح تأريخيًا. (منه)

(٢) مجموعة من الباحثين، الإمام جعفر الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٩.

(٤) المصدر نفسه: ٤٤.

**د. علوم التشريع[١]:**

بالنِّسبة إلى علم التَّشريح مثلاً، أعطى **الإمام الصادق** أيضًا نظريات في هذا المجال، المعروف في المدارس أنَّ (الدَّورة الدَّموية الصغرى) اكتشفها **ابن النَّفيس** (ت: ٦٨٧هـ) هذا العالم العربي المعروف، بينما **الإمام الصادق** قبل **ابن النفيس** اكتشف (الدَّورة الدَّموية الصغرى)[٢] وهذا موجود في كتاب (التوحيد المفضل) وهو كتاب مطبوع وموجود ومنتشر في العالَم، وطبع قبل حوالي ٢٠ سنة في مكّة بشرح أحد العلماء.

كتاب (التوحيد المفضل) **المفضّل لابن عمر** تلميذ الإمام الصادق، وقد أملى عليه الإمام هذا الكتاب في موضوع التوحيد، وذكر أدلَّة على التوحيد منها: خلق الإنسان وتكوين الإنسان والأجهزة الموجودة في الإنسان، فأعطى فكرة شاملة وواضحة عن الدَّورة الدَّموية الصغرى.

**هـ. علم الجغرافيا:**

وقد لا تتصوَّر أنَّ أوَّل كرة أرضية دخلت إلى الحجاز عن طريق مدرسة أهل البيت، هذه الكرة الأرضية المجسمة التي تُباع في الأسواق، وكانت تختلف عنها في الخريطة فقط وإلاّ الشكل هو واحد، جُلبت من مدرسة الإسكندرية إلى **الإمام الباقر**[٣] ودرَّس الجغرافيا على أساس من هذه الكرة، وبعد هذا درّسها **الإمام الصادق** (عليه السلام).

---

(١) المصدر نفسه: ٣٥.

(٢) محمد الخليلي، طبّ الإمام الصادق (عليه السلام): ٢٨.

(٣) مجموعة من الباحثين، الإمام الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب: ٨٥.

ولّما تسأل لماذا لم نكن نعرف بهذه الأمور؟ **الإمام الصادق** لو كان عند غير الشّيعة لكان هو أبرز شخصية في العالَم الآن، ولكن نحن لا نمجِّد عظماءنا وتمجيدنا محدود جدًّا نكتفي بالاستعراض التَّأريخي لأهل البيت (عليهم السلام)، ولا نستفيد سيرتهم،

لو أنّنا نكتب عن هذا العظيم ونُفهم العالَم عظمة هذا العظيم، نحن بالتَّالي سنصبح عظماء بانتمائنا إليه.

الشاعر الروسي **ليو تولستوي** (ت: ١٩١٠م) يُكتب عنه عدد كبير من الكُتب والمقالات، **ونابليون** (ت: ١٨٢١م) القائد الفرنسي المعروف تُكتب عنه مئات الكتب، بينما **الإمام الصادق** لم يُكتب عنه إلاّ الشَّيء القليل.

نحن يجب أن نفهم **الإمام الصادق** حتى تُعطينا معنوية ونعرف أننا ننتمي إلة أُناس في القمّة، نقتصر في نظرتنا على جانب العقيدة ولكن الآخرون لا يهتّمون بذلك إنّما يريدون منك أن توضِّح الخدمة التي أسداها **الإمام الصادق** للبشرية؛ فلنَدخل إلى الجانب الفكري في عهد الإمام الصادق.

## ٣. الاهتمام بالجانب التّربوي

كان الناس من عهد الرسول إلى عهد الإمام الصادق يعتمدون على الحفظ، حفظ الخطبة والمواعظة والفكرة وقصيدة وهذا موجود في تأريخ العرب، ولكن الحفظ بطبيعته لا يبني الشَّخصية ولك أن ترجع إلى كتب التَّربية وترى أنَّ الحفظ لا يبني الشَّخصية ولا يكوّن الشخصية ولا يغيّر ذهنيّة ولا سلوكًا، والقرآن يشير إلى هذا المعنى ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾[1]، فالحمار إذا حمل كثيرًا من الكتب

---

(١) سورة الجمعة: ٥.

هل يستفيد منها؟ لا يستفيد شيئًا، وهكذا حال الحافظ لا يستفيد، لماذا؟ لأنَّه لا يملك ذهنيّة علميّة حتى يَفهم ما يحفظ ويَستفيد مما يحفظ.

الإمام الصادق وهو يريد أن يصارع هذه الحضارات الوافدة، ويريد أن يبني أمّة مثقّفة واعية رأى لابدّ أن يكوّن ذهنيات علميّة من أصحابه وأتباعه وتلامذته؛ فمسألة الحفظ والاستظهار هذه لن تستفيدوا منها، نريد بحثًا واستقراءًا، والبحث والاستقراء هما اللذان يخلقان الذِّهنية العلميّة عند الإنسان.

فدفع الإمام الصادق بطلابه للسَّاحة فألّفوا وكتبوا في مختلف أنواع العلوم وكُتبت كتب كثيرة بلغت بالمئات، فاستطاع أن يُوجِد جوًّا علميًّا لم يكن موجودًا قبل هذا، ويخلق ذهنيات علميّة، ويكوّن علماء في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية وليس في الفقه فقط، بل علماء في الطِّب وعلماء في الكيمياء وعلماء في الفيزياء وعلماء في التَّشريح وعلماء في كلّ العلوم التي كانت هي موضع حاجة للنَّاس في ذلك الوقت والتي دخلت مع الحضارات الوافدة.

أنت تريد أن تصارع فكرًا بفكرٍ لابدّ أن تأتي بفكر مماثل للفكر الآخر، فأنت لا تستطيع أن تُصارع الحضارات بالحديث وحده أو بالتَّفسير وحده أو بالفقه وحده، فلابدّ أن تُصارع هذه الحضارات بالسِّلاح الموجود في تلك الحضارات.

ولذا سَلَّح الإمام الصادق المسلمين عمومًا بهذا السِّلاح وكوَّن منهم هذا التّكوين.

لم يكتفِ الإمام الصادق بهذا فقط بل دفع بتلامذته للتّعليم:

في (علوم اللغة العربية)، دفع تلامذته أمثال: أبان بن تغلب[1] (ت: ١٤١هـ)

(١) الشيخ النجاشي، فهرست مؤلّفات الشيعة: ١١ ـ ١٣، رقم (٧).

وهو من أقرب التلامذته، فكان يأمره أن يجلس في مسجد النبي ويفتي النَّاس ليقال هذا تلميذ جعفر بن محمَّد[1].

ومعاذ بن مسلم الهراء (ت: ١٨٧هـ) واضع علم الصَّرف وكان أستاذًا من أساتذة النَّحو، وهو رأس من رؤوس مدرسة اللغة في الكوفة هو أحد تلامذة الإمام الصادق، كان الإمام يقوله له: (بلغني أنَّك تقعد في الجامع فتفتي الناس)، قال، قلت: نعم، وقد أردتُ أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج أنّي أقعد في المسجد فيجئ الرجل يسألني عن الشيء، فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجئ الرجل أعرفه بحبكم أو مودتكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجئ الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو فأقول جاء عن فلان كذا وجاء عن فلان كذا، فأُدخل قولكم فيما بين ذلك، قال، فقال لي: (اصنع كذا، فإنّي كذا أصنع)[2].

في (القراءات القرآنية) أيضًا، أصحاب القراءات المتواترة سبعة، ثلاثة منهم كانوا محسوبين على الإمام الصادق فمنهم من قرأ مباشرة على الإمام الصادق كحمزة بن حبيب الزيات (ت: ١٥٦هـ) وأبي عمرو بن علاء المازني (ت: ١٥٤هـ)، ومنهم من ينتسب بالانتماء المذهبي للإمام الصادق (عليه السلام)[3].

وفي (علم الحديث)، فقد ألّف أحمد بن عقدة (ت: ٣٣٣هـ) ـ وهو من قدامى المؤلِّفين ـ في رواة الحديث الذين رووا الحديث عن أمير المؤمنين وعن الحسن إلى الإمام الصادق[4].

---

(١) الشيخ الطوسي، الفهرست، ٥٧، رقم (٦١).

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ٢٥٣، رقم (٤٧٠).

(٣) وهو علي بن حمزة الكسائي (ت: ١٨٩هـ).

(٤) الشيخ النجاشي، رجال النجاشي: ٩٤، رقم (٢٣٣).

وعدد الرواة عن الصادق أربعة آلاف روايًا[١]، لا تجد شخصًا رُوي عنه الحديث بهذا العدد[٢].

**أبان بن تغلب** وهو من تلامذة **الإمام الصادق**، يقول الإمام أنَّ أبان روى عنه ثلاثين ألف حديثًا[٣]، وهذا العدد من الأحاديث إذا أردت أن تكتبها ككتب تصبح مجلّدات ضخمة، ولعله الآن إذا أردت أن تكتبها تصير على الأقل ما يقرب من ٣٠ مجلّدًا، وهذا العدد لا يوجد عند بقية المسلمين.

**محمَّد بن مسلم الثَّقفي** (ت: ١٥٠هـ) روى عن **الإمام الصادق** ـ كما هو يقول ـ ١٦ ألف حديثًا[٤].

لو جمعنا ما هو موجود في كتب الحديث عندنا، الكتب الأربعة المعروفة، والأحاديث الفقهية في (الوسائل) في ٢٠ مجلدًا و(مستدرك الوسائل) في ٢٠ مجلدًا، فالمجموع ٤٠ مجلدًا، وهذا لا يوجد في كل الطَّوائف الإسلامية وغير الإسلامية طائفة تمتلك هذه الثَّروة الفكرية.

وهذه كتب السُّنة موجودة، والكتاب الذي جمع الأحاديث الفقهية هو (سنن أبي داوود السجستاني) وكان عددها ٥٢٧٤ حديثًا، بينما كتاب (الوسائل) فيه ٣٥٨٥٠ حديثًا، و(المستدرك) فيه ٢٣١٢٩حديثًا، هذا غير ما فقد.

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢: ١٧٩.

(٢) ذكر العلامة الفضلي هنا: (ومع هذا جاء شخص آخر بعد ابن عقدة واستدرك على ابن عقدة ما فاته من رواة الحديث عن الإمام الصادق، وذلك يعيِّن أنَّ عدد الرّواة عن الإمام الصادق كان رقمًا قياسيًا)، في حدود تتبّعي المتواضع لم أجد مَن استدرك عليه.

(٣) الشيخ النجاشي، رجال النجاشي: ١٢، رقم (٧).

(٤) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ١٦٧، رقم (٢٨٠).

# خاتمة

فالإمام الصادق (عليه السلام) في مدرسته كان باني الحضارة الإسلامية على الأُسس التي وضعها جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومدرسته أوسع مدرسة فكريّة أعطت المسلمين هذا العطاء، وكان من تلامذة الإمام الصادق عدد كبير من السُّنة ومنهم: مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ)[١]، أبي حنيفة (ت: ١٥٠هـ) وهو الذي يقول: (ما رأيت أفقه من جعفر بن محمَّد)[٢]، و(لولا السَّنتان لهلك النُّعمان)، ومن تلامذته من أعلام علماء الفقه والحديث عند السُّنة، هذا هو عطاء الإمام الصادق.

شيء أريد أن أقوله: نحن نقول أنّنا ننتمي إلى الإمام الصادق ونقول جعفريّة، والمفروض أن نُعطي هذا الانتماء حقَّه؛ فإذا أردنا أن نخدم هذا الإمام الذي خدم الإسلام والمسلمين بهذا العطاء الضَّخم أن نُعطي حقّ الانتماء، وحقّ الانتماء أن نطبّق مذهب الإمام الصادق في حياتنا: نحاول أن نفهم هذا المذهب، عقيدة جعفر بن محمَّد الصادق، أحكام جعفر بن محمَّد الصادق (عليه السلام) ونطبّقها على أنفسنا حتى نعطي هذا الانتماء حقَّه، والإمام الصادق نفسه يقول عن بعض تلامذته كمحمَّد بن مسلم وزرارة بن أعين: (لولا هؤلاء انقطعت آثار النّبوة واندرست)[٣]، كانوا عظماء في العلم والعمل.

---

(١) الذهبي، سيرة أعلام النبلاء ٦: ٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٦: ٢٥٧.

(٣) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال: ١٧٠، رقم (٢٨٦).

فالذي أرجوه أن نحقّق انتماءنا لهذا المذهب، لنصبح قوَّة تُحترم أمام الآخرين ويُحترم هذا المذهب ويُحترم هذا الإمام أن نُعطي انتماءنا للإمام حقّه.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لذلك.

# الفصل السادس: الإمام محمَّد بن الحسن عليهما السلام

قضيّة الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها: استعراض الأدلّة وملابساتها

فلسفة الانتظار العملي

من ينتظر من؟

# قضيّة الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بها استعراض للأدلة وملابساتها(*)

(*) أُلقيت سنة ١٤١٥هـ، في البرنامج الرمضاني الخامس، في حسينية النَّاصر بمدينة سيهات.

موضوع المحاضرة كما تقدم به الأخ، عنوانه: **على مشارف الانتظار**، والعنوان مختار من قبل اللّجنة، ويعني نحن نقترب من وقت الظهور، نحن الآن في حالة انتظار ونقترب من وقت الظهور؛ لوجود إرهاصات كثيرة تدلّ على قرب وقت الظهور، وسأُشير إلى بعض هذه الإرهاصات في آخر الموضوع الذي أريد أتحدَّث عنه في هذه الليلة، ويرتبط أيضًا **بالإمام المهدي** وهو (قضية الإمام المهدي والاعتقاد بها).

كلّ الفرق الإسلامية تذهب إلى الإيمان بفكرة **الإمام المهدي**، باستثناء الخوارج والزَّيدية؛ الخوارج لا يقولون بوجود مهدي منتظر[١]، وكذلك الزَّيدية لا يؤمنون بوجود مهدي منتظر لأنَّهم يرون كلّ من يقوم بالدَّعوة والثَّورة وهو من وِلد **علي وفاطمة** هو إمام ومهدي[٢]، فمن هنا لا يذهبون إلى القول بانتظار مهدي منتظر، وليس معنى هذا أنَّه عندما يخرج **المهدي المنتظر** لا يؤمنون به، بل بالعكس يؤمنون به لتوفّر شروط الإمامة التي يعتقدونها فيه، يقولون يشترط في الإمام عدَّة شروط من أهمها:

- **الدَّعوة**، بأن يدعو إلى الإسلام.
- **الثَّورة**، أن يحمل السَّيف ويثور.
- **وأن يكون من ولد علي وفاطمة.**

هذه الأوصاف تتوفَّر في **الإمام المهدي** (عليه السلام)؛ فإذًا هم يؤمنون به عند

---

(١) لاحظ: زكريا بن خليفة المحرمي، تاريخ ومنهج ومبادئ: ٨٠.

(٢) لاحظ: عزّ الدِّين بن الحسن، العناية التّامة في تحقيق مسألة الإمامة، (القول في شروط الإمام والصفة التي يجب أن يكون عليها).

خروجه، وأنا سمعتُ من بعض علماء الزَّيدية الذين التقيت بهم في لندن أنَّهم كانوا يؤمنون بإمامة السَّيد الخميني (ت: ١٤٠٩هـ) (قدس سره)؛ لأنَّه من وِلد علي وفاطمة، وقام بالثَّورة والدَّعوة، فانطبقت عليه الشُّروط التي ينبغي أن تتوفَّر في الإمام لديهم.

فمن هنا هم لا يقولون الآن بالمهدي المنتظر؛ لأنَّ كلّ إمام لديهم هو مهدي منتظر، وعندما يخرج سوف يقولون بإمامته لتوفّر هذه الشَّروط.

الذي أريد أن أتحدَّث عنه: أنَّ لقضية المهدي أكثر من جانب، هي فكرة وتأريخ، ومنهج لدراسة الفكرة والتاريخ.

الفكرة، فهي الاعتقاد بأنَّه في آخر الزَّمان سيظهر مُصلح من ولد علي وفاطمة (عليهما السلام)؛ ويقوم بتطبيق الإسلام في دولة عالمية تعمّ جميع أطراف وأرجاء العالَم.

التأريخ، من هو هذا الإمام المهدي؟ هنا ينفرد الإماميّة في الجانب التأريخي عن بقية المسلمين الذين يقولون بفكرة المهدي المنتظر، ينفردون بأنَّ هذا الشَّخص المهدي المنتظر وُلد وهو موجود، بينما الفِرق الإسلامية الأخرى لا تقول بأنَّه وُلد ولا تقول أنّه موجود.

إذا أردنا أن ندرس هذه الفكرة وندرس هذا التأريخ، فما هو المنهج الذي ينبغي علينا أن نتَّبعه؟

أنا أُثير هذا لوجود دراسات من قبل المستشرقين حول موضوع الإمام المهدي وفكرة الإمام المهدي، وتأثُّر بعض المؤرِّخين والكتَّاب من المسلمين بالمنهج الغربي في دراسة فكرة الإمام المهدي.

الإيمان بالمهدي كفكرة عادة يُستدلّ عليها بالعقل والنَّقل، هذا الذي دأب عليه المسلمون من حين بدأو بالكتابة حول الموضوع وحتى الآن باستثناء من أشرت إليهم ممَّن تأثَّروا بالمستشرقين.

# فكرة المهدي، الأدلّة العامّة

## استعراض الدّليل العقلي العامّ

أنا أحيل إلى كتاب وأشير أنَّ السَّيد الصدر (ت: ١٤٠٠هـ) (قدّس سرّه) تناول موضوع المهدي من ناحية عقلية، وعَرَضَ كلّ الأدلّة العقلية التي يمكن أن يُستدلّ بها على فكرة المصلِح المنتظر، وعلى فكرة المهدي.

القرآن يقول بالنِّسبة إلى الدِّين الإسلامي ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1]؛ يعني أنَّ الإسلام يكون هو الدِّين الوحيد الذي يَظهر على كلّ الأديان، سواء كانت تلك الأديان إلهية أو غير إلهية، ويكون هو الدِّين الوحيد للبشريّة وهذا الشيء لم يتحقَّق.

الله سبحانه وتعالى يُخبر عن هذا وخبر الله صادق، ولكن هذا لم يتحقَّق، لا تزال الأديان الأخرى من إلهية كاليهودية والمسيحية، وغير إلهية وهي الأنظمة المختلفة سواء سُمِّيت بأديان أو لم تُسمَ بأديان هي تُعتبر أديان غير إلهية؛ فإذًا لابدّ وأن يأتي يوم يظهر فيه الإسلام على كلّ الأديان والأنظمة ويصبح هو النِّظام العالمي الوحيد؛ تصديقًا لوعد الله تعالى، هذا لا يتحقَّق إلاّ ـ العقل هكذا يقول ـ بوجود قائد يقوم بالدَّعوة والثَّورة ويقضي على كلّ هذه الأديان والأنظمة الأخرى غير الإسلامية، ويطبّق الإسلام على العالَم كلّه.

إذا كان هذا لابدّ منه، فالعقل يقول أنَّ الله لابدّ أن يهيئ هذا الإنسان ليصدق وعده الذي وعد به، هذا دليل من الأدلّة العقليّة التي تُذكر هنا.

---

(١) التوبة: ٣٣.

## استعراض الدّليل النَّقلي العامّ

يُستدلّ أيضًا على الفكرة بالنَّقل، وهو آيات فُسِّرت بالإمام المهدي أو بفكرة المهدي، وروايات كثيرة جدًّا وهي الروايات متواترة، كثرتها تبلغ الآلاف؛ فلم ترد روايات في شخص سواء كان نبيًا أو إمامًا أو مصلحًا بالكثرة التي وردت في فكرة المهدي، الأحاديث التي وردت في فكرة المهدي تبلغ الآلاف؛ والأحاديث التي تبلغ الآلاف تُعتبر متواترة، حتى لو كان فيها غير صحيحة، والتَّواتر لا يُشترط فيه أيضًا صحَّة الرّوايات وإنّما الكثرة التي يُطمئن إليها تكفي في التَّواتر، ولا أظنّ أنَّ كثرة واردة في هذا موضوع كالكثرة الواردة في فكرة المهدي.

وأيضًا في دراسات الحديث ـ سواء عند السُّنة أو عند الشِّيعة ـ يستدلّون على التَّواتر المعنوي بأحاديث المهدي؛ لكثرتها فلا يمكن أن تُردّ هذه الأحاديث أو يقال أنَّ هذه الأحاديث غير صحيحة.

أكثر من هذا، السَّلفية ـ وأنتم تعرفون السَّلفية لأنَّكم تعايشونهم ـ هم من أكثر الناس تزمّتًا وتشددًّا في مواقفهم حول هذه القضايا، هؤلاء السَّلفيون يقولون بتواتر أحاديث المهدي، وكتبهم موجودة؛ وآخر مَن كتب من السَّلفيين في الموضوع هو الشَّيخ عبد المحسن العباد مدرِّس في الحرم النبوي الشريف وأستاذ في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، نَشَرَ بحثه في (مجلة الجامعة الإسلامية)[1] استعرض الأحاديث التي تُروى عن طريق أهل السُّنة فقط؛ لأنّه لا يُؤمن بصحَّة الأحاديث التي تُروى عن طريق الشِّيعة، هذا موقف السَّلفية

---

(١) لاحظ: العدد الثالث، السنة الأولى، والبحث هو عبارة عن محاضرة بعنوان: عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر.

الذين لا يؤمنون بما يرويه الشِّيعة حتى لو كانت الروايات بعشرات الآلاف أو مئات الآلاف، فاقتصر في استعراض الأحاديث التي رويت في كُتب أهل السُّنة؛ وبالنَّتيجة انتهى إلى أنَّ أحاديث المهدي متواترة ويجب الإيمان بفكرة المهدي.

والذي لا يؤمن لازمه أنَّه يكِّذب الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ لأنَّ هذه الأحاديث المتواترة تدلّ على أنَّ الرسول طرح هذه الفكرة كعقيدة وكواقع يتحقَّق في وقت ظهور المهدي (عليه السلام).

هناك ملابسات حدثت حول موضوع الإمام المهدي، فقد نَشَرَ بعض الكتّاب تكذيب بفكرة الإمام المهدي، وأصدرت (رابطة العالم الإسلامي) في مكة المكرمة تقريرًا مُوقَّعًا من قِبل مجموعة كبيرة من علماء المسلمين من سلفيين وغير سلفيين بثبوت فكرة المهدي، ووجوب الإيمان بفكرة المهدي.

فإذًا من حيث الأحاديث لا نحتاج إلى أي شيء آخر؛ لأنَّها من الكثرة والوفرة التي لا يمكن أن تُردّ أو يُقال أنَّ هذه الفكرة غير صادرة عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وإذا جمعنا الأحاديث المروية عن طرق أهل السُّنة وهي أكثر مما روته الشِّيعة في هذا الموضوع، وأضفنا إليها ما رواه الشِّيعة تصبح بالآلاف؛ يعني قد تصل إلى حدود الأربعة الآلاف أو أكثر، ولا توجد عقيدة عند المسلمين أو شخص من المسلمين أو غير المسلمين من الأنبياء السَّابقين ورد في موضوعه هذه الكثرة من الحديث.

المسلمون كما أشرتُ عندما بحثوا هذا الموضوع الأكثر منهم استدلّ بالأحاديث والروايات الواردة في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[1]، وآيات أخرى أيضًا فُسِّرت في موضوع

---

(١) الأنبياء: ١٠٥؛ علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي ١: ١٤؛ السَّيد هاشم البحراني، ←

الإمام المهدي[1]، واستدلّوا بهذه الأحاديث الكثيرة.

ونتيجة هذه الأحاديث كلّها تقول أنَّ المهدي من ولد علي وفاطمة، وهذا متَّفق عليه.

وردت روايات أنَّه من ولد العباس، وهذه روايات موضوعة وضعها العباسيون للاستغلال، وأشار إليها الشَّيخ أبو الأعلى المودودي (ت: ١٩٧٩م)، وهو من أكابر علماء إخواننا من أهل السُّنة، ومن أكابر الدُّعاة الإسلاميين أيضًا، أشار إلى أنَّ هذه الأحاديث موضوعة من قِبل العباسيين[2].

فالنَّتيجة التي تنتهي إليها الأحاديث بشكل صحيح أنَّه من ولد علي وفاطمة.

بعض المسلمين قد يستدلّ بالدَّليل العقلي ـ كما ذكرتُ ـ كالسَّيد الصدر (قدّس سرّه) فقد تناول الموضوع من ناحية عقلية، وأثبت فكرة الإمام المهدي بالأدلَّة العقلية في كتابه (بحث حول المهدي (عليه السلام))، والكتاب مطبوع ومتداول.

---

البرهان في تفسير القرآن ٣: ٨٤٨.

(١) لاحظ: الشَّيخ المجلسي، بحار الأنوار ج٥١.

(٢) لاحظ: في انتظار الإمام: يعالج قضية الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ومسألة الحكم الإسلامي اليوم: ٣٨، نقلاً عن المودودي.

## المستشرقون وموقفهم من فكرة المهدي

### المستشرقون، من هم، وماذا يعملون؟

الذي يهمنا هنا المستشرقون، وهم مجموعة من العلماء الغربيين والعلماء الأوربيين، والآن يُضاف إليهم العلماء الأمريكان الذين تخصَّصوا بدراسة الشَّرق، يُسمَّون بالمستشرقين؛ لأنَّهم تخصَّصوا بدراسة الشَّرق عمومًا، ولكن ركَّزوا على الشَّرق الإسلامي أكثر من غيره، وركَّزوا على المعتقدات الإسلامية أكثر من غيرها مما هو موجود في غير حضارة الشَّرق الإسلامي.

المستشرقون عددهم ليس قليلاً، وهناك كُتب تترجِم لهؤلاء المستشرقين منها كتاب (المستشرقون) في ثلاثة مجلدات لنجيب العقيقي، وهم ينتشرون على مختلف البلدان الأوربية: في بريطانيا وفرنسا وهولندا والنمسا والنروج والدنمارك والسويد وإسبانيا، كذلك في روسيا هناك عدد كبير منهم، وفي المجرّ أيضًا، فهم منتشرون في مختلف البلاد الغربية.

هؤلاء تفرَّغوا لدراسة الشَّرق وعندهم مراكز دراسات ومعاهد وجمعيات باسم جمعيات المستشرقين، من جانب خدموا إلى حدٍّ ما بها طبعوه من مخطوطات[1] عربية وغير عربية، فقد أبرزوا مجموعة من هذه الكتب المخطوطة سواء كانت باللغة العربية ـ وأكثرها كذلك ـ أو باللغة الفارسية أو باللغة التركية أو بعض لغات المسلمين، وطبعوها بشكل محقَّق في الوقت الذي ما كان المسلمون يطبعون مخطوطاتهم بشكل محقَّق، وإنَّما استفادوا التَّحقيق في الواقع من

(١) المخطوطات: هي الكتب المكتوبة باليدّ، هذه نسمّيها (مخطوطة) حيث لم تطبع طباعة حديثة. (منه)

المستشرقين، من هنا أبدوا شيئًا من الخدمة.

ولكن في الدِّراسات التي كانوا يقومون بها والأبحاث التي يكتبونها أو عندما يؤلِّف المستشرق كتابًا يتأثَّر بالمنهج الغربي، وهو منهج تجريبي.

## الثورة الثقافية الغربية، وتأثيرات المنهج التجريبي

الغربيون بعد الثَّورة الثَّقافية التي بدأت بـ(ديكارت) (ت: ١٦٥٠م) الفيلسوف الفرنسي المعروف؛ ألغوا المنهج العقلي وألغوا المنهج النَّقلي، فلا يؤمنون بالمنهج عقلي أو المنهج النَّقلي، وأخذوا بالمنهج التَّجريبي.

ما معنى المنهج التجريبي؟ هو المنهج الذي يدرس الأشياء التي تقع تحت الحسّ فقط، والأشياء التي تُشاهد، والظواهر الطبيعية والإنسانية وغيرها من الأشياء التي تُحسّ، أو التي تقع تحت الحسّ سواء أُدخلت إلى مختبر ومعمل أو لم تُدخَل، أو أُخضعت للملاحظة فقط والمشاهدة. فهم لا يؤمنون بشيء وراء الحسّ، وما يقع تحت الحسّ يؤمنون به؛ من هنا لا يؤمنون بما يُسمّونه هم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقيا)، فالشيء الذي يكون وراء هذه الحياة التي نعيش فيها لا يؤمنون به، فكلّ الغيبيات التي نؤمن بها نحن كمسلمين ويؤمن بها الآخرون من أصحاب الأديان الأخرى هم لا يؤمنون بها؛ لأنَّها لا تقع تحت التَّجربة ولا تقع تحت الحسّ، فالله سبحانه وتعالى من الغيبيَّات والذَّات الإلهية غير مشاهَدة لنا وإنَّما تُحسّ بآثارها فهمّ لا يؤمنون به.

وسأذكر بعض النُّصوص التي تُشير إلى هذا؛ فكلّ الأفكار الموجودة في الأديان والتي ترتبط بقضايا غيبيّة غير محسوسة لا يؤمنون بها.

## المنهج التجريبي وتطبيقاته الاستشراقية على فكرة المهدي

نأتي إلى موضوعنا (فكرة المهدي): نحن نؤمن بأنّه موجود، لكن مَن منّا يعرفه بحيث يستطيع أن يُشير ويقول هذا هو المهدي فيُوقِع هذا الإنسان تحت الحسّ ويقول أنا أشاهده مثلاً، إذا كان هكذا إذًا هو قضية غيبيّة في رأي هؤلاء، وإذا كان قضية غيبية إذًا لا يُؤمَن بها، وإذا كان لا يُؤمَن بها فعندما جاءوا لدراستها قالو أنَّ الإيمان بفكرة المهدي عند المسلمين ظاهرة دينية ـ اجتماعية؛ يعني أبناء المجتمعات الإسلامية يؤمنون بفكرة المهدي كعقيدة دينية وهذا معنى ظاهرة دينية ـ اجتماعية، ولكن نحن نؤمن بأنَّ فكرة المهدي هي من الله لّما جاءت عن طريق النبي (صلى الله عليه وآله)، وهم لا يؤمنون بوجود الله حتى يقولون أنَّ هذه الفكرة جاءت من الله؛ إذًا من أين جاءت؟ فيبحث المستشرق عن نشأتها، وهو دائمًا في الأفكار الموجودة عند الناس؛ سواء كانت تلك الأفكار دينيّة أو غير دينيّة، وشكَّلت ظاهرة اجتماعية بمعنى توجد عند أكثر الناس في المجتمع، يحاولون التَّعرف على نشأة تلك الظاهرة ومن أين جاءت هذه الظاهرة عند الناس؟ ومن أين جاءت هذه الفكرة؟

واضح أنّنا نعلّل فكرة المهدي أنَّها جاءت من الله؛ لأنّنا نُؤمن بالله وهم لا يؤمنون به، فلابدّ من أن يعلّلوها؛ وطرحوا لذلك أكثر من تعليل، وأنا أذكر تعليلين فقط وهما الأكثر تداولاً على ألسنتهم وفي كتابتهم:

التَّعليل الأول: قالوا إنَّ فكرة المهدي نشأت عند الطَّبقات المستضعفة المحرومة؛ إذا كان النُّظام جائرًا وكان الحاكم جائرًا فيضطهد هذه الطَّبقة المسحوقة، فتكون مضطهدة محرومة حقوقها، وهذه الطَّبقة هي الأكثر في

المجتمعات، هذه الطَّبقات المسحوقة المهضومة المحرومة المضطهدة أرادت أن تسلِّي نفسها وتعزّي نفسها وتخفِّف من الآلام الموجودة عندها بسبب حرمانها، فتستبقي شيئًا من الأمل في استرجاع الحقوق؛ فاخترعوا فكرة المهدي وقالو إنّ هذه الأنظمة جارت علينا لكن سيأتي يوم يخرج فيه الإمام المهدي ويأخذ حقنًا منهم وينتقم منهم، وظلَّت هذه الطبقة تعيش على هذا الأمل.

فيرى المستشرقون أنّ حرمان الطَّبقات المضطهدة هو السَّبب في خلق هذه الفكرة، هذا تعليل لإستبقاء الأمل لدى هذه الطّبقة، فيبقى الأمل عند الإنسان في أنّ حقَّه سيرجع له، وهذا يكفي بأن يخفِّف من آلامه.

**التعليل الآخر**: يأتي من جانب الحكَّام وليس من جانب الطَّبقات المحرومة المضطهدة، فالحاكم قد يكون جائرًا ويريد أن يحافظ على الحكم ـ وكما تسمعون هذه الكلمة (المُلك عقيم) ـ فيتوسَّل بشتى الوسائل للمحافظة على هذا الحكم، وأهم وسيلة أن يخدِّر الشَّعب؛ لأن لا يثور عليه، ومن أقوى وسائل التَّخدير أن يطرح فكرة المهدي، وأن الثَّورة في الدنيا يستحيل أن تتحقَّق من شخص غير الإمام المهدي، بعدها أنا لا أفكِّر أن أقوم بثورة وأنت لا تفكِّر أن تقوم بثورة وكلّ إنسان لا يفكِّر، وننتظر إلى أن يخرج الإمام المهدي، والحاكم هذه فرصته فيخدِّر الشَّعب بهذه الفكرة، وأنَّه من غير الممكن أن تقوم ثورة إسلامية قبل ثورة الإمام المهدي.

مجموعة من المستشرقين يعلِّلون بهذا التَّعليل.

**فكرة التَّعليل الأوّل**: لنرى من أين جاء هذا التعليل؛ يقول الفيلسوف الألماني نيتشه (ت: ١٩٠٠م): (**إنَّ الدِّين والإله من صنع الطَّبقات المحرومة المستضعفة**

**واختراعاتهم؛ ليحدّوا بها من استغلال الأثرياء وطغيان الأقوياء الحاكمين)**[١].

يريد أن يقول: إنَّ الدِّين ليس منزل من الله، لماذا؟ لأنَّه لا يوجد شيء اسمه الله، (الله) الإنسان هو من خلقه، ولماذا خلق الإنسانُ الله؟ نحن نعتقد أنَّ الله هو الذي خلق الإنسان، وهذا يقول العكس: الإنسان خلق فكرة الإله، خلق الفكرة وجعلها في ذهنه وصنع هذا الدِّين الذي ينسبه إلى الإله؛ ليقف به أمام استغلال هؤلاء الحاكمين الظالمين، ليقولوا لهم أنتم تريدون أن تظلمونا، ولكن سيأتي يوم القيامة والله سينتقم منكم، ويأخذ حقَّنا منكم، فهو بكلّ صراحة يقول: إنَّ الدِّين ليس من الله، أو أكثر من هذا فكرة الإله هي مصنوعة من قِبل الإنسان، فإذا كان الدِّين هكذا، إذًا فكلّ الأفكار الدِّينية هي مصنوعة من قِبل الإنسان، ومن جملتها فكرة المهدي فهي فكرة دينية فهي مصنوعة من قِبل الإنسان. هذا اعتقادهم كما أشرت.

**أما التعليل الثاني**: كتاب (البيان الشيوعي) والذي يُعتبر أهمّ وثيقة للشيوعية، فيه مجموعة من فلسفتهم وأفكارهم، يقول: **(إنَّ الدّستور والأخلاق والدِّين كلّها خدعة البرجوازية وهي تتسترّ وراءها من أجل مطامعها)**[٢]؛ فخلقت الدِّين لتخدِّر به الشُّعوب حتى تُحقِّق مآربها كما تريد، وفكرة المهدي فكرة من الأفكار الدِّينية.

يقول لينين (ت: ١٩٢٤م) ـ وهو من أوائل القيادات الشيوعية بعد كارل ماركس (ت: ١٨٨٣م) ـ في المؤتمر الثالث لمنظمة الشَّباب الشيوعي الذي عقد

---

(١) نقلاً عن الشَّيخ عبد الله نعمة، عقيدتنا: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) نقلاً عن المصدر السابق: ٢٦.

في أكتوبر سنة (١٩٢٠م)، يقول بكلّ صراحة: (**أنّا لا نؤمن بالإله، ونحن نعرف كلّ المعرفة أنَّ أرباب الكنيسة والإقطاعيين البرجوازيين لا يخاطبونا باسم الآله إلاّ استغلالاً ومحافظة على مصالحهم**)[١].

إذًا هم يخلقون ـ هكذا يقول ـ الأفكار الدِّينية للحفاظ على مصالحهم.

هذا تفسير من التَّفسيرات التي تُذكر من قِبل المستشرقين لفكرة المهدي.

## نقد التَّطبيق الاستشراقي للمنهج التَّجريبي

موقفنا من هؤلاء المستشرقين يأتي من عدة جوانب:

**أوَّلاً**: التَّناقض في التَّعليل، مرَّة يقولون أنَّ الطَّبقات المحرومة هي التي خلقت الدِّين، وبالتالي خلقت فكرة المهدي، ومرَّة أخرى الطَّبقات المنعَّمة والطَّبقات الحاكمة هي التي خلقتها، هذا تناقض فإمّا هذه الطَّبقة وإمَّا هذه الطَّبقة، والتَّناقض يدل على أنَّ الفكرة موجودة قبل هؤلاء، وهؤلاء جاءوا واستغلّوا الفكرة، إلاّ أن تكون الطَّبقات المحرومة جاءت واستغلَّت هذه الفكرة لأنَّها موجودة عند المسلمين، وقد يكون الحكَّام أيضًا استغلّوا الفكرة، وهي موجودة، وإلاّ لا يمكن ذلك لأنَّه سيحصل تناقض فيه؛ إمَّا هذه الطَّبقة تخلق الفكرة وتتبناها الأخرى، أو الطَّبقة الأخرى تخلق الفكرة وتتبنَّاها الثانية.

**ثانيًا**: ثم هذه الاستنتاجات غير مدعَّمة بدليل، فأنت عندما تراني أنا أؤمن بالدِّين المفروض أن تسألني عن دليلي على الإيمان بالدِّين، لا أنَّك تأتي وتفسّر من نفسك؛ وتقول أنت آمنت بالدِّين لأنَّ الحكَّام أملوا عليك هذه الفكرة، أو لأنَّ

---

(١) المصدر نفسه.

البرجوازيين أوالإقطاعيين أملوا عليك هذه الفكرة، أو لأنَّك من الطَّبقات المحرومة وتريد أن تُسلِّي نفسك، المفروض أن ترى ما هو دليلي على الدِّين، وفي ذلك الوقت إذا أنا ما استطعت أن أُقيم الدَّليل على أنَّ الدِّين من صُنع الله يمكن لك أن تأتي وتتأوَّل هذه التَّأويلات. أمَّا أنَّك أنت تستنتج لأنَّك لا تؤمن بوجود إله، فهذا شيء غير علمي ولا يتماشى مع المنهج العلمي.

أكثر التعليلات السابقة جاءتنا من علم الاجتماع، هناك علم الاجتماع الدِّيني وهو فرع من فروع علم الاجتماع وهو مبني على عدم الإيمان بالله، وعلى أنَّ الدِّين من صُنع الناس، للأسباب التي يذكرونها؛ من جملتها الأسباب التي أشرنا إليها، وفكرة المهدي كانت موجودة كعقيدة قبل مجيء إميلدوركيم (ت:١٩١٧ م) وأمثاله.

لا أريد أن أتناول الفكرة من ناحية عقائدية، وإنّما سأتناولها من ناحية تأريخية: كان الناس يستدلّون عليها بالنُّصوص الشَّرعية وبالأدلّة العقلية، ويستدلّون على الدِّين بأنَّه من الله بالأدلَّة العقلية وبالأدلَّة النَّقلية، صحيح استُغلَّت هذه الفكرة ـ والتَّأريخ يثبت لنا هذا ـ واستغلالها واضح، فكثير من الثُّوار ادَّعوا المهديّة، ومنهم:

ـ **عبيد الله بن محمَّد المهدي الفاطمي (ت: ٣٢٢هـ)** كان في القرن الرابع في المغرب، جدّ الفاطميين أصحاب الدَّولة الفاطمية في المغرب وفي مصر.

ـ **ابن تومرت (ت: ٥٢٤هـ) كان هذا في القرن السادس، ادَّعى المهدوية أيضًا** كان في المغرب.

ـ **المهدي النُّصيري**، زعيم الفرقة النُّصيرية المعروفة التي هي إحدى فرق

الغلاة، هذا كان ادَّعى أنَّه المهدي.

ـ **المهدي السوداني** (ت: ١٣٠٢هـ)، وهذا كان في بدايات القرن الرَّابع عشر، وهو من ينتسب إليه الآن المنتسبون إلى المهدي، أيضًا هذا ادَّعى المهديّة.

المعنى أنَّ فكرة المهدي ثابتة عند المسلمين، وأنَّها ليست من صنعهم وإنَّما هي من الله ولذا تُستغل من قِبل الآخر؛ فلو كانت من صنعهم لم تُستغل.

كان هناك أيضًا في سنة ١٤٠٠هـ مَن ظهر في مكة، ادَّعى هو وجماعته أنَّه المهدي، ونادوا باسمه أنَّه المهدي، وكانت شائعات في أنَّه مهدي الشِّيعة قد خرج بمكة.

إذًا استُغلَّت فكرة المهدي؛ لأنَّها ثابتة عند المسلمين، أمَّا هذه التَّفسيرات التي تُذكر من قِبل المستشرقين قد لا يكون لنا معهم كلام، ولكن كلامنا مع المسلمين الذي يتأثَّرون بالمستشرقين مثل: **الأستاذ أحمد أمين المصري** (ت: ١٩٥٤م) في كتبه (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) وكتابه (المهدي والمهدوية) في (سلسلة أقرأ) أيضًا يذهب مذهب المستشرقين أنَّ هذه الفكرة مخلوقة.

نحن عندنا حوالي [١] ٤٠٠٠ حديث مروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن طريق الصحابة وعن طريق أهل البيت، وعدد الرواة ضخم جدًّا، وقلت أنَّه لا توجد فكرة وردت فيها أحاديث بهذه الكثرة وبهذه الوفرة، إذا كانت هذه الفكرة نتركها مع وجود هذه الوفرة من الأحاديث فلن تبقى عندنا فكرة أبدًا؛ لأنَّ كل الأفكار الأخرى والأحاديث والنّصوص التي وردت فيها

---

(١) لاحظ ما ذُكر من روايات في منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، الشَّيخ لطف الله الصافي.

أقلّ منها من حيث العدد بفاصل كبير.

أثرتُ هذا لأنَّ فكرة المستشرقين استُغلَّت في الآونة الأخيرة عندما صارت الحملة القويّة ضد الشّيعة والتي صدَّرت أكثر من ٢٠٠ كتابًا تهجُّم على الشّيعة، وقد أخذوا يرددُّون كلمات المستشرق مع إيمان هؤلاء الكُتّاب ـ الذين هم مسلمون ـ بالحديث المتواتر؛ ولكن لغايات معينة أخذوا يرددُّون كلمات هؤلاء المستشرقين.

أثرتُ هذا لأنّه ربما تقرأون شيئًا منه.

## كيف نثبت الدِّين؟

كيف نُثبت الدِّين؟ وفكرة المهدي ـ وهي جزء من الدِّين ـ عقيدة دينية؟

تسمعون أنتم بكثرة من العلماء والخطباء والمثقّفين أنَّ الدِّين يَثبت بالإعجاز، والنبي عندما يدَّعي النّبوة لابدّ أن يأتي بمعجز يصدِّق نبوَّته، فإذا جاء بالمعجز وصدَّق نبوَّته فيعني أنّه مرسَل من قِبل الله، وما يأتي به يكون من قِبل الله فيثبت صدقه.

والشيء الثاني، ربما نتمشّى مع طبيعة الدِّراسات الحديثة؛ فأمامنا الدِّين الإسلامي، والدِّراسات الآن موجودة بشكل كبير حول الدِّين الإسلامي، ونرى مطابقته لطبيعة الإنسان، فإذا قارنَّا الدِّين الإسلامي بالأديان الأخرى وبالأنظمة والقوانين الموجودة، سواء في مجال الاقتصاد أو مجال الاجتماع أو في أي مجال آخر، نرى الدِّين الإسلامي يتمشّى مع طبيعة الإنسان، بينما في تلك الأنظمة الأخرى نجد فجوات وهفوات، وهذا دليل على أنّه مِن الله؛ لأنّه لا يعرف

طبيعة الإنسان إلاّ خالق الإنسان، فلو كان الدِّين الإسلامي من صُنع الإنسان فستكون فيه الفجوات الموجودة في الأنظمة الأخرى، والهفوات الموجودة في الأنظمة الأخرى.

# التاريخ وقضيّة المهدي عليه السلام

بعد هذه المرورة السّريعة في الموقف من فكرة الإمام المهدي.

قلت أنّ البحث جانبين، جانب الفكرة والتأريخ، أنتقل باختصار إلى جانب التأريخ.

قلتُ أنَّ فكرة الإمام المهدي موجودة عند كلّ المذاهب الإسلامية، باستثناء الخوارج والزَّيدية، وأوضحت أنَّ الزَّيدية يؤمنون عمليًّا وإن لم يؤمنوا قولاً بفكرة المهدي.

التأريخ الموجود عند الشِّيعة وعند الإماميّة بالذَّات، يقول أنَّ الإمام المهدي هو محمَّد بن الحسن العسكري وُلد سنة (٢٥٥هـ)، وبدأت غيبته الصغرى سنة (٢٦٠هـ)، ولمدة ٧٠ سنة تقريبًا، ثم بدأت الغيبة الكبرى.

كيف نُثبت هذا؟ هذا لا يأتي بالاستنتاج وإنَّما بالشُّهود، ولذا فإنّ الإمام العسكري (عليه السلام) (ت: ٢٦٠هـ) احتاط لهذه القضية تمام الاحتياط، فعندما وُلد الإمام محمَّد المهدي بعث رسالة ـ وهذا أوَّل إعلان عن ولادة الإمام المهدي للشيعة ـ إلى أحمد بن اسحاق[1] زعيم الشِّيعة في قم وكان فيها حاولي ٢٠٠ ألف راويًا؛ فكانت كثرة الشِّيعة في ذلك الوقت فيها، فبعث له خطابًا يبشِّره بولادة ابنه محمَّد.

وأيضًا بعد هذا استدعى الإمام العسكري أربعين من خلَّص الشِّيعة وأدخلهم إلى البيت وأخرج لهم الطِّفل ليروه، وقال هذا (إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم)[2]، ثم كانت مواصلة لإتصال الشِّيعة لمعرفة الإمام المهدي،

---

(١) الشَّيخ المجلسي، بحار الأنوار ٥١: ١٦.

(٢) المصدر نفسه ٥٢: ٢٦.

فكان هناك شهود عيانيّة وشهود حسّية ككلّ قضية حسّية تحتاج إلى شهود، وهذا موجود عندنا من ناحية تأريخية.

## امتداد العمر، الإمكان والوقوع

امتداد هذا العمر يمكن أن يُستدل عليه كما يَستدّل عليه الخطباء بالطّرق الدِّينية:

١. فإذا كنَّا نكذِّب عُمر المهدي فسوف نكذِّب عُمر نوح الذي ذكر القرآن أنّه ٩٥٠ سنة فقط هو في قومه يدعوهم، فمن الممكن أن يتجاوز عمره ألف سنة.

٢. عيسى رفعه الله إليه ولم يمت؛ فإذا أردنا أن نكذِّب طول عُمر المهدي سنكذب القرآن في قضية عيسى، وفي قضية الخضر هذه من ناحية.

ومن ناحية علمية: أثبتت الدِّراسات ـ ونُشر هذا في (مجلة المقتطف)[1] قديمًا، والآن في أكثر من كتاب نُشر أنَّ الإنسان بإمكانه أن يعيش مدَّة طويلة فيما إذا هُيِّئت له الظروف لتستمر الخلايا تبني الخلايا؛ لأنَّه عندما يكبر الإنسان تقف خلاياه وتبدأ بالفناء، فحتى من ناحية علمية ثبت هذا الشيء؛ فلا مجال أن نكون كمسلمين متأثِّرين بالمستشرقين ونأخذ ما يكتبون إلاّ لغاية في نفوسنا، وطبعًا الغاية التي كانت هي تشويه سمعة الشِّيعة بعد الثَّورة الإسلامية؛ لأنَّ كلّ هذه الكُتب التي صدرت كانت في هذه الفترة، لينفر الناس من الشِّيعة فينفرون من الإسلام.

(١) السَّنة الثَّانية عشرة، ٢٠ شعبان ١٣٠٥هـ الجزء ٨.

# خاتمة

الوضع العالمي الآن، هو في الواقع إرهاص يدلّ على قرب وقت الظهور، فالدَّعوة إلى نظام عالمي لم تكن موجودة، وكان الذي يقول بها يُستسخف عقله؛ لأنَّه غير معقول أن يكون عندنا نظام واحد للعالَم كلّه، يعني العالَم كلّه يكون دولة واحدة أو يخضع لنظام واحد!

ولكن الآن هناك مناداة بالنِّظام العالمي الواحد، في أمريكا وأوروبا والدَّعوة قائمة، وما يُنشر وما يُطبع وما يكتب بشكل غريب، والناس تتوقَّع الآن نتيجة الصِّراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية انتصار أحد النِّظامين؛ إمَّا النِّظام العالمي الغربي أو النِّظام العالمي الإسلامي.

النِّظام العالمي الإسلامي في حدود اعتقادنا كشيعة وكسُنَّة كذلك لا يتحقَّق إلاّ من قِبل الإمام المهدي (عليه السلام)؛ تصديقًا لقوله تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1]، وهي الآية التي بدأنا بها المحاضرة، فالإرهاصات ـ بدون أن نستعرض العلامات التي تُذكر في الروايات ـ التي تحدث الآن قويّة وموجودة، وإستعداد المسلمين الآن والتَّوجه للاستعداد العسكري، فكلّ الدّول الإسلامية الآن تستعدّ استعدادًا عسكريًا ضخمًا تحاول أن تتحوَّل إلى دول صناعية تمتلك الصِّناعات الضَّخمة، لتكون هي الدّول الكبرى في العالَم، كلّ هذا إرهاص يدل على خروج الإمام المهدي؛ لأنَّه الوحيد الذي يحقِّق لنا الدَّولة العالمية.

اللَّهم إنَّا نرغب إليك في دولة كريمة تُعزّ بها الإسلامَ وأهله، وتُذلّ بها النِّفاق

(١) التوبة: ٣٣.

وأهله، وتجعلنا فيها من الدُّعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدُّنيا والآخرة.

والحمد لله ربِّ العالمين.

# فلسفة الانتظار العملي(*)

(*) أُلقيت سنة ١٩٩٤م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطَّيبين الطَّاهرين.

أشكر الأخ على تفضّله، وأودّ أن أُعرب أنّني دون ما أثنى به فضيلة الشَّيخ بكثير؛ فما أزال طالبًا في طريق التَّحصيل العلمي، وإذا كنتُ آية من آيات الله فكلّ مخلوق هو آية من آيات الله، فالتَّعبير بآية أودّ أن ينصرف بهذا المعنى.

وأكرّر شكري للأخ الشَّيخ على ثنائه وانطباعه.

يا مشرق النّور إنَّ اللَّيل معتكر تجهَّمت منه آفاق وأنحاء
متى نرى الفجر يمحو كلَّ داجية وتستجدّ في هذا الكون أضواء
هذه الركائب في الصحراء قد وقفت حيرى وفي البيد أهوال ورمضاء
وذي السفينة والأمواج صاخبة لا يستقيم لها في اليمّ إرساء
قل للجحافل تنهض من مراقدها فقد خلت من صهيل الخيل بيداء
ولبِّ للحق يا بن الحقّ دعوته فقد عراه من التَّضليل إعياء
كتيبةَ الله لم تهدأ على ترة أو تستجب للتغاضي وهي خرساء

سأحاول أن أتناول معنى (الانتظار) بالتَّوضيح وفي حدود الاختصار والتَّركيز، وسأتناول الموضوع من جانبين:

**الجانب الأوّل**: من التّراث وما ورد حول وفي معنى الانتظار من الروايات والفتاوى.

**والجانب الثاني**: من الواقع المعاش؛ الواقع الذي نعيشه بماذا يفسِّر (الانتظار).

## اتّجاهات الروايات في تفسير الانتظار

من جانب الروايات؛ أو الجانب الأول: هناك روايات تؤكِّد على الانتظار، وأن لا ينسى المسلمون أو يتناسوا فكرة الانتظار؛ فدائمًا ينبغي للمسلم أن يكون على تذكّر وترّقب لخروج الإمام المهدي (عليه السلام)، والروايات نفسها تشير إلى أنَّ الإنسان إذا كان منتظِرًا ويترقَّب ظهور الإمام المهدي يثاب على هذا التَّرقب، ويثاب على هذا الانتظار[1].

هناك روايات أخرى إلى جانب هذه الروايات تفسِّر الانتظار بالاستعداد؛ أن يكون المسلمون على استعداد لظهور المهدي، والروايات هنا أيضًا تأتي على مجموعات: بعضها يفسِّر الاستعداد بالاستعداد العسكري، وارد في بعض الروايات أنَّه ينبغي للمسلم أن يكون لديه ولو سيف، وهذا كناية عن الاستعداد العسكري لخروج الإمام المنتظر.

وهناك مجموعة أخرى من الروايات تفسِّر الانتظار بالتَّهيؤ فكريًّا لخروج الإمام المنتظر، وسأوضح بعد هذا معنى فكريًا، وماذا يراد بالتهيؤ الفكري لخروج الإمام المنتظر، وكيف يتهيَّأ المسلمون ويستعدون فكريًّا لخروج الإمام المنتظر.

هناك بعض الروايات قد يُفهم منها الاستسلام؛ وأنَّه في فترة الانتظار على المسلم أن يستسلم للواقع ولا يتحرَّك لا هنا ولا هناك[2]. هذه الروايات على قلَّتها هي ضعيفة السَّند؛ ولا أقول رجعت إليها جميعًا، وإنَّما رجعت إلى بعضها

---

(١) لاحظ مثلاً: الشَّيخ الصدوق، كمال الدِّين وتمام النعمة: ٢٨٧.

(٢) لاحظ مثلاً: الشَّيخ الطوسي، الغيبة: ٤٤١.

لأتعرَّف سند هذه الروايات؛ فرأيتُ هذه الروايات ضعيفة السَّند.

مضافًا إلى أنَّ هذه الروايات لا تقاوِم الروايات الأخرى؛ لأنَّ الروايات الأخرى من حيث الكثرة إن لم تبلغ حدَّ التواتر فهي تبلغ حدَّ الاستفاضة.

فمن هنا: هذه الروايات لا تصادم ولا تناهض تلك الروايات الأخرى.

هذا ملخَّص ما جاء في الروايات.

## اتّجاهات فقهية في الانتظار

في الفتاوى، فتاوى العلماء التي عادة تقوم على أساس من هذه الروايات أو على أساس ما يسمى في الفقه الجعفري ـ بالذّات ـ بالعناوين الثّانوية؛ يعني أنَّ الفقيه الإمامي يحاول أن يتعرَّف الظروف المحيطة أو الظروف السَّابقة لخروج الإمام المهدي؛ الظروف التي يعيشها المسلمون ـ مثلاً ـ في عصره ومن خلال معرفته لهذه الظروف، يقدِّر ما ينبغي أن يُعطى من فتوى هنا.

١ـ هناك من الفتاوى ما يُوجب تطبيق الأحكام الإسلامية على المسلمين في فترة الانتظار، هذه فتوى أكثر الفقهاء، فأكثر الفقهاء يقولون لا يجوز تعطيل الحدود ولا يجوز تعطيل الأحكام ترقّبًا لخروج الإمام المهدي؛ بل يجب على المسلمين أن يقوموا بتطبيق الأحكام الشرعية، وفي كلّ مجالات الحياة اجتماعيةً واقتصاديةً وسياسيةً وعسكريةً وإلى آخره....

وهذا رأي أكثر الفقهاء، أو تقريبًا جُلّ الفقهاء بما يقرب من الإجماع.

٢ـ هناك من الفقهاء ـ وهم قلَّة ـ يذهبون إلى وجوب ـ أيضًا ـ تطبيق الأحكام الإسلامية ولكن عند الأمن من الخطر، وعندما أقول تطبيق الأحكام الإسلامية؛ أعني بذلك كما يعنون: إقامة دولة إسلامية تطبّق الحكم الإسلامي.

عندما يقولون يجب تطبيق الأحكام الإسلامية عامة هم يعنون بهذا: أن يعمل المسلمون على وجود حكم إسلامي في بلدانهم وفي مجتمعاتهم.

هؤلاء الفقهاء الآخرون يقولون هذا الوجوب مقيَّد بالأمن من الخطر، وهؤلاء الذين يقولون هذا الوجوب مقيّد بالأمن من الخطر يقولون إذا لم يكن هناك ـ كما يعبِّرون ـ ضرر على (بيضة الإسلام)؛ يعني إذا لم يكن هناك ضرر على

الإسلام كمبدأ أو على المسلمين كأمَّة، في هذه الحالة يرتفع هذا الشَّرط، وحتى لو كان هناك خطر على المسلمين أن يتحمَّلوا هذا الخطر، ويقيموا أو يحافظوا على الإسلام كمبدأ وعلى المسلمين كأمَّة.

٣ـ وهناك فئة قليلة تذهب إلى ما يسمَّى ـ طبعًا لا يصرّحون بهذا التَّصريح في الواقع ـ إلى ما يسمى (فصل الدِّين عن الدّولة) أو (فصل الدِّين عن السِّياسة) وهو أنَّ نركن إلى الاستسلام ونترك كلّ شيء.

الواقع لا يوجد لدينا روايات أو نصوص يُستفاد منها هذا المعنى، بالإضافة إلى أنَّ هذا المعنى يصطدم مع الضَّرورة من الدِّين؛ فالضرورة من الدِّين تفرض على المسلم ـ متى استطاع ـ أن يُقيم بالدِّين الحكم الإسلامي؛ يجب عليه أن يُقيم الدِّين الإسلامي، وهذا لا خلاف فيه.

هؤلاء الذين يقولون هذا القول قد يستفيدون هذا من ظروف معيَّنة أو لخلفيات أو شبهات، لكن مع هذا يبقى هذا الرَّأي بعيدًا كلّ البعد عن طبيعة الإسلام وواقع الإسلام كنظام للحياة؛ لأنّ هذا يعني تعطيل الإسلام كنظام للحياة وهذا لا يجوز، وإذا كان هناك شيء يمكن أن يُتشبَّث به فهذا لا يسوّغ لنا أن نقول أنَّ الإسلام يُعطَّل ولا يُطبَّق حتى يخرج الإمام المنتظر.

هذا خلاصة ما يدور في فَلَك الروايات أو في إطار الفتاوى.

## الوضع العالمي وما يفرضه على المسلمين المنتظِرين

الجانب الثاني؛ وهو الذي أريد أن أتحدَّث عنه بجانب من التَّفصيل، وربما يعنينا أكثر من الجانب الأول؛ هو الوضع العالمي الذي يعيشه المسلمون اليوم، والذي يعيشه الناس الآخرون غير المسلمين، ما يسمى سياسيًّا ـ الآن ـ بالوضع العالمي، هذا الوضع العالمي ماذا يفرض على المسلمين وهم ينتظرون خروج الإمام المهدي (عليه السلام)؟

أريدُ أن أركِّز على هذه النقطة بالذَّات؛ لأنَّنا نحن هنا جزء من العالم، جزء من المسلمين في مختلف ربوع العالم المأهول وجزء من العالم ككّل، فما ينتهي إليه الوضع العالمي من نتيجة سنحصل على نصيبنا من تلك النتيجة؛ إن كانت تلك النتيجة خيرًا فلنا نصيبنا من ذلك الخير، وإن كانت تلك النتيجة شرًا فلنا نصيبنا من ذلك الشَّر.

فإذًا كلّنا جزء من هذا العالم ينبغي أن نتحرَّك كما يتحرَّك هذا العالم.

العالم الآن يتحرَّك بانتظار تغيير لهذا الوضع، كلّ العالم الآن يتحرَّك بانتظار تغيير لهذا الوضع.

قبل أن أوضِّح هذه النقطة بالذَّات، كيف دخلنا نحن بهذا الوضع نحن المسلمون؟

### الطابع السياسي للحضارة الإسلامية

المسلمون يمتلكون حضارة من أهم الحضارات التي جاءت لهذه الدنيا وتعيش في هذا الكوكب، هذه الحضارة التي نسمّيها بالحضارة الإسلامية دخلت

معترك الصِّراع مع الحضارة الغربية؛ أو بتعبير أدقّ الحضارة الأوربية كما يسمّونها.

فعندما تدخل ـ يعني حضارتنا ـ معترك الصِّراع معناه نحن أيضًا دخلنا معترك الصِّراع؛ والإنسان الذي يدخل معترك الصِّراع ـ المفروض ـ أن لا يدخل بغير سلاح، وأن يحمل معه سلاح على الأقل يدافع به عن نفسه.

كيف أخذت حضارتنا الطَّابع السياسي حتى دخلت معترك الصِّراع؟ والحضارة التي ليس لها طابع سياسي قد لا تسمَّى حضارة، وإذا سُمّيت حضارة فلا يهتم بها من قبل الآخرين.

الصِّراع يأتي فيها إذا أخذت الحضارة طابعًا سياسيًا.

سأتدرَّج مع هذا من عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ففي عصر الرسول كانت بدايات اصطباغ الحضارة الإسلامية بالطابع السياسي عندما كان النبي (صلى الله عليه وآله) في مكة قبيل أن يهاجر إلى المدينة، وتمثَّل هذا في بيعة العقبة، وإذا رجعنا إلى الوثيقة التي كُتبت في بيعة العقبة، ولمن يريد منكم ليرجع لهذه الوثيقة؛ هناك كتاب عنوانه (مجموعة الوثائق السِّياسية للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة) للدكتور محمَّد حميد الله (ت: ٢٠٠٢م)[1]، في هذا الكتاب وثيقة العقبة،

(١) وهو حقيقة من الكتب المهمة جدًّا، بذل مؤلِّفه مجهودًا كبيرًا في تجميع هذه الوثائق، فبعض الوثائق عثر عليها في كنائس عند المسيحيين، ووثيقة إسلامية بخط علي (عليه السلام) وبإملاء الرسول وعليها الختم الشَّريف لرسول الله توجد في الكنيسة المسيحية ولا توجد عند المسلمين!! يعني كيف يعطينا هذا عن مدى إهمال المسلمين لما هو مجد ومفخرة واعتزاز حتى يسقط عند أولئك ويعتزّون بها مع أنَّهم لا يعترفون بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله)، لكن لأنَّها وثيقة صدرت من إنسان عظيم مرَّ في هذا التأريخ ←

وفيها كيف أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) تعاهد مع الأنصار ـ يعني مع الأوس والخزرج ـ على أن يحموه ويحملوا رسالته إلى العالَم، وهذا شأن سياسي.

ثم لما هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة المنورة وأنشأ الدَّولة الإسلامية، وهذا لا خلاف فيه فكل المسلمين وكلّ العالَم ـ حتى غير المسلمين ـ يقولون إنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) عندما هاجر إلى المدينة المنورة أقام الدّولة الإسلامية، وأوَّل دستور للدّولة الإسلامية ـ ويُعرف بدستور المدينة وبوثيقة المدينة ـ وضعه النبي (صلى الله عليه وآله)، نظَّم فيه علاقات المسلمين داخل الدّولة الإسلامية، وعلاقة الدّولة الإسلامية بغير المسلمين الذين كانوا حوالي المدينة.

هذه الوثيقة (دستور المدينة) ـ موجودة في هذا الكتاب ـ تشتمل على أكثر من أربعين بندًا من البنود القانونية التي تُعطي الحضارة الإسلامية الطَّابع السياسي، وأنَّها حضارة فيها نظام ينظِّم شؤون الناس في هذه الحياة.

طبعًا، جُعل لجانبها وثائق أخرى لكن كانت هذه الوثيقة هي الوثيقة الأهم والوثيقة الأساسية.

في عهود الخلفاء بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ـ ما يُسمَّى بعهد الخلافة الراشدة ـ كانت هناك وثائق لكنها قليلة يعني ليست بتلك الكثرة ولا بتلك

---

احتفظوا بها.

هذا الرَّجل جمع هذه الرسائل، وحتى وثيقة ترتبط ببلدكم هنا ـ الأحساء ـ وهو الكتاب الذي وجهه النبي (صلى الله عليه وآله) للمنذر بن ساوى العبدي أيضًا موجود، لكنه ليس بخط علي؛ لأنّ خطّ علي متميز ولكن عليه الختم. موجود بزاوية من زوايا اوروبا واستطاع أن يصوّرها. (منه)

الأهمية إلا وثيقتين:

**١. وثيقة كانت من الخليفة عمر بن الخطاب ككتاب وجَّهه إلى أبي موسى الأشعري في القضاء عندما عيَّنه قاضيًا،** ويُعرف بكتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري في القضاء؛ أعطى شيئًا من التعليمات حول إدارة شؤون القضاء، هو مرجع من المراجع التي يُرجع إليها وبخاصة في الفقه السُّني، فهم يرجعون إلى كتاب عمر في القضاء، ويأخذون من التعليمات الموجودة فيه، وأكثرها ترتبط بآداب القضاء، وهذا لا نستطيع أن نعدّه جزءًا كبيرًا من السِّياسة؛ هو جزء ولكن ليس جزءًا كبيرًا من السِّياسة، فالقضاء قد يتحقق من دون أن تكون هناك دولة إسلامية قائمة، إلاّ أنها وثيقة وتُعتبر من الوثائق التي يُرجع إليها عادة.

**٢. وفي عهد علي (عليه السلام) كانت الوثائق السِّياسية بكثرة،** و(نهج البلاغة) ممتلئ بهذه الوثائق السِّياسية، وأهم وثيقة كانت من الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هي عهده أو كتابه إلى واليه على مصر **مالك الأشتر**، فعندما ولاّه على حكم مصر وجه إليه كتابًا؛ هذا الكتاب في الواقع من أروع ما كُتب في السِّياسة الداخلية والسِّياسة الخارجية؛ أعطاه بنودًا قانونيّة لينظِّم فيها الشؤون الداخلية للمسلمين في مصر وكذلك الشؤون الخارجية. وهذا العهد عهد الإمام علي (عليه السلام) **لمالك الأشتر** ـ أنا أقدِّر ـ لو كان عند غير الشِّيعة لكُتب بالذّهب، ولشرح بآلاف ـ وليس مئات ـ الشروح ولاهتُمّ به اهتمامًا كبيرًا وعُني به عناية فائقة، لكن الذي حصل أنَّ هناك عناية لكن قليلة، له بعض الشروح، ولعله من أفضل الشروح هو لدكتور سُني ليس أستاذ شيعي أو عالِمٍ شيعي، يعني في حدود اطّلاعي على شروح العهد.

بعد علي (عليه السلام) (ت: ٤٠هـ) توقَّفت الوثائق، فما كان هناك وثائق

نستطيع أن نعدّها وثائق ذات أهمية؛ يعني وثائق في العهد الأموي وفي العهد العباسي وفي العثماني، بعد هذا في عهدنا وسوف أتحدَّث عن هذا.

الحضارة التي تملك دستورًا للحياة وتملك نظامًا للحياة، لديها فلسفة تفلسف فيها نظرتها إلى لكون والإنسان والمجتمع والحياة، هذه الحضارة تُعتبر من الحضارات القويّة، والذين لديهم أطماع لابدّ أن يحسبوا حسابًا لهذه الحضارة.

## الصّراع بين الحضارتين الإسلامية والأوربية

لابدّ أن نفهم أنَّ الغربيين دخلوا البلاد الإسلامية واستعمروا البلاد الإسلامية لفترة من الزمن وركَّزوا على اختراق الحضارة الإسلامية.

سأبدأ الآن بأعطاء فكرة عن الصّراع الحضاري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية أو الحضارة الغربية: بدأوا بعملية الاختراق؛ والاختراق ـ طبعًا ـ مصطلح اجتماعي سياسي، يعني أنَّه إذا كان هناك جماعة متماسكين ويكوّنون صفًا واحدًا، وجسمًا واحدًا، تأتي وتخترق هؤلاء وتشقّهم، إذا شققت الصف ضعُفت الجماعة، هذا يسمّونه اختراقًا.

كيف تمّ الاختراق؟

عندما دخلوا البلاد الإسلامية أنشأوا المدارس، يعني باختصار كان بيدهم وسائل التربية والتعليم، ووسائل الإعلام ـ طبعًا ـ الإعلام كان في ذلك الوقت بسيطًا وليس كما هو الآن وفرضوه على المسلمين فرضًا.

والحضارة الغربية بدأت تتحرَّك هذا التَّحرك من بداية القرن التاسع عشر يعني سنة ١٨٠٠م أو أزيد بقليل، في ذلك الوقت كان المسلمون في حالة ضعف من بعد سقوط الدّولة العباسية ومجيء المغول والدّول المتفرّقة ومجيئ الدّولة

العثمانية، ولم يكن عندهم الاستعداد الفكري في الوسائل والأساليب، فهم لديهم الفكر لكن في الوسائل والأساليب لم يكن لديهم نفس الاستعداد الموجود عند الغربيين.

الغربيون استعملوا وسائلهم واستعملوا أساليبهم ودخلوا وهيمنوا على المسلمين وأصبحت الحضارة الإسلامية تعاني من شيء يشبه الانهزاميّة، وبقي هذا الوضع إلى بعد الحرب العالمية الأولى ـ تقريبًا ـ يعني إلى أوائل القرن العشرين ١٩١٤م.

في ١٩٢٠م بدأ المسلمون يتحرَّكون في الدفاع عن أنفسهم، هم لا يريدون أن يخترقوا الحضارة الغربية، ولكن يريدون أن يدافعوا ضدّ هذا الغزو الأوربي الذي دخل إليهم وهيمن على حضارتهم، فكانت ثورة العشرين بالعراق وكانت الثورات الأخرى.

قام المسلمون أيضًا بفتح مدارس أهلية وقاموا بعمل إصدار مجلات وإصدار كُتب وفتح مؤسسات طباعيّة، هذه الوسائل التي تساعد على مقاومة الفكر الأوربي يحرّك بها المسلمون ليدافعوا.

بدأ الصِّراع ـ الآن ـ بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية في البلاد الإسلامي؛ المسلمون يريدون أن يسترجعوا حضارتهم والغربيون لا يزالوا يهاجمون هذه الحضارة، وكُتب عن هذا الشيء الكثير.

واستمرّ الوضع على هذا إلى فترة قريبة، وقلنا الفترة التي مرَّت لم يصدر من المسلمين دستور عدا الوثائق التي صدرت.

يمكن أن نستخلص من الفقه دستورًا؛ لكن لم يُستخلص منه، وبقي الوضع إلى سنة ١٩٧٩م وهي سنة الثورة الإسلامية في إيران، ووُضِع الدستور

الإسلامي في إيران.

عندما صدر الدّستور كان له ردود فعل كبيرة إيجابية وسلبية، من ردود الفعل الايجابية:

**١. أنْ صدر البيان العالمي لحقوق الإنسان عن المجلس الإسلامي**، وهو مؤسسة موجودة في بريطانيا وتضمّ مختلف المذاهب الإسلامية، عقدوا مؤتمرًا في باريس ووضعوا البيان العالمي.

البيان العالمي متأثر إلى حدٍّ كبير بالدستور الإسلامي مع بعض الخلافيَّات الفقهية، هم نوَّهوا بالدستور الإسلامي وأطروا عليه إلى حدٍّ كبير.

**٢. عُقدت ندوات لدراسة هذه الحضارة الإسلامية التي عاد لها وجهها القانوني منها**: الندوة العالمية لاتحاد العلماء الاجتماعيين المسلمين؛ هذه الندوة عُقدت لدراسة النَّظرية السِّياسية الإسلامية، ما كان الغرب يَسمح بدراسة النَّظرية السِّياسية الإسلامية، هذه عقدت سنة ١٩٨٢م، هذه الندوة عقدت في أنديانا في أمريكا، وأيضًا صدرت وثيقة طويلة مفصَّلة في النَّظرية السِّياسية الإسلامية.

**٣. ثم عُقدت ندوة في اليونيسكو**(١) **سنة ١٩٨٢م.**

هذا من ردود الفعل التي كانت.

**٤. من ردود الفعل التي كانت أن أُفتُتح ما يقرب من ١٠٠ مركز دراسات لدراسة الفكر الشِّيعي والشِّيعة**، عندما أقول لدراسة يعني دراسة فعلاً دراسة،

(١) اليونيسكو مقرّها في فرنسا، وهي تتولّى الجانب الثقافي في العالم كلّه، ولها مكاتب في كلّ أنحاء العالم؛ يعني أنّها من المؤسسات المهمّة جدًّا. (منه)

أنا دخلت بعض المؤسسات ورأيت عندهم مكتبة كبيرة فيها جناح خاص عن الشِّيعة من أول كتاب طبع عند الشِّيعة حتى الآن، كما عندهم عن القضايا الأخرى التي ترتبط بالشِّيعة والتشيع.

**٥. في جامعة[(١)] في هذه السنة سنة ١٩٩٣م عُقد أيضًا مؤتمر لدراسة الشِّيعة والتَّشيع.**

**٦. في تركيا لمدة ثلاث سنوات مجموعة من العلماء في المعهد الإسلامي التابع لجامعة اسطنبول قاموا بدراسة الشِّيعة والتَّشيع**، وذهبوا إلى إيران ودرسوا التشيع على الطبيعة ـ كما نقول ـ وقابلوا مجموعة من العلماء ثم عقدوا ندوة ومؤتمرًا تكلَّموا فيه عن الشِّيعة وعن التشيع وعن الفكر الشِّيعي وكان فيه تركيز بما يرتبط بموضعنا أيضًا.

كلّ هذه الندوات التي تُعقد وتعدّ عن الشِّيعة والتشيع فيها تركيز على أنَّ الفكر الشِّيعي هو الفكر الأقوى في مجال الصِّراع مع الحضارة الغربية. قلت إنَّ هناك صراع قائم بين الحضارتين، وبإمكانكم ـ لمن يريد التَّوسع أكثر ـ هناك موجود في الأسواق كتاب (المواجهة بين الإسلام والغرب) للدكتور محمَّد مورو، فيه نقولات كثيرة لزعماء من أمريكا ومن أوربا، زعماء سياسيين ولمفكرين عالميين حول هذا الصِّراع وحول الحضارة الإسلامية.

**٧. أيضًا من ردود الفعل انعقاد المجمع العالمي لأهل البيت في طهران**، أيضًا هذا يُعنى بدراسة الشِّيعة، كما أولئك يعنون مع اختلاف الهدف؛ فأولئك يهتمّون بدراسة الشِّيعة والتشيع لأهدافهم، وهذا يهتم مع اختلاف الهدف بينه وبين

---

(١) لم يظهر اسم الجامعة في التَّسجيل.

الأهداف الأخرى. هذه الدراسات ونتائجها.

٨. **وتقرؤون أو تسمعون عن محاضرة الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في المعهد الإسلامي بجامعة إكسفورد**؛ نوَّه بالحضارة الإسلامية، ووجَّه نداءًا إلى الغربيين بأنّ المسيحية الآن غير قادرة على أن تقضي على المشكلات الأخلاقية الموجودة في المجتمعات الغربية، والإسلام والقرآن ـ والتعبير بالقرآن ـ هو القادر على أن يحل هذه المشكلات.

أمس أو قبل أمس كنتُ أقرأ في الصحف: إنَّ بريطانيا بدأت تخطو خطوتها لاتخاذ الدِّين أو الأديان ـ كما عبَّر الإعلام ـ كمادة دراسية وتوجيهية في المدارس.

## الصِّراع الحضاري والنتيجة النهائية

النتائج والتَّوقعات التي تُذكر من السياسيين أو من المفكرين ـ وكلّها منشورة ـ والتَّنبؤات والتقديرات هي في أنَّ الإسلام سيخرج من هذا الصِّراع منتصرًا وستنهار الحضارة الغربية، من هنا كان بعضهم صريحًا في هذا، مثل **نيكسون** (ت: ١٩٩٤م) الرَّئيس السَّابق للولايات المتَّحدة الأمريكية، أشار في مذكراته، أنّه لابدّ من الإجهاز على الحضارة الإسلامية[١]، أن نجهز على هذه الحضارة وإلاّ ستنتصر.

لماذا؟ وأنا أشرتُ في بعض محاضراتي أنَّ المؤشّر في الرَّسم البياني ـ الجامعيون

---

(١) تحدّث عن مسألة استخدام القوَّة العسكرية، فيما لو تعرَّضت المصالح الأمريكية في المنطقة للتَّهديدات حتى من القوى الثوريّة؛ في إشارة للثَّورة الإسلامية الإيرانية، لاحظ: مذكرات الرئيس نيكسون: ٨٦ ـ ٨٧.

منكم وطلاب الثانوية يعرفونه ـ في سنة ١٩٩٣م وهي هذه التي انتهت قريبًا، رأوا أنَّ المؤشر الحضاري للحضارة الغربية بدأ ينحدر بسرعة والمؤشر للحضارة الإسلامية بدأ يصعد بسرعة، وأنا رأيت الرسم البياني في بريطانيا، هم يقدِّرون ـ الآن ـ أنَّ نقطة التَّصادم بين الحضارتين لا تتجاوز سنة ٢٠٠٠ للميلادي، وقد يحصل التَّصادم قبل سنة ٢٠٠٠م.

هذا يَفهم منه الكثيرون منَّا أنَّه نوع من الإرهاصات لخروج الإمام المنتظر (عليه السلام). وأقول أرجو أن لا يخرج الإمام المنتظر ونحن لم نكن قد مهَّدنا له بشيء، ونحن نحسب أنفسنا عليه؛ فأنا شخصيًّا أخجل أن أُواجه الأمام (عل الله فرجه) وأنا لم أمهِّد له بأيِّ شيء، حتى بكلمة تُكتب أو كلمة تُقال؛ يعني أنت محسوب عليه ولا تعمل على التَّمهيد!

نحن بحاجة الآن إلى حملة ثقافية مكثَّفة لنشر فكر أهل البيت في داخل صفوفنا وفي الخارج.

إيران ـ حقيقة أقول هذا وأنا لا أريد أن أمدح، فإيران دولة وقادرة على أن تمدح نفسها وتسير بنفسها؛ لكن هذا واقع موجود ـ خطت خطوة جيِّدة في هذا المجال وتعمل الآن على دائرة معارف، وأيّ أمّة لا تمتلك دائرة معارف لا تُعتبر أمة متحضِّرة.

لماذا؟ الآن الغربيون لايعتبرون أنَّ الأمة العربية أمّة متحضِّرة؛ لأنَّها لا تملك حتى دائرة معارف، التي هي من أبسط الأشياء. بدأوا يعملون دائرة معارف، ودائرة معارف أخرى لفقه أهل البيت (عليهم السلام)، ومؤسسات ضخمة كبيرة ويدرِّس فيها علماء من مختلف أنحاء العالَم، كذلك أصدروا معجم للفقه

الجعفري يحتوي ٦٠٠ كتاب. لما أقول فقه يعني قانون، ولن تجد أمّة تملك هذه الثروة من الفقه هذه الثروة من القانون وهذه متون ليست موسوعات، وإذا أضفنا إليها الموسوعات يعني شيء ضخم جدًّا.

الآن يترجمون ٢٠٠ رسالة عملية، إلى اللّغات الأخرى؛ ليعرِّفو العالَمَ فكرَ أهل البيت، حتى يقولون إن كنتم تريدون النِّظام العالمي الذي يُسعد هذا هو النِّظام العالمي الذي يسعد.

عندهم الآن ١٠٠ دورية بين جريدة وصحيفة، خمس وعشرين باللّغة العربية وخمس وعشرين باللّغات الأخرى، والباقي طبعًا بلغتهم الفارسية.

هذا الإسهام موجود، وليكن عندنا نحن إسهام أيضًا وأنا قد ذكرتُ هذا ليس دعاية لإيران، إنّما أريد أن أقول هذا إسهام لإخوان لكم في بلاد أخرى، فليكن لكم إسهام أيضًا في هذه الناحية.

السُّنة الآن، أنا أقدِّر حقيقة وسمعت أحدهم يقول لو خرج الإمام المهدي أوَّل من نؤمن به نحن وليس الشِّيعة؛ لأنَّهم أيضًا يؤمنون بالإمام المهدي.

أقول: أعمالهم هذه التي يقومون بها من مجلاّت وصحف وكُتب تبشِّر بالإسلام هي تمهيد، أنا أعتبرها هي تمهيد لخروج الإمام المهدي، كلَّما انتشر الفكر الإسلامي من أيّ مذهب كان، هو يمهِّد أرضية للإمام المهدي (عليه السلام)، لكن نحن أولى، نحن الذين ننتظر **الإمام المهدي**.

لا نقتصر على الدعاء باللَّهم قرِّب فرجه، وندعوا ونحن نعرف أنَّ دعاءنا غير مستجاب؛ لأنَّ أعمالنا وبيئاتنا ملوَّثة وحَجَبَت الدّعاء، وأنت تقرأ في دعاء كميل (اللَّهم اغفر لي الذّنوب التي تحجب الدّعاء)، دعاؤنا محجوب ولا يُرضي الإمام

المهدي أبدًا؛ لأنَّك تدعو من نوع العادة ولا يخرج الدعاء من قلبك، لو كان الدعاء يخرج من قلبك لعملت ممهِّدًا للإمام المهدي.

وأقول كلمة أُنهي بها الموضوع: في رواية موجودة والرواية إن لم تكن متواترة فهي قريبة من التواتر، وموجودة في الكتب السُنية وتُروى في كتبنا (**إذا رأيتم الرَّايات السُّود قد أقبلت من خراسان، فأتوها ولو حبوًا على الثَّلج فإنَّ فيها خليفة الله المهدي**)[1].

فالذي أرجوه أن نتحرَّك، أنا لا أقول نستعد عسكريًا لأنَّا لسنا بمستوى هذا، أقول نستعد فكريًا ونحمل فكر أهل البيت؛ نكتب وننشر ونتحدَّث ونُحاضر كل واحد باستطاعته.

العالَم كلّه الآن يتحرَّك، وأنت الآن في معترك الصِّراع سواء ترضى أو تأبى، وستصلك نتيجة الصِّراع إنْ خيرًا وإنْ شرًّا؛ فحاول أن تساهم بشيء ما، حتى لا يخرج الإمام المهدي ونتأسَّف، الأسف لا يفيد.

فأرجو أن نكون بمستوى قضيتنا، وبمستوى رسالتنا.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) الشَّيخ المجلسي، بحار الأنوار ٥١: ٨٢؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصَّحيحين ٤: ٥٠٢.

# من ينتظر من؟(*)

(*) محاضرة أُلقيت عام ١٤١٤ هـ، في حسينية النَّاصر في مدينة سيهات، في البرنامج الرَّمضاني الرَّابع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

إلامَ انتظاري يا بن فاطمة الزهـرا ألا تنقضي أعوامَ غيبتـكَ الكبَـرى
بها طالَ ليل الـدين حتـى كأننـا نمطّي بها باعاً إذا ما دنـتْ شـبرا
قضينا بها ألفاً ونيفاً وما انقضـت أما ملئت ظلماً أمـا ملئـت جـورا
فديناكَ قم مـن غيـر أمـرٍ وإنمـا دعوناك أن تبدي بنا النهي والأمرا
وتجلبهـا قَـبٌ البطـون شـوازبًا ظوابح لا تبقـي ظلالًـا ولا كفـرا
تقـلٌّ رجـالاً كالحديـد قلوبهـا بأعينهـا ترنـوا لأعـدائها شـزرا
فأكبادنـا حـرّا وأعيننـا عبـرا على ديننـا طـوراً وأنفسـنا طـورا
نرى فَيْئنَـا فـيهم سـهاماً مقسّـما وأيدينا من فَيْئنا أصبحت صـفرا
علـى أيهـا يـا غيـرة الله صـبرنا وكم من دمٍ لله فيهم مضى هدرا[1]

عنوان الموضوع هو (من ينتظر من)، وهذا العنوان عليه صبغة صحفية أكثر مما عليه صبغة علميّة، وهذا اللَّون من العنوان يلفت النَّظر ويجلب الانتباه.

---

(١) جزء من قصيدة للشَّيخ أحمد حسن القفطان.

هل نحن ننتظر الإمام المهدي (عليه السلام) أم هو الذي ينتظرنا؟

(نحن ننتظر الإمام)، هذا واضح فنحن ننتظر ظهور الإمام ليقوم بواجباته الشرعية وهو بين ظهرانينا.

أما (هو ينتظرنا)؛ ماذا يعني؟ ماذا ينتظر منّا؟ إذا كان الإمام هو الذي ينتظرنا؛ فماذا ينتظر منّا؟

هذا الذي ستدور حوله المحاضرة.

## دولة الإمام المهدي وافتراضات التَّأسيس، استعراض روائي

من المؤكَّد في عقيدتنا؛ نحن الشِّيعة الإمامية بشكل خاص والمسلمين بشكل عام، ظهور الإمام المهدي؛ لورود الأحاديث المتواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله) في موضوع ظهور الإمام المهدي، وكذلك الأحاديث المتواترة عن أئمة أهل البيت من الإمام علي (ت: ٤٠هـ) (عليه السلام) إلى الإمام الحسن العسكري (ت: ٢٦٠هـ) (عليه السلام)، والروايات الأخرى المروية عن كثير من الصحابة أيضاً، والمأثورات التي أُثِرت عن العلماء.

كل هذه النُّصوص بمجموعها التي تبلغ الآلاف تدلّ على ظهور الإمام المهدي، ولابدّ من ظهور الإمام المهدي.

وللإجابة على السؤال المطروح: هناك عدَّة افتراضات عند ظهور الإمام المهدي، أو تساعد على ظهور الإمام المهدي والقيام بواجبه.

واجب الإمام المهدي يختلف إلى حدٍ ما، من حيث التَّطبيق لا من حيث النظرية؛ من حيث النظرية لا يختلف عن واجب جدِّه (صلى الله عليه آله وسلم) وعن واجبات آبائه الأئمة (عليهم السلام)، وإنَّما من حيث التطبيق هناك اختلاف.

في التَّطبيق؛ الإمام المهدي عندما يظهر يقيم دولة عالمية، فالرسول (صلى الله عليه وآله) لم يتسنَّ له أن أقام الدَّولة العالمية، وكذلك مَن جاء بعد الرسول ـ سواء كان من الأئمة أو من غير الأئمة ـ لم يتسنَّ له إقامة الدَّولة العالمية. والقرآن يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1]؛ معنى هذا أنَّ الإسلام يكون هو النِّظام

---

(١) التوبة: ٣٣.

العالمي الوحيد، وهذا لم يتحقَّق على مختلف مدايات التأريخ التي مرَّ بها المسلمون.

فإذًا لابدّ لهذا أن يتحقق على يد الإمام المهدي.

من هنا تأتي الافتراضات؛ إذا كان الإمام المهدي عندما يظهر يهيمن على العالم كلّه ويقيم دولة عالمية واحدة تخضع لنظام إسلامي موحد، هنا يأتي عندنا أكثر من افتراض وأكثر من احتمال، وسوف أتحدَّث حول هذه الافتراضات والاحتمالات من خلال النُّصوص والروايات الواردة، وكذلك أيضاً هي من ناحية عقلية لا تخرج عن هذه الافتراضات والاحتمالات:

## الافتراض الأول

أنَّ الله سبحانه وتعالى يحقِّق هذه الدَّولة وهذا النِّظام على يد الإمام على نحو المُعجز؛ يعني لا يحتاج (عليه السلام) إلى أيّ مساعدة، ولا يحتاج أن يبذل هو (عليه السلام) جهدًا متواصلاً من أجل الوصول إلى هذا الهدف، كما أنّه لا يحتاج منّا أن نقوم بأيّ مساعدة، ويتحقق هذا على نحو المعجز. أمّا كيف يتحقق؟ هذا لا نعلمه، ونعلمه عندما يظهر.

هناك بعض الروايات قد تشير إلى هذا، ربما تُؤوَّل بتأويلات أخرى لكن قد يُستظهَر منها هذا المعنى؛ وهي الروايات التي تقول: يُصلحه الله في ليلة[1]، لعلَّه يُفهم منها هذا المعنى: إنَّ الهدف سيتحقَّق على يد الإمام المهدي وعلى نحو الإعجاز. هذا الافتراض الأول.

---

(١) لاحظ: كمال الدِّين وتمام النِّعمة، الشَّيخ الصدوق: ١٥٢.

## الافتراض الثاني

أن يقوم الإمام المهدي كما قام أيّ داعية لأيّ مبدأ، كجدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كالدُّعاة والمصلحين الآخرين الذين دعوا إلى مبادئ معيَّنة وقاموا بأدوار إصلاحيّة معيَّنة؛ يعني يتبّع الطريق المألوف هو أن يخرج ويتحرَّك بشكل سرّي كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحرَّك إلى ثلاث سنوات ـ الفترة السِّرية ـ ثم أعلن الدَّعوة. يتَّصل بالأفراد ويدعوهم إلى اعتناق هذا المبدأ أو إلى الاشتراك معه في النُّهوض بهذه الدَّعوة وتطبيق هذا المبدأ، ثم قد تنتهي المرحلة السرية ـ والتي قد تطول وقد تقصر ـ فيُعلن حركته بعد أن تصبح الحركة قوية تستطيع أن تصمد وتستطيع أن تجابه وتقاوم حتى تصل إلى الهدف، كما فعل الأنبياء السابقون وكما فعل جميع الدُّعاة والمصلحين.

فالمعجز لا يتدخَّل هنا لا من قريب ولا من بعيد.

هذا الافتراض أيضًا هناك روايات تشير إليه؛ وهي الروايات التي تقول إنَّ عدد أنصار الإمام المهدي بعدد أصحاب بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر شخصًا[1].

وأيضاً هناك روايات تشير إلى أن الإمام المهدي عندما يريد الخروج يتَّصل بهؤلاء، ويهيِّئ معهم للحركة، وكيف تنطلق الحركة، ويعطي التَّعليمات ويتحرَّك فيما إذا رأى أنَّ المرحلة السِّرية مع هؤلاء قد انتهت وعليه أن يبدأ المرحلة العلنيَّة.

## الافتراض الثالث

هو أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) يخرج وهناك دولة قد مهَّدت له؛ يعني

---

(١) لاحظ: كمال الدِّن وتمام النعمة، الشَّيخ الصدوق: ٢٦٨.

هيَّأت له متطلَّبات النهوض من نشر الفكر، ومن السلاح الذي يحتاج إليه، ومن الجنود الذين يحتاج إليهم، وهو يأتي ويتسلَّم هذا ويتحرَّك. هناك روايات تشير إلى هذا[١].

## المقارنة بين الافتراضات

إذا حاولنا أن نُقارن بين هذه الرِّوايات: من حيث الكثرة؛ الروايات التي تقول بالتَّمهيد هي أكثر؛ يعني إذا أخذنا إحصائيات ونِسب فإنَّ الروايات التي تقول بأنَّه يخرج ويُصلِح على نحو الإعجاز قليلة جدًا.

ومن هنا تأوَّلها بعضهم بتأويلات أخرى ليستبعد هذا المعنى.

الروايات التي تقول أنَّه يعتمد على أنصاره ويتحرَّك مع أنصاره كما يتحرَّك أيّ داعية وأيّ مصلح آخر، تأتي من حيث الكثرة أكثر من الروايات الأولى لكنَّها أقلّ بكثير من الروايات التي تَشير إلى التَّمهيد.

فإذًا من حيث الكثرة، الروايات التي تشير إلى التَّمهيد أكثر.

كذلك من حيث الاعتبار، الروايات التي تشير إلى أنَّ هناك من يمهِّد لظهور الإمام المهدي فيها روايات معتبرة؛ وهي من الكثرة قد تصل إلى حدِّ الاعتماد عليها.

بينما الروايات الأخرى قد تكون من ناحية الاعتبار يؤخَذ على أسانيدها بعض الملاحظات أو بعض الإشكالات كما يقولون.

---

(١) لاحظ: بحار الأنوار، الشَّيخ محمد باقر المجلسي ٥١: ٣٨.

# اتِّجاهات الواقع في تأسيس دولة الإمام المهدي

إذا حاولنا الآن نتعرَّف على هذا من خلال الواقع:

هذا ما تقوله الروايات والنُّصوص المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وكذلك عن الأئمة (عليهم السلام)، وأيضاً الروايات الأخرى المروية عن الصحابة تشير إلى التَّمهيد؛ في أنَّ هناك دولة تبقى قائمة على الحق وهذه الدّولة هي التي تهيِّئ لنهضة الإمام المهدي (عليه السلام) متطلّباتها، وتقدِّم كلّ هذا للإمام المهدي فيتحرَّك الإمام المهدي؛ وهناك قاعدة وهناك أرضيّة ينطلق فيها وقاعدة يعتمد عليها.

لو رجعنا إلى الواقع الآن، الواقع العالمي الذي نعيشه؛ ماذا يساعد؟ هل يساعد الواقع على الافتراض الأول؟ أو الافتراض الثاني؟ أو الافتراض الثالث؟

## الوضع العالمي، جولة في التاريخ الحديث

نأخذ صورة عن الوضع العالمي الآن، ولعلَّ الشيء الكثير منه أصبح معروفًا لديكم:

١ـ انهار الاتحاد السوفيتي، وانهياره كان داخليًّا، وكان ـ في الواقع ـ غير متوقَّع؛ يعني ما كان هناك توقّع لانهيار الاتحاد السوفيتي لكن شاء الله أن ينهار وانهار.

ماذا خلَّف انهيار الاتحاد السوفيتي؟ خلَّف هذه الدّول الموجودة الآن وما يوجد فيها من ويلات، خلَّف طبقة متموِّلة في أعلى درجات التَّمول. والآن نقرأ في الصحف أنَّ بعض هؤلاء الأثرياء من بقايا الاتحاد السوفيتي يذهبون إلى أسواق (منهاتن) في نيويورك في أمريكا ليشتروا المجوهرات بأغلى ما تكون.

إلى جانب هذه الطبقة القليلة الثَّرية، طبقة واسعة جدًا معدومة ومسحوقة سحق تمامًا؛ هذه الطبقة المسحوقة أصبح عندها يأس من أنَّ الذين اعتمدت عليهم في أن يرفعوا من مستواهم عند ما قالوا لهم أنّ الاشتراكية تساوي بين الغني والفقير وترفع من مستوى الفقير إلى مصاف الغني، لم يتحقَّق هذا فأصبح عندهم يأس من هؤلاء الدُّعاة والمصلحين أو مدَّعي الإصلاح الذين كانوا يعرفونهم. وعندما يحصل يأس، في مقابل هذا اليأس يحصل شيء من التَّطلع إلى مصلح آخر غير هؤلاء، هذه ظاهرة موجودة عند الناس.

الوضع الموجود في دول الاتحاد السوفيتي حالياً بما يُنشَر ويُذَاع يتطلَّب مُصلحًا يقوم بدور انتشال هذا الواقع السَّيئ الذي انتهى إليه شعب أو شعوب الاتحاد السوفيتي.

٢ـ الدَّولة الأخرى الضخمة التي كانت تتوازن وتتعادل مع الاتحاد السوفيتي هي الولايات المتحدة الأمريكية، وهي مما يُكتَب ويُقَال ـ طبعًا هذا ليس من عندي ـ من ناحية اقتصادية تعاني من اهتزازات داخلية عنيفة قد تؤدِّي إلى الانهيار من الدَّاخل كما انهار الاتحاد السوفيتي.

وتعاني أيضًا من تحلّل خُلُقي فظيع، والإحصائيات التي تُنشر الآن كثيرة جداً، المحاولات لتلافي هذا أصبحت تُخفق ولا تصل إلى تحقيق أيّ شيء.

إذًا الناس أيضًا أصبحوا فيما يشبه اليأس، وأصبحوا متطلِّعين إلى مصلح آخر غير هؤلاء المصلحين.

## المناداة بالنِّظام العالمي البديل

من هنا تسمعون بالمناداة لإيجاد نظام آخر ونظام بديل. ما معنى نظام بديل؟

ما هي الأنظمة التي كانت وأخفقت حتى نحن نفتّش الآن عن نظام بديل؟

### ١. السياسة

من حيث الحُكم، كان هناك النِّظام الديكتاتوري والنِّظام الديموقراطي؛ الديكتاتوري كان يتمثَّل في حكم الاتحاد السوفيتي، والديموقراطي يتمثَّل في حكم الولايات المتحدة الأمريكية:

ـ **النِّظام الديكتاتوري**: يعني حكم الفرد أو حكم الأفراد.

ـ **النِّظام الديموقراطي**: يعني حكم الشعب.

هذا الوضع الذي يُشاهد والتَّخلخل الذي حصل في البُنية الاجتماعية لهاتين الدَّولتين دلَّل ـ وبوضوح ـ على أنَّ الديكتاتورية فاشلة وعلى أنَّ الديموقراطية المُدَّعاة أيضًا فاشلة. قد تكون فاشلة من حيث النَّظرية والتَّطبيق، وقد تكون فاشلة من حيث التَّطبيق؛ يعني هؤلاء يدَّعون أنَّهم يوفرّون للإنسان حقوقه، لكن عندما يأتون إلى التَّطبيق يقع الخلل في التَّطبيق، يحصل هناك شيء من التَّلاعب ويقع الخلل في التَّطبيق.

### ٢. الاقتصاد

من حيث الاقتصاد كانت الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي، والرأسمالية في المعسكر الغربي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ومن يتبع المعسكر الغربي؛ الإشتراكية لم تحقِّق أهدافها وانتهت، والحتميَّة التاريخية التي كان يقول بها كارل ماركس (ت: ١٨٨٣م) ـ والذي يعبِّر عنه الاقتصاديون بـ(نبي

الشيوعيين)، والذي نادى بأنَّه سيُنزل جنَّة المتقين لهؤلاء الذين يعتنقون الاشتراكية أو يعتنقون الشيوعية ـ لم يتحقَّق منها شيء وإنَّما اقتطع قطعةً من الجحيم ووضعها لهؤلاء ووضعهم فيها.

هذا هو الواقع الذي حصل، فالاشتراكية كنظام اقتصادي أخفقت وانتهت ولا مجال لعودتها بعد هذا الإخفاق الذي وصلت إليه.

الرأسمالية الآن، من يتابع ما يُكتب في الدَّوريات الاقتصادية والكتب الاقتصادية؛ يجد شركات ضخمة بدأت تُصفِّي، ومصانع ضخمة بدأت الآن تُصفِّي ومصانع ضخمة أصبحت تستجدي دول البترول لإنقاذ الوضع المنهار لذلك المصنع أو لتلك الشركة الكبرى. الدِّيون أصبحت بمستوى عالٍ جدًا حتى أنَّ كثيرًا من البنوك أصبحت لا تستطيع أن تُقرِض، وجدولة الدِّيون أصبحت مستمرة، وهذا يعني أنَّ الرأسمالية أصبحت تتخبَّط وأيَّ نظام يتخبَّط ينتهي من غير شك.

فالآمال التي كانت تعقدها البشرية على الاشتراكية من جانب، وعلى الرأسمالية من جانب هذه الآمال خابت، هذا من ناحية اقتصادية وباختصار.

## ٣.العقيدة

من ناحية العقيدة هناك المسيحية والعلمانية؛ ولا يوجد هناك في تلك البلدان انتشار للإسلام كما هو هنا.

المسيحية نتيجة الثورات من الثورة الفرنسية وما بعدها أصبحت تعيش داخل الكنائس وتُعنى بالجانب الأخلاقي في حدود ضيقة، وذكرت لكم أنَّ الأمير تشالز ولي عهد بريطانيا في محاضرته التي هزَّت العالَمَ هزًّا، والتي ألقاها في

المركز الإسلامي في جامعة أكسفورد خاطب الكنيسة وبكلّ صراحة بأنّها أخفقت، فلم تستطع أن تُصلح أخلاقيات الناس، من هنا قال لابدَّ وأن نرجع للقرآن وإلى الإسلام؛ لنأخذ بأخلاقيات القرآن وأخلاقيات الإسلام لننقذ هذا الوضع الذي انتهينا إليه.

مقابل المسيحية هي العلمانية، والعلمانية تعني لا عقيدة، تعني الأخذ بالعلم وطرح الدِّين وطرح العقيدة الدِّينية، لماذا؟ لأنَّهم يذهبون إلى أنَّ الدِّين ليس من صنع الله تعالى وإنَّما هو من صنع البشر؛ لأسباب يذكرونها هناك، وممكن أن تتعرَّفوا على هذه الأسباب بالرِّجوع إلى علم الاجتماع الدِّيني ـ فرع من فروع علم الإجتماع ـ يُذكر هناك عن نشأة الدِّين، كيف نشأ الدِّين؟ ولن تجد فيما يذكره هذا الفرع أنَّ الدِّين من الله، وإنَّما هو من الإنسان؛ ولأنَّه من الإنسان، وأخفقت المسيحية أو الكنيسة، استبعدوا الدِّين وقالوا نعتمد على العلم. قلنا نعتمد على العلم! ولا يوجد أفضل من العلم، لكن ما الذي انتهى بنا إليه العلم؟ هذه الإحصائيات الضخمة: يكون عندنا ٥٠ مليون حالة إجهاض مثلاً، وهناك إحصائيات كثيرة، أنا لا أُريد أن أستعرض هذه الإحصائيات؛ يمكن الرجوع إليها في بعض الكتب كـ(الإسلام في مواجهة الغرب)[(١)]، كتيِّب صغير ويعطي إحصائيات كثيرة وغيرها الكثير.

(يونسكو) تعطي إحصائيات سنويًا، المنظمات مثل (منظَّمة الصحة العالمية) والمنظَّمات الأخرى تُعطي إحصائيات، هذه الإحصائيات تكشف أنَّ العلم متَّجه

---

(١) هناك كتب كثير بهذا العنوان، منها: الغرب في مواجهة الإسلام: معالم ووثائق جديدة، لمازن مطبقاني؛ والإسلام في مواجهة الغرب، للكاتبة الأمريكية مريم جميلة.

اتجاهًا ماديًّا بعيدًا كلّ البُعد عن الجوانب الرّوحانية والجوانب الأخلاقية، فإذا كان بعيدًا كلّ البُعد فلا يستطيع أن يصلح من سلوك الناس. يستطيع أن يوفّر اقتصاديات فيما إذا كان هناك نظام عادل يرعى هذا العلم، أمّا أنّه يُهيّئ لنا تعاليم أخلاقية تُصلح السلوك فهذا لم نجده من العلم أبدًا.

ولذا نجد هذا التَّخلف وهذا الانهيار، هذا كلّه دعا الناس إلى أن يفتّشوا عن النِّظام البديل، وما عادوا يؤمنون الآن بهذه الأنظمة التي جرَّبوها وجربوها حوالي نصف قرن وبعضها أكثر من نصف قرن بل ما يقرب من مائة عام، هذه الأنظمة هي تحت التَّجربة وهي تأخذ في الإخفاق، فالناس أصبحوا في يأس وأخذوا يفتِّشون عن النِّظام البديل الذي يوجِد توازنًا، يوجِد عدالة، يوفّر للإنسان حقَّهُ كإنسان؛ بالشَّكل الذي يعيش حياة حرَّة كريمة معزَّزة.

لا يوجد نظام ـ كما هم يقولون ـ إلاّ الإسلام، وأظن كان هنا كتاب يباع باسم (الإسلام النظام البديل)، وكثير منهم الآن يدعوا إلى الإسلام كنظام بديل لهذه الأنظمة.

لماذا؟ قد نقول ـ مثلاً ـ إنَّهم شاهدوا التَّجربة التأريخية التي مرَّ بها الإسلام أيام الرسول (صلى الله عليه وآله).

قد نقول لأنَّهم لم يجرِّبوا الإسلام ويريدون أن يجرِّبوا الإسلام.. نحن نرحب بهذا.

على أيّة حال، الآن هناك مناداة قويّة من كثير من المفكّرين ـ وبعضهم أسلم لهذا ـ إلى الدَّعوة للنِّظام البديل، والنِّظام البديل هو الإسلام ولا يوجد غير الإسلام.

## الإسلام، الشيوعية والديموقراطية مقارنة من الواقع

الآن أمريكا بما لديها من أطماع في الثَّروات الموجودة في العالم لا تزال تدعوا إلى النِّظام الديموقراطي؛ لكن بالشَّكل الجديد الذي تدَّعيه، الناس جرَّبوا الديموقراطية وجرَّبوا القائمين على الديموقراطية؛ الديموقراطية لا يوجد فيها العنصر الموجود في الإسلام وهو الذي أريد أن أُشير إليه: الديموقراطية لا تقوم على أساس من عقيدة معينة، الشيوعية الاشتراكية كانت تقوم على أساس من عقيدة، لكن الديموقراطية لا تقوم على أساس من عقيدة معينة. بينما الإسلام يقوم على أساس من عقيدة التوحيد؛ وعقيدة التوحيد تعني أنَّ أيّ تصرّف يقوم به المسؤولون عن النِّظام هم مسؤولون أمام الله.

علي بن أبي طالب كان يستطيع أن يأخذ من بيت مال المسلمين، باستطاعته أن يبني العِمارات، وأن يمتلك ما شاء الله؛ لكنه يشعر ـ وعنده عقيدة وإيمان ـ بأنَّه سيحاسب من قِبل الله، فلا يقدم على هذا.

هذا العنصر الذي يكبح جماح المسؤولين من أن يقوموا بأطماعهم غير موجود في الديموقراطية وهو موجود في الإسلام.

قد تقول أنَّ في الإسلام حكَّام يبتزّون هذه الأموال! في التأريخ موجود وفي الحاضر موجود، لكن هذا ليس هو الإسلام؛ هذا جاء من تقصير المسلمين في محاسبة الحكّام؛ فلأن هذه الأموال التي تؤخذ هي حقوق المسلمين فأنت مسؤول أن تدافع عن حقِّك، أنت لم تدافع عن حقِّك.

فهذا فرق نلمسه الآن، والآخرون يلمسون هذا الفرق بين الديموقراطية وبين الإسلام؛ ولذا المناداة الآن للنِّظام الديموقراطي كنظام عالمي تجد تعليقًا كثيرًا جداً عليها، لأنَّها مرَّت بالتَّجربة.

والحكم الديموقراطي ليس فيه ضوابط روحية تضبط الحاكم من ذاته؛ فمن هنا نجد الآن اتِّجاهًا قويًّا إلى الدَّعوة للإسلام كنظام بديل وكنظام عالمي يقيم دولة عالمية.

كلّ هذا جعل الناس يتطلَّعون إلى المصلح، وهناك يهتمون بهذه القضايا أكثر مما نهتم نحن هنا؛ يهتمّون في المستقبل كثيرًا، يهتمّون بالمصير كثيرًا. نحن نهتمّ بالحاضر، المهم أن نملأ البطن ونشبع الجنس؛ هذا أهم شيء عندنا نحن، أمّا أكثر من هذا قد نفكِّر في أن نؤدِّي العبادات حتى لا نُحاسب يوم القيامة؛ أمَّا المستقبل! عندنا كلمة نردِّدها (المستقبل غيب، ولك السَّاعة التي أنت فيها).

هم يفكرون في المستقبل، ماذا سيكون هذا المستقبل؟ من هنا تجد تطلّعًا للمصلح، وإذا كنت تريد المتابعة فهناك جمعيات جديدة الآن وكثيرة؛ حتى من أساتذة جامعات أصبحوا ينتمون إلى هذه الجمعيات، وهذه الجمعيات تُعنى بالتَّنبؤ بالغيب، هذه الجمعيات شُغلها أن تتنبّأ بالمستقبل؛ أن تتنبّأ بالغيب وماذا سيحدث للعالم في المستقبل؟ ورأيتم كتاب (تنبؤآت نوستراداموس) الفرنسي الذي تُرجم إلى اللغة العربية، والذي تنبّأ بوقوع أحداث ووقع كثير من هذه الأحداث التي تنبّأ بها، وأيضًا التَّنبؤات الأخرى الباقية يتوقَّعون حدوثها.

كلّ هذا دفع الناس عمومًا للتَّطلع إلى مجيء مصلح عادل ينقذ الإنسانية مما انحدرت إليه.

## الإسلام الشِّيعي وتقديم النِّظام العالمي البديل

انفتح الغرب على الإسلام الشِّيعي أكثر من انفتاحهم على الإسلام غير الشِّيعي، لماذا؟ لشيء واحد، هم متابعون وفرق بيننا وبينهم فنحن لا نُتابع، أنت

الحادثة قد تكون بجانبك ولا تهتم لها ذلك الاهتمام الكثير، هم يهتمّون ويتابعون. أعطي مثالاً: الحركة الإسلامية في مصر من قبل خمسين سنة تقريبًا تعطي فكرًا إسلاميًا، وأثرَت المكتبة الإسلامية بالمئات من الكتب، وأسهمت إسهامًا كبيرًا؛ لكن كلّ هذه الكتب التي هي بالمئات طُبعت وانتشرت وتُرجم منها للّغة الإنجليزية والفرنسية وربما الألمانية والأوردو والفارسية؛ كلّ هذه الكتب لم تستطع أن تقدِّم للعالم ما يسمّى النِّظام؛ نظام يحقِّق للإنسان حقوقه العادلة.

بينما تحرَّكت النجف وتحرَّكت إيران ـ وطبعًا كان بدء التَّحرك في النجف ومن قِبل السَّيد الشهيد (ت: ١٤٠٠هـ) (قدِّس سرّه) ـ وأعطت الحركة كتبًا قليلة قد تكون بالعشرات؛ لكن هذه الكتب قدَّمت للعالَم أنَّ الإسلام فيه نظام، نظام فكري يرتبط بالجانب العقائدي، يرتبط بالجانب الاقتصادي، يرتبط بالجانب السياسي، ويستطيع أن يكون النِّظام البديل؛ من هنا انفتح العالَم على الإسلام الشِّيعي، ليُعرف هذا النِّظام الذي يَصلح لأن يكون بديلاً لأنظمتهم التي أخضعوها للتَّجربة وأخفقت. هذا أيضًا يرتبط بموضوعنا.

فالفكر الشِّيعي ـ طبعًا لمّا نقول فكر شيعي يعني فكر أهل البيت (عليهم السلام) ـ استطاع أن يثبت وجوده في العالم وأن يكون له حضور في العالَم وأن يُعطي المؤشّر وبشكل واضح؛ وأنّه يمكن أن يحلّ الإسلام كنظام بديل محلّ الأنظمة التي أخفقت.

## الحركات الإسلامية وأهداف التّحرك العليا

أيضاً لو جئنا إلى البلاد الإسلامية الآن، نرى تحرّكات كثيرة موجود في البلاد

الإسلامية، وأنت تقرأ في مصر والسودان وفي المغرب وفي الجزائر وفي تونس والبلدان الأخرى.

هذا التَّحرك، لماذا يهدف؟ لو تابعنا هذا التَّحرك، وهناك متابعات موجودة ويُكتب عنها الكثير؛ لمّا تذهب هناك في الغرب تجد هذا مكتوب عنه حتى باللّغة العربية، كلّ هؤلاء الذين يتحرَّكون تحرّكًا إسلاميًا؛ ليس الهدف الوحيد هو استلام أنظمة الحكم في البلدان التي يتحرَّكون فيها، ربما يكون هو هذا الهدف لكن ليس هو الهدف الوحيد؛ هناك هدف أسمى من هذا؛ هو أن يحقِّقوا للإنسان المسلم كرامته، وأن يحققِّوا للإنسان المسلم عزَّته التي أرادها الإسلام له ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)]، ﴿ولَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾[(٢)].

فالله سبحانه وتعالى من خلال التَّشريع الذي أعطانا إياه ـ التشريع الإسلامي ـ أراد للمسلم أن يعيش كريمًا عزيزًا، فالتَّحرك كلّه متَّجه إلى هذا، ويريد للإنسان المسلم والأمة الإسلامية أن تعيش عزيزة كريمة وتملك إرادتها، تحكم نفسها بنفسها.

هذا موجود في داخل العالَم الإسلامي والبلاد الإسلامية؛ ولهذا تجد الضَّربات الآن جدًا قاسية وضربات إبادة، ومع هذا فالصمود موجود؛ لأنَّ الهدف أسمى، والهدف يستحقّ التَّضحية في نظر هؤلاء الذين يتحرَّكون هذا التَّحرك.

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) النساء: ١٤١.

نجد أيضاً الآن في داخل البلاد الإسلامية أيّ تشكيك يحصل من أيّ إنسان حول سُموّ هدف مَن يدعون للإسلام يُتَّهَم، هذا معناه أنَّ هناك شيء يعتمل في داخل نفوس المسلمين يحسّون بأنَّهم الآن قد اقتربوا من المستقبل الذي يمتلكون فيه إرادتهم، وتكون لهم كرامتهم وعزتهم.

التَّنبؤات والتَّوقعات ـ كما ذكرنا ـ أصبحت كثيرة الآن وتتوقَّع ظهور المصلح وتنتظر ظهور المصلح.

## الواقع المعاصر وإرهاصات الظهور

نعود مرَّة ثانية إلى بعض الروايات؛ هناك روايات ـ حقيقة ـ لمّا نقرأها تتحدَّث عن العراق ووضع العراق، هذا الوضع المزري الذي انتهى إليه الشَّعب العراقي المسكين تقرأه في الروايات، موجود تمامًا كعلامة من علامات الظهور[1]، طبعاً هذا لا يعذرنا أن لا نكون إلى جانب الشَّعب العراقي، لا بل ينبغي أن نكون إلى جانب الشَّعب العراقي.

المجزرة التي حدثت في الحرم الإبراهيمي في الخليل (١٤١٤هـ)، هذه المأساة الضَّخمة، أناس في أثناء السجود عند صلاة الفجر يهجم أعداء الله عليهم ويقتلون ما يشاؤون! والصَّيحة حدثت من قِبَل ـ ليس المسلمين فقط ـ بل العالم كلّه.

كلّ هذا يعطينا أنَّ الأنظمة التي تحكم العالَم أصبحت فاشلة لا تستطيع أن تتحرّك.

---

(١) لاحظ: بحار الأنوار، الشَّيخ محمد باقر المجلسي ٥١: ٩٢.

البوسنة والهرسك الآن، هذا الطَّحن بالمسلمين والمناداة الكثيرة؛ مع هذا ليس هناك من يستجيب لإيقاف تيار الدِّماء التي تجري.

المعنى أنَّ الأنظمة أصبحت لا تمتلك القدرة على إنقاذ هذا الوضع والانحدار الذي انحدر إليه هذا الوضع والانهيار الذي أصبح وآل إليه، كل هذا يدعونا إلى أن نؤمن بأنَّها تمهيد لظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

## تحرّك المسلمين سبيلاً للتَّمهيد

الناس تنتظر مصلحًا عادلاً، ونحن من خلال تجربتنا فإنّ أيّ شخص يأتي من هؤلاء لا يكون عادلاً، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[1]، يأتي عند ترشيح نفسه للانتخابات ـ كما ترون في التلفزيون ـ يقول: (أنا سوف أعمل كذا وكذا...) لكن بمجرَّد أن يكون السَّحب ويفوز، يخرج النَّمر المتوحِّش من داخله.

فلم تعد الناس تؤمن بهؤلاء، وأصبحت تنتظر الآن المصلح العادل الذي يحقِّق لها ما تريد.

التَّوجه إلى النِّظام العالمي، قبل فترة إذا كنَّا نقول الدَّولة العالمية كان يوهزء بنا؛ بأنَّه يستحيل أن تتحقَّق الدَّولة العالمية، والعالم لا يفكر بدولة عالمية، والبشر لا تفكِّر بدولة عالمية. أنتم أين تتكلمون!؟ أنتم في وادٍ والعالم في وادٍ آخر.

الآن العالَم كله أصبح يتكلم، والعالَم كلّه الآن يريد نظام عالمي موحَّد، يريد دولة عالمية واحدة.

هذه الأحداث تدعونا إلى أن نستفيد منها في التَّمهيد لظهور الإمام الحجة.

من هنا نقول إنَّ الإمام ينتظرنا، ولسنا نحن الذين ننتظره، فهذا الانتظار يتوجّه إلينا وهو الذي ينتظرنا؛ الأرضية الآن أصبحت مُمَهَّدَة عالميًا، كلّ ما نحتاج نحن المسلمين أن نتحرَّك، والتَّحرك ـ حقيقة ـ موجود الآن، وربما بمتابعة الغربيين لهذا أدركوا أين يوجد هذا التَّحرك.

وهذه الحملة القوية الآن لهدم هذا الكيان الشِّيعي القائم؛ لأنَّهم يقدِّرون ربما يكون هذا الكيان الشِّيعي هو الدَّولة التي تُسلِّم للإمام المهدي.

---

(١) الأعراف: ٣٨.

وفي روايات عندنا كثيرة (إذا رأيتم الرَّايات السود قد أقبلت من خراسان...)[١]، وكلمة (إيران) هذه متأخّرة ولم تكن موجودة؛ لمَّا صارت مناداة بالقوميّة العربية ـ التي لم نحصل منها على أيّ شيء حتى أنسابنا نسيناها ـ ونحن عرب وعجم فهم نادوا بالقومية الآرية، ورفعوا الشَّاه وسموه (آريا مهر)، وتعني رائد القوميّة الآرية، ومن هنا جاءت كلمة (إيران)، وإلاّ من قبل كانت تسمَّى خراسان أوتسمَّى بلاد فارس.

فالروايات التي ترد فيها كلمة فارس أو بلاد فارس أو خراسان تعني (إيران) بشكل عام؛ فالروية تقول: (إذا رأيتم الرَّايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج؛ فإنَّ فيها خليفة الله المهدي).

أيضاً هناك روايات تشير إلى أنَّهم هم الذين يُمهِّدون لظهور الإمام المهدي؛ وهم الذين يُسلِّمون الدَّولة للإمام المهدي (عليه السلام).

فماذا نعمل الآن في انتظارنا للإمام المهدي؟ الذي أريد أن أقوله شيء واحد: أن لا نحارب هذا الكيان الشِّيعي، نحن لا نؤيِّد! لا أعلم قد يأخذنا الكبرياء، ويأخذنا جبروتنا، وأننا أقوياء ومهدنا كلّ التَّمهيدات للإمام الحجة ـ فلا داعي لأن نؤيد هؤلاء، على الأقل لا نحاربهم ولا نسمع هؤلاء الذين لهم مصالح معيَّنة يحاربون فنحارب معهم، هذا لا يجوز.

هذا الكيان أعطى للشِّيعة وللإسلام وجودًا لم يعطه أيّ كيان آخر من الكيانات الموجودة في العالَم؛ فلنستفد من هذا الكيان في التَّمهيد والعمل الجادّ، هم يدركون هذا ويعملون عملاً جادًّا للتَّمهيد للإمام المهدي (عليه السلام)؛

---

(١) لاحظ: بحار الأنوار، الشَّيخ محمد باقر المجلسي ٥١: ٨٢.

ليكن منّا فقط عدم المحاربة، إذا كنّا لا نريد أن نؤيِّد فلا نحارب.

وهؤلاء الذين يحاربون هذا الكيان لا أقول أكثر من أنّهم...!! لا يحتاج أن أضع علامة استفهام، أنتم تدركون هذا الشيء أكثر مما يحتاج أن أقول حوله أيَّ شيء.

فالوعد الذي وعده القرآن ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾[1] سوف يتحقّق إن شاء الله.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2] أيضًا كذلك سوف يتحقّق؛ لكن يحتاج منّا وقفة تأييد، ولا نتأثّر بهؤلاء الذين ينعقون نعيق الغربان.

لا أقول أكثر من هذا عن هؤلاء، فلا نتأثّر بهم، هؤلاء سيلقون مصيرهم عندما يخرج الإمام المهدي (عليه السلام). تراهم لا يدور على ألسنتهم ذكر اسم الإمام المهدي (عليه السلام)، أنا معهم أقوم وأجلس ما رأيتهم ذكروا الإمام المهدي أبدًا، بل على العكس عندما يُذكر الإمام المهدي...!! لأنّهم يعرفون إذا خرج سوف يجزّ هذه الرّؤوس.

في نهاية الموضوع، كما نحن ننتظر الإمام المهدي هو ينتظرنا أيضاً، وليكن انتظارنا بأن نؤيِّد هؤلاء الذين يعملون من أجل خروج الإمام المهدي، ولا نكون مع الآخرين الذين يقفون ضدَّ هؤلاء.

هناك أشياء أخرى ما أردت أن أذكرها، لعلَّ هذا فيه كفاية وفيه إجابة على

---

(١) طه: ١٠٥.

(٢) القصص: ١٥.

التَّساؤل الذي طُرِح من قبل اللَّجنة القائمة على الموسم أو المهرجان.

فكما أنَّنا ننتظر الإمام المهدي هو ينتظرنا؛ ولأجل أن نحقِّق انتظارنا نحقِّقه بهذه الكيفية، وهذا بمقدونا.

نحن لا نقول لك: ادفع الأموال مثل ما يدفع الآخرون أو السلاح أو كذا... المطلوب ميسور ومقدور وليس فيه خسارة أبدًا، وفيه ثواب كثير أيضًا، ولا تنخدعوا بأقوال هؤلاء الذين ينعقون نعيق الغربان، فهذا الوصف هو الذي ينبغي أن يُعطى لهم.

والحمد لله رب العالمين.

# المصادر


١. ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٦١م، دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢. ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ١٩٦٦م، دار صادر.

٣. ابن الصبَّاغ، **الفصول المهمة في معرفة الأئمة**، تحقيق: سامي الغريري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الحديث للطباعة والنَّشر.

٤. ابن العربي، **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص)**، تحقيق وتعليق: محبّ الدِّين الخطيب، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ، الدَّار السّعودية للنَّشر.

٥. ابن القيّم الجوزية، **إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين**، تحقيق: محمَّد عبد السَّلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٦. ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التَّهذيب**، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع

٧. ابن حجر الهيتمي، **الصَّواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة**، خرَّج أحاديثه وعلَّق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٨. ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية،.

٩. ابن حزم، **المحلّى**، دار الفكر، بدون تاريخ.

١٠. ابن خلّكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بدون تاريخ.

١١. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

١٢. ابن شعبة الحرّاني، **تحف العقول عن آل الرسول**، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة.

١٣. ابن شهر آشوب، **معالم العلماء في فهرست كتب الشّيعة**، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٤. ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، تحقيق: الأستاذ علي شيري، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الأضواء.

١٥. ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، تحقيق: طه محمّد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنّشر والتوزيع.

١٦. ابن قولويه القمّي، **كامل الزيارات**، تحقيق: الشّيخ جواد القيومي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٩هـ.

١٧. ابن قولويه، **كامل الزيارات**، تحقيق: الشَّيخ جواد القيومي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٨. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، دار المعرفة للطباعة والنَّشر والتوزيع.

١٩. أبو الفتح الشهرستاني، **الملل والنِّحل**، تحقيق: محمَّد سيد كيلاني، دار المعرفة بدون تاريخ.

٢٠. أبو الفرج الإصفهاني، **الأغاني**، دار التراث العربي، بدون مشخّصات.

٢١. أبو مخنف الأزدي، **مقتل الحسين (عليه السلام)**، تعليق: حسين الغفاري، بدون مشخّصات.

٢٢. أحمد أمين، **فجر الإسلام: يبحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدَّولة الأُموية**، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطَّبعة العاشرة، ١٩٦٩م.

٢٣. أحمد بن أعثم الكوفي، **الفتوح**، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الأضواء.

٢٤. أحمد بن محمَّد المقري الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٥. أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، نشر وإلحاق وفهرسة: الدكتور صلاح الدِّين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

٢٦. أحمد حسن الزّيات، **تاريخ الأدب العربي**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، بدون تاريخ.

٢٧. الإمام أحمد بن حنبل، مسند **أحمد**، دار صادر، بدون تاريخ.

٢٨. الإمام البخاري، **الصحيح**، طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.

٢٩. الإمام الشافعي، **الأم**، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع.

٣٠. الإمام مالك، **الموطأ**، صحيح وتعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي.

٣١. الإمام مسلم النيسابوري، **الصحيح**، دار الفكر بيروت، بدون مشخّصات.

٣٢. بوليس سلامة، **عيد الغدير: أوّل ملحمة عربية**، ١٩٤٨م، بدون مشخّصات.

٣٣. الحاج حسين الشَّاكري، **علي في الكتاب والسُّنة والأدب**، مراجعة: فرات الأسدي، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ستاره.

٣٤. الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بدون مشخّصات.

٣٥. الدّكتور علي الوردي، **وعّاظ السلاطين**، الطَّبعة الثانية، ١٩٩٥م، دار كوفان.

٣٦. الدكتور علي بن نفيع العلياني، **عقيدة الإمام ابن قتيبة**، مكتبة الصدّيق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٧. **ديوان الأرزي الكبير**، تحقيق وتقديم وتكملة: شاكر هادي شكر، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار التَّوجيه الإسلامي.

٣٨. الذَّهبي، **سيرة أعلام النبلاء**، الطَّبعة التَّاسعة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرِّسالة بيروت.

٣٩. زكريا بن خليفة المحرمي، **الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ**، بدون مشخّصات.

٤٠. السَّيد ابن طاووس، **اللهوف في قتلى الطفوف**، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ، أنوار الهدى - قم.

٤١. السَّيد أبو القاسم الخوئي، **معجم رجال الحديث**، الطَّبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.

٤٢. السَّيد جواد شبّر، **أدب الطّف أو شعراء الحسين (عليه السلام)**: من القرن الأوّل الهجري حتى القرن الرّابع عشر، دار المرتضى، بدون تاريخ.

٤٣. السَّيد حسن الأمين، **مستدرك أعيان الشِّيعة**، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، دار التَّعارف للمطبوعات.

٤٤. السَّيد حسن الصدر، **الشِّيعة وفنون الإسلام**، تحقيق: السَّيد مرتضى المير سجادي، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٧هـ مؤسسة السِّبطين العالمية.

٤٥. السَّيد محسن الأمين، **أعيان الشِّيعة**، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التَّعارف للمطبوعات.

٤٦. السَّيد محمَّد تقي الحكيم، **الأصول العامة للفقه المقارن**، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤٧. السَّيد مصطفى جمال الدِّين، **الدِّيوان**، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار المؤرِّخ العربي.

٤٨. السَّيد هاشم البحراني، **البرهان في تفسير القرآن**، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم.

٤٩. الشَّريف الرّضي، **ديوان الشَّريف الرضي**، شرح وتعليق: الدكتور محمود مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

٥٠. الشَّريف الرَّضي، **نهج البلاغة**.

٥١. الشَّيخ ابن أبي جمهور الأحسائي، **عوالي اللئالي**، تقديم: السَّيد شهاب الدِّين النَّجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥٢. الشَّيخ ابن تيمية، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، اعتنى بها وخرَّج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، مصر.

٥٣. الشَّيخ ابن تيمية، **منهاج السُّنة**، تحقيق: الدكتور محمَّد رشاد سالم، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، جامعة محمَّد بن سعود الإسلامية.

٥٤. الشَّيخ آغا بزرك الطهراني، **الذريعة إلى تصانيف الشِّيعة**، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

٥٥. الشَّيخ الأميني، **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، الطَّبعة الرَّابعة، ١٩٧٧هـ، دار الكتاب العربي.

٥٦. الشَّيخ الصدوق، **الاعتقادات**، تحقيق: عصام عبد السَّيد، ضمن سلسلة مؤلَّفات الشَّيخ المفيد، الجزء ٥، دار المفيد، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٥٧. الشَّيخ الصدوق، **الأمالي**، تحقيق: قسم الدِّراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مركز الطباعة والنَّشر في مؤسسة البعثة.

٥٨. الشَّيخ الصدوق، **الأمالي**، تحقيق: قسم الدِّراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مركز الطباعة والنَّشر في مؤسسة البعثة.

٥٩. الشَّيخ الصدوق، **الخصال**، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، سنة ١٤٠٣هـ.

٦٠. الشَّيخ الصدوق، **عيون أخبار الرضا (عليه السلام)**، تصحيح وتعليق وتقديم: الشَّيخ حسين الأعلمي، ١٤٠٤هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٦١. الشَّيخ الصدوق، **كتاب من لا يحضره الفقيه**، الطَّبعة الثانية، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة.

٦٢. الشَّيخ الصدوق، **كمال الدِّين وتمام النعمة**، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ١٤٠٥هـ، مؤسسة النَّشر الإسلامي التَّابعة لجماعة المدرسين بقم المشرَّفة.

٦٣. الشَّيخ الطَّبرسي، **الاحتجاج**، تعليق وملاحظات: السَّيد محمَّد باقر الخرسان، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، دار النعمان للطباعة والنَّشر ـ النجف الأشرف.

٦٤. الشَّيخ الطَّبرسي، مجمع البيان، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٦٥. الشَّيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: السَّيد المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ.

٦٦. الشَّيخ الطوسي، الأمالي، تحقيق: قسم الدِّراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، دار الثقافة للطباعة والنَّشر والتوزيع.

٦٧. الشَّيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مكتب الإعلام الإسلامي.

٦٨. الشَّيخ الطوسي، الغيبة، تحقيق: الشَّيخ عباد الله الطهراني، الشَّيخ علي أحمد ناصح، الطَّبعة الأولى، ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية.

٦٩. الشَّيخ الطوسي، الفهرست، تحقيق: جواد قيومي، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٢٩هـ.

٧٠. الشَّيخ الطوسي، المبسوط، تصحيح وتعليق: السَّيد محمَّد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لإحياء آثار الجعفرية، بدون مشخّصات.

٧١. الشَّيخ الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السَّيد حسن الموسوي الخرسان، الطَّبعة الرَّابعة، ١٣٦٥ هـ.ش، دار الكتب الإسلامية.

٧٢. الشَّيخ الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، الطَّبعة الرَّابعة، ١٤٢٨هـ.

٧٣. الشَّيخ الكليني، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطَّبعة الخامسة، ١٣٦٣ ش.هـ.

٧٤. الشَّيخ المجلسي، بحار الأنوار، الطَّبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت.

٧٥. الشَّيخ المجلسي، بحار الأنوار، تحقيق: محمَّد الباقر البهبودي، يحيى العابدي الزنجاني، السَّيد كاظم الموسوي المياموي، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م، دار إحياء التراث العربي.

٧٦. الشَّيخ المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، الطَّبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنَّشر والتوزيع.

٧٧. الشَّيخ المفيد، الأمالي، تحقيق: حسين الأستادولي وعلي أكبر الغفاري، الطَّبعة الثانية، ١٤١٤هـ دار المفيد.

٧٨. الشَّيخ المفيد، **الجمل**، تحقيق: السَّيد علي مير شريفي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، دار المفيد.

٧٩. الشَّيخ المفيد، **تصحيح الاعتقادات**، تحقيق: حسين درگاهي، سلسلة مؤلفات الشَّيخ المفيد، دار المفيد، الطَّبعة الثانية، ١٤١٤هـ

٨٠. الشَّيخ النجاشي، **رجال النجاشي**، تحقيق: السَّيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، الطَّبعة التاسعة، ١٤٢٩هـ.

٨١. الشَّيخ راضي آل ياسين، **صلح الحسن (عليه السلام)**، بدون مشخّصات.

٨٢. الشَّيخ عبد الله نعمة، **عقيدتنا**، الطَّبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر.

٨٣. الشَّيخ عبد الهادي الفضلي، **تأريخ التشريع الإسلامي**، الطَّبعة الثانية، ١٤٣٢هـ، مركز الغدير.

٨٤. الشَّيخ عبد الهادي الفضلي، **في انتظار الإمام: يعالج قضية الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ومسألة الحكم الإسلامي اليوم**، الطبعة الأولى، ١٣٦٢هـ.ش.

٨٥. الشَّيخ لطف الله الصافي، **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**، طبعة إلكترونية.

٨٦. الشَّيخ محمَّد أبو زهرة، أبو حنيفة: حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، الطَّبعة الثانية.

٨٧. الشَّيخ محمَّد أبو زهرة، الإمام زيد: حياته وعصره، آرؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ.

٨٨. الشَّيخ محمَّد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشِّيعة وأصولها، تحقيق: علاء آل جعفر، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ستاره.

٨٩. الشَّيخ محمَّد بن الحسن الحرّ العاملي، وسائل الشِّيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطَّبعة الثانية، ١٤١٤هـ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث.

٩٠. الشَّيخ محمَّدي ريشهري، ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، الطَّبعة الأولى، دار الحديث.

٩١. الشَّيخ يوسف بن حاتم الشَّامي المشغري، الدُّر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

٩٢. الطَّبراني، المعجم الكبير، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السَّلفي، دار احياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٩٣. طه حسين، الفتنة الكبرى: علي وبنوه، دار المعارف، الطَّبعة ١٣، بدون تاريخ.

٩٤. عزّ الدِّين بن الحسن، **العناية التّامة في تحقيق مسألة الإمامة**، نسخة إلكترونية.

٩٥. علي بن إبراهيم القمّي، **تفسير القمّي**، تصحيح وتعليق وتقديم: السَّيد طيب الموسوي الجزائري، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٠٤هـ مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنَّشر، قم.

٩٦. القاضي النّعمان المغربي، **دعائم الإسلام**، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م، دار المعارف.

٩٧. القرطبي، **التّذكار في أفضل الأذكار**، مكتبة دار البيان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٩٨. **مجلة الجامعة الإسلامية**، العدد الثَّالث، السَّنة الأولى.

٩٩. **مجلة المقتطف**، السَّنة الثانية عشرة، ٢٠ شعبان ١٣٠٥هـ الجزء ٨.

١٠٠. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، الطَّبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ باقري.

١٠١. مجموعة من الباحثين، **الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كما عرفه علماء الغرب**، ترجمة: الدكتور نور الدين آل علي، مراجعة: الأستاذ وديع فلسطين، دار الفاضل، دمشق، ١٩٩٥م.

١٠٢. محمَّد الخليلي، **طبّ الإمام الصادق (عليه السلام)**، منشورات المكتبة الحيدرية، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م

١٠٣. محمَّد بن علي بن محمَّد الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من علم التفسير**، عالم الكتب، بدون مشخّصات.

١٠٤. المسعودي، **التَّنبيه والإشراف**، دار صعب، بدون تاريخ.

١٠٥. المسعودي، **مروج الذهب**، الطَّبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، منشورات دار الهجرة.

١٠٦. الملا فتح الله الكاشاني، **زبدة التفاسير**، تحقيق: مؤسسة المعارف، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ مؤسسة المعارف الإسلامية.

١٠٧. نصر بن مزاحم المنقري، **وقعة صفّين**، تحقيق: طه محمَّد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنَّشر والتوزيع، بدون مشخّصات.

١٠٨. نصر مزاحم المنقري، **وقعة صفّين**، تحقيق وشرح: عبد السَّلام محمَّد هارون، الطَّبعة الثانية، ١٣٨٢هـ.

١٠٩. اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بدون مشخّصات.